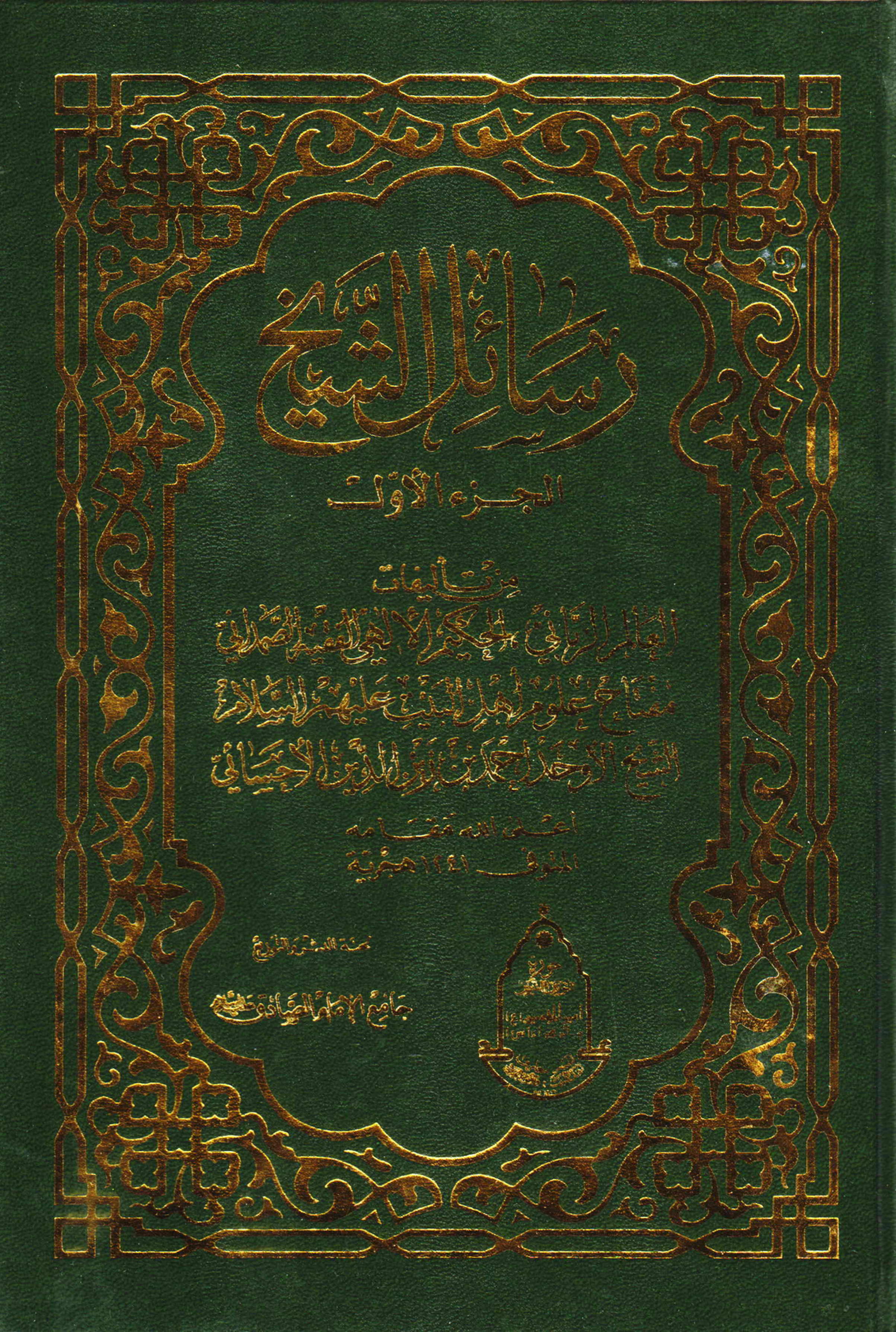
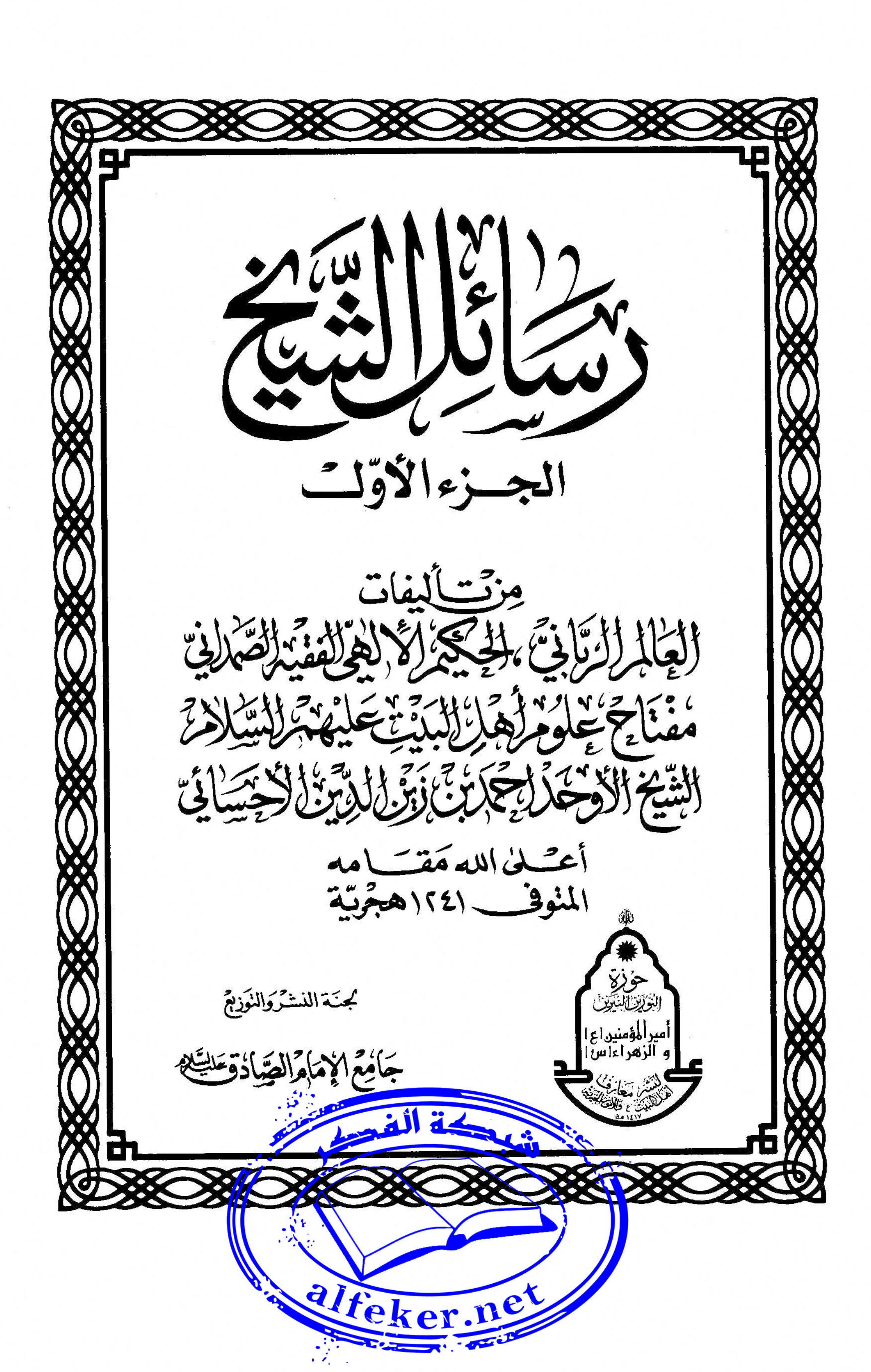

رسائل الشيخ
الجزء الأول
من تأليفات
العالم الرباني الحكيم الإلهي الفقيه الصمداني
مفتاح علوم أهل البيت عليهم السلام
الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي
أعلى الله مقامه
المتوفى ١٢٤١ هجرية
جهة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصادق



رسائل الشيخ

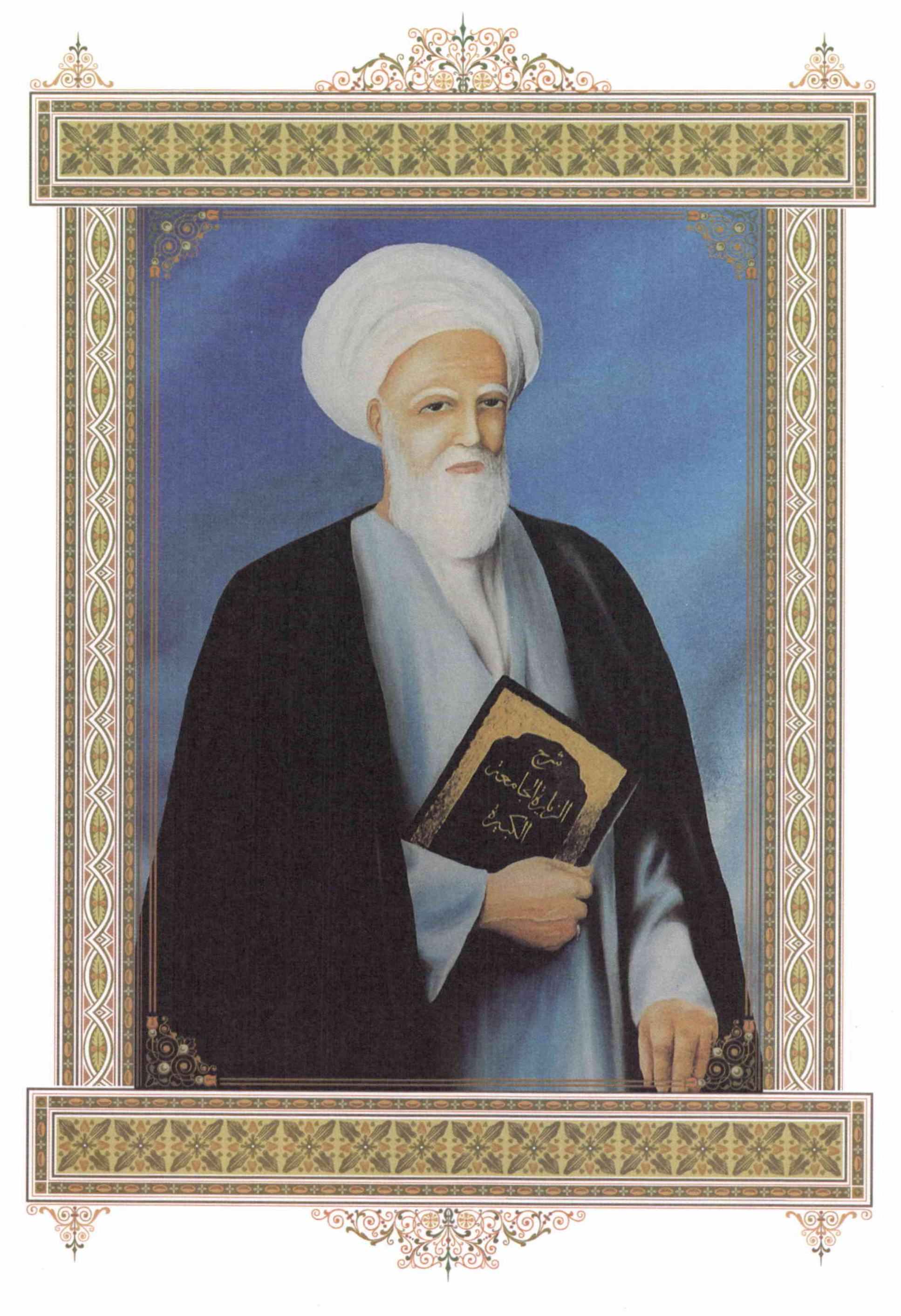
الجزء الأوّل

من تأليفات
العالم الربّاني، الحكيم الالهي الفقيه الصمداني
مفتاح علوم أهل البيت عليهم السّلام
الشّيخ الأوحد احمد بن زين الدّين الأحسائي
أعلى الله مقامه
المتوفى ١٢٤١ هجريّة

لجنة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصّادق عليه السّلام

حوزة النورين النيرين
أمير المؤمنين (ع) و الزهراء (س)
لنشر معارف أهل البيت (ع) والأوحد الأحسائي
١٤١٧ هـ

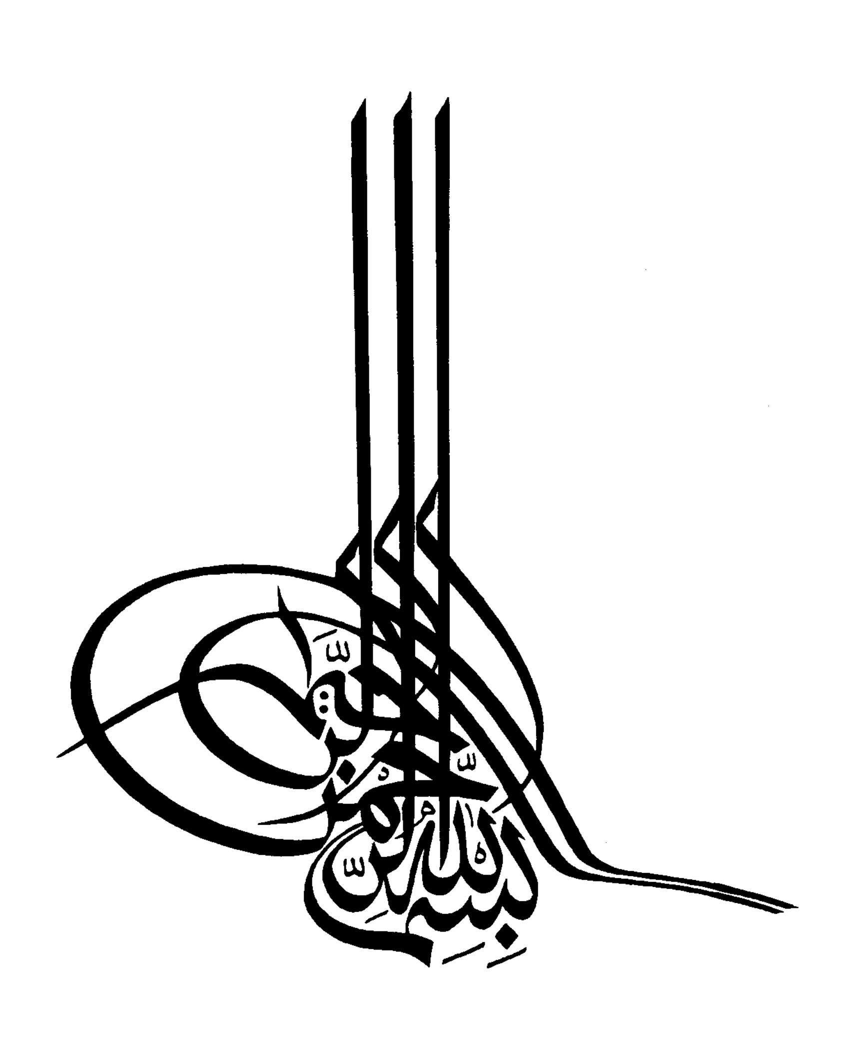




الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

أعلى الله مقامه





الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



معنى قول النبي الأعظم
صلى الله عليه وآله
من عرف نفسه
فقد عرف ربه

الرسالة الأولى

في معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه عرض علي جناب الفاضل الأكرم المهدي الأخ الأعز الشيخ محمد مهدي بن ذي الشأن الرفيع الأكرم محمد شفيع الاسترابادي أخذ الله بيده ووفقه للصالحات في يومه لغده بمسألة عزيزة المنال قد كثر فيها القيل والقال ولم تزل مع تلك الحال متصعبة على أفهام فحول الرجال ، وقد طلب مني بيانها وإزالة ما فيها من الإشكال على وجه يحصل به اليقين من غير احتمال ، وقد صادف سؤاله أيده الله مني حالة ملال وتشويش بال وكثرة اشتغال بكثرة الأعراض وملازمة الأمراض ، ولم يسعني

الاعتذار منه لكونه أهلا لذلك ، فأتيت بما حضرني من المقـدور إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وهـي قولـه سلمه الله نلتمس منكم شـرح الحديـث المشـهور ((مـن عـرف نفسه فقد عرف ربه))[1] من غير إيجاز إما بطريـق الإطنـاب ولـو انجر إلى كتاب أو المساواة ويكفيه رسالة .. إلخ .

في معنى النفس

أقول : روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله أنـه قال ((أعرفكم بنفسه أعرفكـم بربـه))[2] ، وعـن أمـير المؤمنـين عليه السلام قال ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) وهذا المراد من الروايتين لا يكاد يختلف فيـه اثنـان مـن الحكمـاء المتقدمـين والمتأخرين والعلماء أجمعين ، والكتاب والسـنة والعقـل شـاهدة بهذا المعنى ، وإنما اختلف العلماء في المعنى المـراد منـه حتـى أن منهم من توهم أن المراد بالنفس الرب عـز وجـل ، ومنـهم مـن جعلها من لوازم الذات الحق فمن عرفها فقد عرف الذات الحق تعالى ، ومنهم من جعلها محلا له تعالى ، ومنـهم مـن جعلـه محـلا لها ، ومنهم من جعلها صورة للحـق تعـالى ، إلى غـير ذلـك مـن الأقوال الباطلة .

---

[1] شرح النهج ٢٠/ ٢٩٢

[2] روضة الواعظين ٢٠

واعلم أن الأقوال الصحيحة والقريبة من الصحيحة منها ظاهري وإقناعي وآثاري ومنها حقيقي ، والحقيقي مختلف ونشير إلى بعض ذلك على جهة التنبيه .

المعنى الظاهري

فنقول أنه قيل أن قوله عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) من باب التعليق على المحال فإن معرفة النفس محال فكذا معرفة كنه ذات الحق عز وجل ، ويرد على ذلك حال الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام في المعرفة فإنهم يعرفون أنفسهم ، وقد دل مفهوم الآية على ذلك وهي قوله تعالى ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾[1] ، فقد دل مفهوم الآية والصفة على أن الله سبحانه أشهد الهادين عليهم السلام خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم واتخذهم أعضادا ، يعني أعضادا لخلقه كما ذكره الحجة عليهم السلام في دعاء شهر رجب في قوله ((أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك

---

[1] الكهف ٥١

وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[1] ، وكقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] فإذا عرفوا أنفسهم عرفوا ربهم ، فأين التعليق على المحال .

وقيل معناه كما نقل عن داود النبي صلوات الله عليه أنه قال ما معناه (من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربه بالقدرة ، وهكذا) وهذه المعرفة ظاهرها قريب إلى الأفهام وباطنها يطول به الكلام وحاصله يظهر مما يأتي إنشاء الله .

وقيل من عرف نفسه بالحيوانية الحسية الفلكية بأنها ليست في مكان من الجسد ولا يخلو منها مكان منه وليست فيه على جهة الحلول ولا بائنة منه ، بل هي فيه لا كالماء في الكون ولا هي كشيء داخل في شيء كالماء في العود الأخضر ، ولا هي خارجة عنه كشيء خارج ، ولا ممازجة ولا مصاحبة معه بل هي مدبرة للبدن بغير مباشرة ، ولا مشاركة له في شيء من أحوال الأجساد ، فمن عرف نفسه كذلك فقد عرف ربه تعالى بأنه مدبر للعالم وأنه لا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان ، داخل لا كشيء

---

[1] الإقبال ٦٤٦ من دعاء إمامنا الحجة عليه السلام في كل يوم من رجب

[2] فصلت ٥٣

داخل ، خارج لا كشيء خارج ، إلى آخر ما ذكر في صفة النفس ، وهذه معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين .

وقيل معناه من عرف نفسه بأنه مصنوع فقد عرف له صانع ، ومن عرف نفسه بأنه أثر فقد عرف له أن له مؤثرا وهكذا ، وهذه معرفة أهل الآثار .

وقيل معناه من عرف نفسه في قوله روحي وجسدي ويدي ورجلي وعيني ورأسي ووجودي فهذا الذي أضيف إليه هذه الأشياء وما أشبهها هو غيرها ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، فمن عرف هذا المعبر عنه بفم المتكلم فقد عرف ربه في قوله تعالى عبدي وأرضي وسمائي وعرشي وبيتي وما أشبه ذلك ، ويريد القائل بالنفس النفس الناطقة التي أصلها العقل منه بدأت وعنه وعت وإليه دلت وأشارت ، وهذه النفس أعني الناطقة في الإنسان الصغير بمنزلة اللوح المحفوظ في الإنسان الكبير ، وحيث ثبت أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد كانت هذه النفس تدل على وحدانيته عز وجل .

المعنى الحقيقي

واعلم أن هذه الأقوال تدل على المعرفة الظاهرة ، وأما المعرفة الحقيقية فهي معرفة النفس التي هي كنه الشيء من ربه لأنه تعالى لما خلق الإنسان فأول ما كونه فتكون كانت له حقيقة من ربه وحقيقة من نفسه ، فالتي من ربه هو النور المعبر عنه تارة بالماء الذي جعل منه كل شيء حي ، وتارة بالوجود وتارة بالنور ، كما قال عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[1] ؟، وقال الصادق عليه السلام ((إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)) ثم استشهد بكلام جله أمير المؤمنين عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) ثم قال عليه السلام ((يعني بنوره الذي خلق منه))[2] ، وتارة يعبر عنه بالفؤاد كما قال الصادق عليه السلام ما معناه (وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد أحب ، وإذا أحب لم يؤثر ما سوى الله عليه) ، وتارة يعبر عنه بالمادة الأولى كما هو مبين على طريقتنا إذا قلنا الوجود وأردنا منه الوجود الموصوفي لا الصفتي كالمصدري والرابطي والغائي وما أشبهها فإنا نعني بالوجود الذي هو الذات المادة ، وذلك فإن

---

[1] الاختصاص ٣٠٦

[2] بحار الأنوار ٦٧/ ٧٥ ح ٦

للإنسان كنهين كنهه من ربه وهو النور الذي هو مادته الأولى ، وكنه من نفسه وهي الظلمة وهي الصورة ، أعني انفعاله وقابليته للوجود وهي المسماة بالماهية ، والكنه الأول هو النفس التي من عرفها فقد عرف ربه ، يعني أن معرفتها عين معرفة الله إلا أن هنا معرفتين معرفة النفس ومعرفة الرب ، لأنه عليه السلام قال ((فقد عرف ربه)) ، وقد للتحقيق وقد دلت على أن المعرفة واحدة بجهته ، وفي بيان هذا الحرف دفع الإشكال المشار إليه سابقا ، والبيان على بيان حقيقة الأمر يتوقف على بيان معرفة حقيقة النفس وعلى بيان كيفية الوصول إلى ذلك .

أما الأول فاعلم أن النفس هي حقيقتك من ربك إذا عرفتها فقد عرفت ربك أنه لما كان لا يعرفه أحد غيره إلا بما وصف به نفسه وأراد بكرمه عليك ورحمته بك أن تعرفه وصف نفسه وألبسه صورة قبوله وأنزله في رتبته من أكوان الإمكان فظهر بإياك فأنت ذلك الوصف بذاتك وحقيقتك التي هي نفسك هي ذلك الوصف ، فإذا كانت نفسك هي وصف الله الذي وصف به نفسه لك وكان من عرف الوصف عرف الموصوف لأن الموصوف لا يعرف إلا بوصفه كنت إذا عرفت

نفسك عرفت ربك ، ومثال حقيقتك التي هي وصـف الله نفسـه لك به كصورة السراج في المرآة ، فإن الصورة إذا عرفـت نفسـها التي من جهة السراج وهي مادة الصورة وهي هيئة شعلة السراج ، لأن مادة الصورة هي صفة الشـعلة المنفصلـة أعـني الهيئـة الـتي أشرقت على المرآة لا الهيئة التي قامت بالشعلة قيام عروض لأنها متصلة بها لا تنفصل عنها وإنما ينفصل عنها شبحها وهو الواقع على المرآة وهو حقيقة الصورة من الشعلة ، فالصورة في المرآة إذا عرفت نفسها التي هي هيئة الشـعلة عرفـت الشـعلة الـتي هـي ربها ، وصورة الصورة هي حقيقة الصورة مـن نفسـها الـتي هـي هيئـة المـرآة مـن كـبر وصغـر وبيـاض وصفـاء واسـتقامة وأضدادهـا ، فالنـار الغائبـة في السـراج هـي آيـة ذات الله عـز وجل ، وحرارتها هي آية المشيئة ، والدهن المستحيل بحرارة النـار دخانا هي آية الحقيقة المحمدية ، والدخان المستنير بمس النار الـذي حصل منه الشعلة أي من مجموعها هو آية المقامات الـتي لا فـرق بين الله سبحانه وبينـها في المعرفـة إلا أنـها عبـاده وخلقـه وهـي العنوان وهي المثال وهي بالنسبة إلى الواجب الحق تعالى كالقائم بالنسبة إلى زيد ، والصورة التي في المرآة إنما تحكي صورة الشـعلة القائمة بها لأن الحكاية أصلها الصـورة القائمـة بالشـعلة وهـي

الوجه وهي مثال النار وعنوانها، والصورة في المرآة إنما تعرف أصلها ولا تعرف النار التي هي آية الله وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)) ، وأما صورة الصورة التي هي من هيئة زجاجة المرآة فلا تعرف الصورة بها هيئة الشعلة لأنها ليست صفة لها، فكذلك نفسك التي هي حقيقتك من ربك تعرف بها ربك لأنها وصفه، أي وصف الرب الذي هو المثال والعنوان والوجه، لأن حقيقتك هذه هي الفؤاد وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتوسم أي صاحب الفراسة، وهي المسماة بوجودك في اصطلاحهم.

وأما حقيقتك من نفسك التي هي مثالك وهي الظلمة والماهية فلا تعرف بها ربك، لأنها هي أنت والله سبحانه لا يعرف بك بخلاف حقيقتك من ربك التي هي وصفه الذي وصف به نفسه لك لتعرفه بهذا الوصف فإنه وصف فهواني خاطبك به عز وجل مشافهة حين قال لك في عالم الذر ألست بربك ومحمد نبيك وعلي وليك والأئمة من ولده أئمتك، فقلت: بلى وقولك بلى هو حقيقتك من نفسك وخطابه تعالى هو الوصف الفهواني الشفاهي على جهة العيان والتصريح في البيان وتمت

كلمته وبلغت حجته ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[1] ، وفي المقام أسرار ودقائق لا تظهر ولا تعلم إلا بالمشافهة .

كيف تعرف نفسك

وأما الثاني وهو بيان كيفية الوصول إلى معرفة ذلك الأنموذج الفهواني والوصف الشفاهي الرباني فقد ورد في حديث كميل حين سأل أمير المؤمنين عن الحقيقة وهي معرفة هذه الحقيقة التي نحن بصدد بيانها بقوله ((ما الحقيقة ، فقال عليه السلام : ما لك والحقيقة يا كميل ، فقال كميل : أو لست صاحب سرك ، قال عليه السلام : بلى ، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ، قال : أو مثلك يخيب سائلا ، قال عليه السلام : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : محو الموهوم وصحو المعلوم ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : هتك الستر وغلبة السر ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : جذب الأحدية لصفة التوحيد ، قال : زدني بيانا ، قال : أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) .

---

[1] فصلت ٤٦

كشف سبحات الجلال بغير إشارة

فقوله ((كشف سبحات الجلال بغير إشارة)) قد بين جميع أنحاء التجريد ، والمراد بالسبحات أشعة الجلال وهي الشئون والصفات ، والجلال يراد منه هنا ذات الشخص أعني حقيقته من ربه ، وكيفية تجريد السبحات أن تلقي عن ذاتك في الاعتبار والوجدان جميع شئون ذاتك ، فلا تنظر إلى حركتك أو سكونك أو نومك أو يقظتك أو ضحكك أو بكائك أو كونك في أو على أو من أو في أو أنك أبو فلان أو ابن فلان أو حادث أو قديم أو موجود أو مفقود أو لك اتصال أو انفصال أو اجتماع أو افتراق أو أنك مطابق أو مبائن أو واجد أو فاقد ، وتلقي عنك كل معنى أو صفة أو حال ، سواء كان اعتبارا أو فرضا واحتمالا وتجويزا ذهنا أو خارجا أو نفس الأمر ، فكل ما يصدق عليه أنه شيء بكل اعتبار تلقيه عن النظر إلى نفسك وتسقطه من عين الاعتبار لأنه مغاير لنفسك ، فإذا ضممت شيئا آخر إلى نفسك في معرفتها لم تعرفها وإنما عرفت شيئا بعضه نفسك كما إذا عرفت نفسك بالحدوث فإنك عرفت مركبا وبهذا لا يعرف الله لأنه تعالى ليس بمركب فلا يعرف بمركب ، فلا بد من كشف سبحات الجلال كلها حتى الإشارة كما قال عليه السلام ((من غير

إشارة)) ، بمعنى أنك تجرد نفسك عن جميع السبحات أي الشئون والنسب والصفات والأفعال والتضايف والأوضاع حتى عن التجريد إلى أن لا يبقى إلا محض الذات ، وهو أنموذج وصفي وخطاب فهواني لأنه مثل بكسر الميم وسكون الثاء أي العنوان والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان وهو مثل ليس كمثله شيء ، ولو كانت نفسك بعد التجريد التام حتى عن التجريد لها مثل بكسر الميم وسكون الثاء لما كان معرفتها معرفة الرب عز وجل لأنه تعالى لا يعرف بالمثل وإنما يعرف بأنه لا مثل له فيجب أن تكون الآية الدالة عليه أنها أيضا لا مثل لها .

فإن قلت : نفسي لها مثل وهو نفسك ، قلت لك : نعم ، ولكن نفسي في كونها مثلا لنفسك ليست هي نفسك بل غيرها ، فإذا كانت غير نفسك وجب في تجريد نفسك نفي المغايرة والمماثل حتى لا يبقى إلا محض النفس ، وليست المماثلة جزء ماهيتها ، فإذا جردتها في الاعتبار والوجدان عن كل مماثل وكل مخالف بقي شيء لا يشبهه شيء ، لأن المشابهة ليست جزء لكنهها ، فإذا وصلت في تجريدها إلى أن لا يبقى شيء ليس كمثله شيء ، فإذا عرفت شيئا ليس كمثله شيء فقد عرفت ربك لأنه تعالى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لأن نفسك

حينئذ آية الله التي ذكرها في كتابه فقال ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1] والآية التي أراكها في نفسك إذا كشفت عنها سبحات الجلال فإنها آية الله الدالة عليه وصفته التي من عرفها فقد عرفه ، وهي كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)) .

والجلال في الحديث بمعنى الحجاب ، لأن نفسك أعظم الحجب وأغلظها وباقي الحجب بالنسبة إليه شئونك التي هي السبحات في الحديث ، لأنه عز وجل احتجب عنك بك أي احتجب عنك بنفسك مع شئونها وسبحاتها ، فإذا ألقيت السبحات رقت نفسك ولطفت فعرفته بها ، لأنه تعالى تجلى لها بها كما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام ((لم تحط به الأوهام ، بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها))[2] ، وروي أن نبيا من أنبياء الله ناجى ربه فقال ((يا رب كيف الوصول إليك ، فأوحى الله إليه : ألق نفسك وتعال إلي)) ،

---

[1] فصلت ٥٣

[2] شرح النهج ١٣ / ٤٤

والمراد بالإلقاء هو عدم التفاته إلى نفسه أصلا بأن يطرحــها مــن الوجدان والالتفات إليها .

محو الموهوم وصحو المعلوم

وقوله عليه السلام في بيان الزيادة ((محو الموهوم وصحــو المعلوم)) معناه أن كشف سبحات الجلال هــو محــو الموهــوم لأن الإنية التي تلك الســبحات والشئون أركانــها الــتي تتقــوم بــها موهومة ، بمعنى أنها ليست شيئا بنفسها وإنما هي شيء بــأمر الله الفعلي أعني المشيئة ، وبأمر الله المفعولي أعــني الحقيقــة المحمديــة ، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾[1] .

هتك الستر

وقوله عليه السلام ((هتك الستر وغلبة الســر)) معنــاه أن كشف سبحات الجلال من غير إشارة هو هتــك الســتر الــذي هــو الحجــاب الــذي يســتر العبــد عــن مشــاهدة آيــات الـــرب سبحانه ، لأن السبحات تغطي قلوب العارفين عــن رؤيــة أنــوار التوحيد ، فكشف السبحات هو هتك الأســتار والحجــب المانعــة وعنده يغلب ظهور السر الذي هو معرفة نفســك بــأنك أنمــوذج فهواني ووصف صمداني خاطبك الله به وبعبارة بك .

[1] الكهف ١٨

جذب الأحدية

وقوله عليه السلام ((جذب الأحدية لصفة التوحيد)) معناه كالذي قبله ، يعني أن كشف سبحات الجلال من غير إشارة هو أن يجذب الجلال الذي هو الأحدية هنا سبحاته التي هي صفة التوحيد ، بأن تمحوها من مراتب وجدانها بعدم الالتفات .

أشرق النور

وقوله ((نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)) معناه أن تلك الحقيقة التي من عرفها فقد عرف ربه نور أشرق من صبح الأزل هو مشيئة الله وإرادته والله سبحانه هو الأزل ، يعني أن تلك الحقيقة التي هي نفسك من ربك أعني وجودك وفؤادك نور صدر من فعل الله فخرج على هيئة الهادين الموحدين آثاره أي آثار ذلك النور المشرق وهو أنت فإنك آثار حقيقتك أي على صورتها .

تجلت الحقيقة

وقوله عليه السلام ((أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) يعني به إذا أردت أن تعرف المعلوم فانف عنك السبحات الموهومة التي تحس بها ظاهرا أنك موجود كالسراج الذي تستضيء به في ليل الأجسام والطبيعة فقد طلع صبح الوجود فأطفئ عنك ما هو كالسراج إذا طلع الصبح فافهم .

واعلم أن هنا وجها آخر غير ما ذكر كله وهو سهل التناول على الأفهام ، وهو أنك إذا عرفت نفسك بأنك أثر عرفت المؤثر ، لأن معرفة الأثر تستلزم معرفة المؤثر فإذا نظرت إلى نفسك وعرفت أنك مصنوع عرفت أن لك صانعا ، وإذا نظرت إلى أنك أنت أنت لم تعرف بهذا أن لك صانع ، لأن إنيتك ظلمة والظلمة لا يبصر بها الناظر لأنها صفتك وصفة الشيء لا يعرف بها غيره بخلاف حقيقتك منه تعالى من فعله فإنها أثر والأثر يدل على المؤثر لأنه صفة استدلال على المؤثر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)) ، وفيما أشرنا إليه في بيان قوله عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) كفاية لأولي الألباب ، وصلى الله على محمد وآله الأطياب وإليه الإياب .



وفيها مسائل في شرح بعض الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام



في شرح حديث الأسماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه قد التمس مني الابن الروحاني الشيخ علي ابن المقدس الشيخ صالح بن يوسف أعلى الله رتبته ورفع درجته أن أكتب على هذا الحديث الآتي ما يحضرني من بيان المراد منه فإن شراحه لم يقفوا على شيء من المراد منه لأنه من أصعب ما ورد لخروجه على خلاف ما تعرفه العقول المتفقلة وإنما هو جار على ما تعرفه الأفئدة المؤيدة ، فاعتذرت منه لشدة صعوبة ذلك وتمنعه

من المنال ، ولكثرة اشتغال البال بالحل والارتحال ، فلم يقبل مني عذرا فجعلت سؤاله أمرا إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وتوكلت على الحي الذي لا يموت رب العزة والجبروت ومالك الملك والملكوت ، فأقول وبالله أستعين .

في الكافي باب حدوث الأسماء علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن الله تعالى خلق اسما بالحرف غير متصوت ، وباللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عن الأقطار ، مبعد عن الحدود ، محجوب عن حس كل متوهم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو الله تبارك تعالى ، وسخر الله لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركنا ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسما فعلا منسوبا إليها ، فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير

الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرزاق المحيي المميت الباعث الوارث ، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين اسما فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة أركان ، وحُجِبَ الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1]))[2].

اعلم أرشدك الله أن هذا الحديث الشريف أبعد غورا من أن يطلع على باطنه لأنه قد اشتمل على بيان تفصيل الوجود من الأجناس والفصول وتقسيم الفروع والأصول ، والذي يظهر لي أن بيانه على ما أشير فيه إليه من التفصيل والتقسيم لا يحصل لغير أهل العصمة ، نعم يمكن الإشارة إلى كليات تلك الأصناف ومجملات تلك الأوصاف وتنويعها في الاختلاف والائتلاف وهو غاية ما تصل إليه طامحات الأفهام ونهاية ما تحوم

---

[1] الإسراء ١١٠

[2] الكافي ١/ ٨٧ –٨٨

حوله حائمات الأوهام ، ومع ذلك كله لا تنال منه إلا بالإشارة وما أعز ما يناله .

منتهى الحظ ما تزود منه　　اللحظ والمدركون ذاك قليل

ولا بأس بالإشارة إلى ما يمكن الإشارة إليه فأقول وبالله أستعين .

الاسم الأكبر المكنون المخزون

قد اختلف المفسرون في المراد منه والذي أجري على خاطري أن المراد بهذا الاسم المخلوق هو مجموع عالم الأمر بجميع مراتبه الأربع وعالم الخلق بجميع مراتبه الثمانية والعشرين ، لأن ذلك الاسم هو مجموع الوجود بأسره وهو الاسم الأكبر المكنون المخزون وليس ذلك لفظيا فلا يكون مشتملا على تصوت ولفظ النطق وشخص الجسد وتشبيه الصفة ولا الصبغ لأنها به كانت وعنه صدرت ، وليس جسما ولا مقدارا فلا تعتريه الأقطار ولا حد له ولا حجاب له غير ظهوره ، واحتجب عن إحساس الأوهام بإحساسها ، واستتر بظهوره .

قوله عليه السلام ((فجعله كلمة تامة)) .

لاشتماله علـى جميـع مظـاهر الصفـات الحقيـة والخلقيـة والإضافية من مبادئ الحدوث والإمكانات وعللها ، وجميـع أنحـاء الخلق والرزق والحياة والممات إذ لا يوجد سواه ، بل كـل موجـود فمنه متفرع وعنه انشق وبه تقوم وله خلق وإليه يعود .

قوله عليه السلام ((على أربعة أجزاء معاً)) .

عالم الأمر

الجزء الأول عالم الأمر وهو النقطة ، أعني الرحمة والألـف أي العماء الأول ، والنفس الرحماني بفتح الفاء ، والحروف المشار إليها بالسحاب المزجى ، والكلمة التامة المشار إليـها بالسـحاب المتراكم ، وهذه الأربعة هي مراتب المشيئة في الوجود المطلق وهو الوجود الأمري ، وإنما قلنا أن هذه الكلمة تامة لأن تمام هـذه تمـام جزء وذلك تمام كل ، وباعتبار آخر تمام هذه تمام جزئي وهـذه تمـام كلي ، وهذا الجزئي هو المكون الحق والوجـود المطلـق والشـجرة الكلية والحقيقة المحمديـة ، رتبتـه مقـام أو أدنـى ووقتـه السـرمد وشأنه المدد .

النور الأبيض

والجزء الثاني هو النور الأبيض والقلم الجـاري والألـف القائم وخزانة معاني الخلق وهو العقد الأول وهو العقل الكـل

وهو ملك له رؤوس بعدد الخلائق لم يخلق الله شيئا إلا ويكون في ذلك وجه لذلــك الشـيء ورأس خـاص بـه تتفـاوت الـرؤوس والوجوه بتفاوت ما هي عليها .

النور الأصفر والأخضر

والجزء الثالث هو النور الأصفــر وخزانـة الرقـائق وهــو الروح والنفس باعتبار ، وباعتبار آخر نور أخضر إلا أن الغـرض بيان الأجزاء لا غير ، ولـه مـن الـرؤوس والوجـوه كمـا للجـزء الثاني .

والجزء الرابع النور الأخضر جسم الكل .

معنى آخر

وربما فسرت الأجزاء الثلاثة بما تتضمن البسملة من صفة الله وهـي النـور الأبيـض وهـي شـهادة أن محمـدا رســول الله ، وباعتبار هي شهادة أن لا إله إلا الله وهي الألــف القـائم ، ومـن صفة الرحمــن وهـي النـور الأصفـر والألـف المبسـوط باعتبـار ، وباعتبار آخر بين بين صورتــه كضلعـي المثلـث القـائم الزاويـة هكذا (الـ) وهي شهادة أن الأئمة الاثني عشر خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباعتبـار هـي شـهادة أن محمـدا رسـول الله صلى الله عليه وآله ، ومن صفــة الرحيـم وهـي النـور الأخضـر

والألف الراكد الذي يظهر بصورة الباء ويكون باء وهي الكروبيون والأنبياء والمرسلون والأتباع لأن الرحيم على الأقوى صفة الرحمن وصفته صفة لصفة الرحمن .

وبالجملة فالمراد بالأربعة الأجزاء بالعبارة الظاهرة المشيئة وعقل الكل ونفس الكل وجسم الكل .

متساوية في الظهور

قوله عليه السلام ((ليس منها واحد قبل الآخر)) .

لا ريب أن هذه الأجزاء بعضها متقدم على بعض في الذات وإنما تساوت في الظهور لتوقف ظهور المشيئة على ظهور ما بعدها ، فتكون هذه الأربعة متساوية في الظهور فليس شيء منها قبل الآخر .

قوله عليه السلام ((فأظهر منها ثلاثة لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون)) .

المراد بالثلاثة التي أظهرها سبحانه العقل والنفس والجسم ، والمراد بالاسم الذي حجب هو المشيئة وهو الاسم المكنون المخزون .

وإنما احتاج الخلق إلى هذه الأسماء الثلاثة لأن التكوين والتكليف الذين بهما قوامهم واستقامة نظامهم وبلوغهم

غايات كمالاتهم لا يكونون بدونها ، أعني العقول والنفوس والأجسام ، وإنما لم يحتاجوا إلى الرابع لأنهم لا يتوقف نظامهم ولا تكليفهم ولا بلوغهم أعلى الدرجات على معرفة المشيئة ومعرفة تقومهم بها إلا في الاعتقاد ويكفي فيه معرفة العقول التي فيهم .

قوله عليه السلام ((فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو الله تعالى وهي هذه الثلاثة)) .

وقوله ((فالظاهر هو الله تبارك وتعالى)) المراد ما أشرنا إليه فإن صفة الاسم الكريم الذي هو الله هو العقل الأول إذ ليس المراد بهذه هذا اللفظ لأنه قال ((بالحروف غير مصوت)) وهذا متصوت بالحروف ملفوظ بالنطق ، والمراد به معناه الذي هو الذات المتصفة بالألوهية ، وإنما المراد مظهره وهو العقل كما أشار سبحانه بقوله ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فذكر الله وذكره مظهره وهو قوله ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾[1] وهو العقل الأول وهو الاسم الذي أشرقت به السموات والأرضون وهو المصباح الظاهر في الأشباح ، وتعالى إشارة إلى صفة العلي وهي النفس ،

---

[1] النور ٣٥

وتبارك إشارة إلى صفة العظيم وهـو الجسم ، وفي رواية أخرى ((فالظاهر هو العلي العظيم)) والمعنى واحد .

لكل اسم أربعة أركان

قوله عليه السلام ((وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركنا)) .

والأصل في ذلك أنه لما كان كل جزء منها عالما مستقلا وجب أن يكون جامعا لما يتم به النظام من الأصول الأربعة التي هي الخلق والرزق والحياة والممات فيكون كل واحد منها مربعا لاشتماله على أربعة أصول ، وسخر سبحانه لكل أصل ملكا حافظا له قائما به قد وكله الله بتلقي فيوضاته وإبلاغها غاياتها ، وجعل لكل ملك ملائكة يخدمونه في المراتب الثلاثة يسلكون فيها بهديه سبل ربهم ذللا كل منهم من جنس ما وكل به ، ففي العقول عقليون مختلفوا المراتب لاختلاف مراتب العقل كما وكيفا ، وفي النفوس والأرواح روحانيون ونفسانيون مختلفوا المراتب لاختلاف مراتب الروح والنفس كذلك ، وفي الأجسام جسمانيون مختلفوا المراتب كذلك ، واختلافهم في الأربع الطبائع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة في المراتب الثلاث كذلك ، فإن العقول تجري فيها الطبائع الأربع العقلية لذاتها وما يطرأ

عليها من الإضافات من محالها ، وكذلك النفوس والأجسام كل بحسبه لذاته وما أضيف إليه ، فالملك الموكل بركن الإيجاد والخلق جبرئيل وله جهة وأجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، فهذه ثلاثة أركان لجبرئيل يتصرف بها كما أمر في العوالم الثلاثة عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ، وهذه العوالم الثلاثة هي مجموع عالم الخلق وهو الوجود المقيد .

ركن الحياة

والملك الموكل بركن الحياة إسرافيل وله جهة أجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلانية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، فهذه ثلاثة أركان لإسرافيل يتصرف بها

كما أمر في العوالم الثلاثة عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك .

ركن الرزق

والملك الموكل بركن الرزق ميكائيل وله جهة أجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلانية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، فهذه ثلاثة أركان لميكائيل يتصرف بها كما أمر في العوالم الثلاثة أيضا .

ركن الممات

والملك الموكل بركن الممات عزرائيل وله جهة أجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلانية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها ، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في ذلك أعوانه المجانسون لها ، فهذه ثلاثة أركان فهذه ثلاثة أركان لعزرائيل يتصرف بها كما أمر في العوالم الثلاثة المذكورة .

فهذا اثنا عشر ركنا لكل ملك ثلاثة أركان ولكل ملك طبيعتان ، وأعوانهم كل على طبيعة متبوعه وللمتبوع على التابع هيمنة وتسلط من الجهة التي سخر لها ، فجبرئيل يعين بحرارته إسرافيل في الحياة وبيبوسته عزرائيل في الممات ، وإسرافيل يعين بحرارته جبرئيل في الخلق وبرطوبته ميكائيل في الرزق ، وميكائيل يعين برطوبته إسرافيل في الحياة وببرودته عزرائيل في الممات ، وعزرائيل يعين بيبوسته جبرئيل في الخلق وببرودته ميكائيل في الرزق .

العرش فيه كل شيء

وقد دلت الآثار على أن العرش الذي هو خزان كل شيء من الخلق ولا يظهر شيء في الأعيان ولا يرتبط شيء منها إلا وقد كان فيه وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1] لأنه استوى برحمانيته على عرشه الذي هو خزائن كل شيء فأعطى بفضله ابتداء منه كل ذي حق حقه وساق بكرمه إلى كل سائل منه فقير إليه رزقه لا ينزل ويظهر من غيب العرش

---

[1] طه ٥

إلا بتقديره قال تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] ، وعلى أن العرش مركب من أربعة أنوار نور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أبيض منه ابيض البياض ومنه ضوء النهار ، وكل نور من هذه الأنوار الأربعة قد تقدم به ربع من كل شيء من العوالم الثلاثة الجبروت والملكوت والملك فيكون ما تقوم به الربع تاما في الجهة التي به تقومت .

لكل ركن ثلاثين اسما وفعلا

قوله عليه السلام ((ثم خلق لكل منها ثلاثين اسما وفعلا منسوبا إليها)) .

اعلم أنه لما كان كل ركن من هذه الأركان الاثني عشر تاما في جهة ، فالنور الأحمر تام في تقويم ربع من الجهة العقلية وتقويم ربع من الجهة النفسية وتقويم ربع من الجهة الجسمية ، وكذلك النور الأصفر والأخضر والأبيض ، فإذا ثبت أن ما يتقوم به ربع من كل عالم تام في ذلك دل ذلك على تدويره وتكويره في المتولدات الثلاثة المعدن والنبات والحيوان ، وذلك

---

[1] الحجر ٢١

أن أصل مبدأ التكوين هو أن الله سبحانه خلق الحرارة من حركة الفعل الكونية ، وخلق البرودة من سكون المفعول المكون ، فأدار الحرارة على البرودة والبرودة على الحرارة فتكونت الطبائع الأربع ، فلما كانت الطبائع الأربع وتمت جعلها بكمال صنعه وإتقان علمه أصلا لعالم الغيب والشهادة فهي في كل عالم من جنس جواهر علله ، فأدار هذه الأربعة بعضها على بعض فتولدت منها المعادن ، ثم أدارها في المعادن كذلك فتولدت النباتات ، ثم أدارها في الجميع فتولدت منها الحيوانات ، فصارت بذلك ثلاثين دورا وذلك لأن الأفلاك تسعة والأرض عاشرة ، والشيء الكائن قد تكون من عشر قبضات من كل واحد من هذه العشرة قبضة وكل قبضة أديرت ثلاث دورات في الطبائع الأربع قد تكون في الأولى معدنها وفي الثانية نباتها وفي الثالثة حيوانها ، سواء كانت القبضة جبروتية أو ملكوتية أو ملكية إلا أن طبائعها وإدارتها ونفسها من جنس ما هي منه فصار ثلاثين دورا في كل ركن من الأركان الاثني عشر فصار جميعها (٣٦٠) ثلاثمائة وستين وفي كل واحد منها روح به يتقوم ، وهو اسم من أسماء الله تعالى وهو مظهر من مظاهر الاسم المكنون المخزون المشار إليه سابقا ، وهو في كل واحد فعل منسوب إلى ذلك

الواحد الذي تقوم به يعني أنه خاص به ، والمراد أن ذلك الاسم المنسوب إلى ذلك الواحد من الثلاثين الدور من كل ركن من الاثني عشر فعل من أفعال الله تعالى وهو فعله الخاص بذلك المفعول ، أعني الواحد المشار إليه وذلك الفعل اسم من أسماء الله تعالى .

قوله عليه السلام ((فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارئ المصور إلخ)) .

تمثيل للأسماء بذكر بعضها .

كل الأسماء راجعة إلى هذه الثلاثة

ثم قال عليه السلام ((فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين اسما فهي نسبة إلى هذه الأسماء الثلاثة)) .

أي جهة من جهاتها وفروع من فروعها لأنها مظاهر لهذه الأسماء الثلاثة ، فهي نسبة لها أي بيان لصفتها وفعلها .

أركان الكلمة التامة

قوله عليه السلام ((وهذه الأسماء الثلاثة أركان)) .

أي أركان للكلمة التامة ، ويجوز أن يكون أركان لظهور الاسم المخزون .

وهذا الاسم محجوب

قوله عليه السلام ((وحجب الاسم المخزون المكنون بهذه الأسماء الثلاثة)) .

يعني أنه سبحانه قد حجب الاسم المشار إليه بهذه الأسماء الثلاثة أي بظهورها ، لأنه إذا ظهر بنفسه غيبها وإذا اختفى ظهرت ، فلما ظهر بها احتجب بظهورها لأن المشاء إذا ظهر خفيت المشيئة وذلك قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1] ، يشير إلى أن للأسماء الثلاثة على سائر الأسماء الثلاثمائة وستين هيمنة وربوبية لأنها تدخل تحت هذه الثلاثة فهي صفاتها ، فقوله تعالى ((فله)) أي لكل من هذين الاسمين الأسماء الحسنى ، يعني تكون هذه الأسماء صفة لله وداخلة تحت حيطته وكذلك الرحمن ، والمراد به هنا في هذا الحديث تعالى أي العلي ، وكذلك العظيم وتبارك هنا بمعناه .

معنى دخولها تحت الأسماء الثلاثة

ومعنى دخولها تحت حيطة هذه الثلاثة أنها تنسب إليها ، تقول (يا الله ارحمني ، يا الله ارزقني ، يا الله اغفر لي ، يا الله أهلك عدوي) وكذلك الرحمن ولا تقول يا رحيم أهلك عدوي يا

---

[1] الإسراء ١١٠

مهلك اغفر لي وارزقني ، بل تقول يا مهلك أهلك عدوي ، يا غفور اغفر لي ، يا رزاق ارزقني ، لعدم شمول ما سوى هذه الأسماء الثلاثة أعني الله والعلي والعظيم ويراد بالعلي معنى الرحمن أو يراد بالعظيم معنى الرحمن على الاعتبارين ، فتفحص أن الاسم المذكور هو مجموع الوجود المطلق الذي هو عالم الأمر ، والوجود المقيد الذي هو عالم الخلق وأنه على أربعة أركان متساوقة في الظهور وإن سبق بعضها بعضا في الذوات ، وأن المكنون المخزون منها هو المشيئة ، وأن الثلاثة الظاهرة التي هي عالم الخلق عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ، وأن لكل واحد من هذه الثلاثة أربعة أركان ركن خلق وإيجاد وركن حياة وركن رزق وركن ممات ، وأن كل ركن تكون من تسعة أفلاك وأرض ، وأن كل واحد من هذه العشرة أديرت ثلاث دورات دورة في معدنه ودورة في نباته ودورة في حياته فيكون في كلٍّ ثلاثون فعلا منسوبا إليه خاصا به وهو اسم من أسماء الله الجزئية ، وأن تلك الثلاثة الأسماء الكلية أركان للوجود المقيد الذي أوله العقل وآخره التراب ، وأنه سبحانه قد حجب الاسم المكنون اكتفاء بظهور آثاره في الثلاث لعدم احتياج الخلق إلى أزيد من ذلك ، وأن هذه الثلاثة تدخل تحتها باقي الأسماء كما أنها تدخل تحت

الاسم المكنون المخزون صلى الله على محمد الأمين وآله الطيبين وشيعتهم الميامين .

واعلم أني قد ذكرت ما لم يذكره غيري من شراح هذا الحديث الشريف ، وكشفت عن معمّى أسراره ما لم يكد يعثر عليه الفهم اللطيف ، ولم أترك شيئا وجدته في نور الله حال الكتابة والتأليف إلا أشرت إليه إلا ما كان من طريق التفصيل والتعريف والاستقصاء على ذلك يضيق به الزمان ، وأجلت ما لم أذكره من جهة طريق الحديث ونعته وظاهر عبارته على ما ذكره الشارحون ، فليطلب ذلك مبتغيه من كتب ذويه ، والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في شرح حديث كميل

قال سلمه الله : المسألة الثانية أن يمن علي بتحقيق الكلام في حديث كميل كما ينبغي بأن يتفضل علينا معاشر الطلبة بل وعلى العلماء أيضا لا سيما من لا خبرة له بطريقتكم وتحقيقاتكم النفيسة بشرح كل فقرة من فقراته ببيان مراداتها المعصومية ، وبالجملة شرحها كما هي دون الاكتفاء بأقل بيان وأدنى إشارة كما هو عادتكم الشريفة في أجوبة المسائل غالبا ، وهو أن أمير المؤمنين عليه السلام أردف كميل بن زياد النخعي يوما على ناقته التي ركب فقال كميل ((ما الحقيقة ؟ قال عليه السلام : ما لك والحقيقة ، فقال : أو لست صاحب سرك ، قال : ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ، قال كميل : أو مثلك يخيب سائلا ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : كشف سبحات الجلال من غير إشارة ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : جذب الأحدية لصفة التوحيد ، فقال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره ، قال

زدني بيانا ، فقال عليه السلام : أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) .

عن ماذا تسائل يا كميل

أقول : المسئول عنه حقيقة معرفة الله لا حقيقة ذات الله ((فقال : ما لك والحقيقة)) يعني أن الله معروف بما أظهر من آثار صنعه ودل بذلك على ذاته كما قال سيد الشهداء عليه السلام في مناجاته يوم عرفة ((تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء)) وقال عليه السلام فيه ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الإشارة هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا ..إلخ))[1] ، فإذا كان هذا حال تعرفه لخلقه فما لك تطلب أزيد مما ظهر لك بآياته ، وهذا تقرير منه عليه السلام على الاكتفاء بأدنى معرفة بنسبة حال العارف ، وفيه إشارة إلى أن الحقيقة لها أهل مخصوصون لست أنت منهم ، ولعله حث منه عليه السلام على الطلب لما في جوابه بالحقيقة من جلال المنافع والمراتب العالية لأهلها ليكون جوابه منهلا يروي العارفين ويهدي المؤمنين وأتى

---

[1] الإقبال ٣٤٩

به على أنحاء مختلفة في العبارة وإن كان معناه متحدا ليعلم كل أناس مشربهم وينال كل قوم مطلبهم .

كن مستعدا لتلقي الأسرار

فلما قال كميل ((أو لست صاحب سرك)) قرره على دعواه ليستميله ولا ينقطع رجاه ، ثم بين أن قولك هذا لا يحسن على إطلاقه ، لأنه ما وصل إليك من الأسرار إلا ما كان عندي من ظواهر الاعتبار وطافح الآثار .

فلما قال ((أو مثلك يخيب سائلا)) أجابه فكان كلامه عليه السلام له أولا بقوله ((ما لك والحقيقة)) يحتمل أنه أراد بذلك تعظيم ذلك في عين كميل ليستعد بكمال الاستعداد لا أنه ليس أهلا للجواب عما سأل ، ويحتمل أنه علم أنه ليس أهلا وأنه إنما أجابه فيما بعد إما لينال منه بقدره وإن كان ليس أهلا لحقيقة الجواب ، وإما لينقله إلى أهله مع أن من ليس بأهل لشيء قد ينتفع بشيء منه ، إذ قد يكون الشخص أهلا لظاهر هذا الكلام دون باطنه ، وقد يكون الكلام موضوعا لمعان يطلق عليها بالتشكيك فينتفع ببعضه .

وبالجملة فالذي يظهر أن السائل مع معرفتـه الكاملـة أن الكلام الذي ألقاه عليه السلام إليه لا يرشح عليه مـن معنـاه إلا ما يطفح منه ، كما قال عليه السلام .

كشف سبحات الجلال

وكـان جوابـه لـه ((كشـف سـبحات الجـلال مـن غـير إشارة)) المراد بالكشف هنا الإزالة من موضع نظر البصيرة وهو معنى المحو الآتي والهتك ، والمراد أن القلب أو الخيال يلاحظ شيئا محدود الحدود معنوية أو خيالية فهو حين يتوجـه إليـها ويلاحظـها محجوب بها محبوس في سـجن الظلمـات والكـثرات والحيثيـات والفرقيات والكيفيات مقيد بقيود التشابه والتشـاكل والتشـارك والتماثل والتجانس والتقارب والتبـاعد والاجتمـاع والافـتراق والمعية والبينونـة والبينـة واللميـة والإنيـة والإبانـة والتحديـد والتميز والتمييز والنفـي والإثبـات والضـم والتولـد والتوليـد والمعادلة والإفراد والجمع والكلية والجزئية والامتداد بين طرفـين وبين أوليـة وآخريـة والتجويـز والاحتمـال والغـرض والشـك واعتبـار مـن وإلى وفي وعلـى وكـان ولـولا وقـد إلا بالتـأويل والانبسـاط والاسـتدارة والدخـول والخـروج والعزلـة والحلـول والاتحـاد والممازجـة والتقلـب والخصـوص والعمـوم والإطـلاق

والتقييد والاستبانة والفعل والانفعال والحصول والوضع والأين ومتى والإضافة والنسبة والضدية والتضاد والتخالف والتوافق والتعالي والاعتزال والانعزال والفصل والوصل والتوقيت والانتظار والزيادة والنقصان والاستكمال والحالة والاستنارة والإنارة والحركة والسكون والنمو والذبول والشفافية والكمودة والتحلل والتخلل والتفتت والتقطع والصيرورة والصعوبة والسهولة والخشونة والنعومة والصلابة والصرابة والرخاوة واللين والخرق والالتئام والفرح والحزن والضيق والسعة والمرض والصحة والعافية والبلاء والضحك والبكاء والنوم واليقظة والخلاء والملاء والشدة والرخاء والجوع والظماء والشبع والري والخلو والامتلاء والفراغ والثقل والنطق والصمت والتعرض والتعريض والإيماء والتلويح والإشارة واللون والتلون والمعروضية والعارضية واللذة والنضرة والكبر والصغر والتوسط والثقل والخفة والتركيب والتأليف والتحول والانقلاب والانتقال والتغير والتبدل والغلظ والرقة والحدة والعتق والحدة والكلال والذكاء والبلادة والفهم والحمق والجهل والعقل والتصور والتوهم والشك والكشف والاستبانة والتفقد والإحساس واللمس والشم والذوق والسمع والبصر والتقدير

والتقدر والطول والعرض والعمق والقرب والبعد والشكل والهيكل والشمول والوضع والجذب والدفع والهضم والمسك وأمثال ذلك من الهيئات والنسب والإضافات والأحوال والكيفيات في الملك والملكوت والجبروت، فهذه وأمثالها مما يقع عليه الكشف من سبحات الجلال.

معنى السبحة

والسبحة النور والجلال، وسبحات وجه ربنا آلاؤه وعظمته ونوره، فعلى تفسير أن السبحات هي الجلال يكون المعنى كشف جلال الجلال، والمراد به النور أي نور الجلال، وإنما يسمى النور جلالا لقهاريته لكشف الظلمات فإن النور إذا ظهر على الظلمة امتنع وجودها معه عادة وعقلا بالنظر إلى الخلق، وعلى تفسير الآلاء أن كل شيء من الوجود إنما هو نعمة من نعم الله على غيره وعلى نفسه، وعلى تفسير العظمة أنه عظمة الله ومظهر عظمة الله، وعلى تفسير النور أن كل شيء ظاهر في نفسه عند من أدركه مظهر لغيره مما هو دليل عليه أو علة له، هذا في الحقيقة ولا نعني بالنور إلا الظاهر في نفسه عند من أدركه المظهر لغيره.

معنى الجلال

والجلال : قيل هو الحجاب أو القهر أو العظمة ، ونور الجلال قيل هو الجمال ، وقيل الجلال نور الجمال ، ولهذا قالوا لجمال الله سبحانه جلال إذا بدا غيب ما انتهى إليه ، وقيل لجلال الله جمال إذا بدا لشيء أشغله عن نفسه وعن غيره ، هذا إذا فسر الجلال بالعظمة ، وإن فسر بالعزة فعزة الجمال أنه ليس كمثله شيء ، بمعنى أنه تعرف بجمال من خلقه لا يشابهه شيء من خلقه ، وجمال العزة ظهور كمال أو كمال ظهور أو ظهور هو كمال ، لا يتناهى في الإمكان من كل جهة في كل جهة يتعالى عن جميع صفات الخلق ، فهو خلق لا يشبهه شيء من الخلق ولا يشبه شيئا من الخلق ، قال أمير المؤمنين عليه السلام ((رجع من الوصف إلى الوصف ، وعمى القلب عن الفهم ، والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله ، وهجم به الفحص إلى العجز ، والبيان إلى الفقد ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود والطلب مردود)) .

أقوى السبحات

وأقوى من السبحات المذكورة موضوعاتها ومعروضاتها من جميع الموجودات من الأعيان كزيد وعمرو والحجر والمدر والجبال والتلال والقفار والأشجار والطيور والدور والنبات والحب والثمار والمساجد والمدارس والطرق والأسواق والعقاقير والمعادن ، والحاصل سائر المعادن وسائر النباتات وسائر الحيوانات والعناصر وسائر ما في الملك والملكوت وما في الجبروت وما في البرازخ من أصناف الجواهر من كل ما هو ظاهر التركيب أو ظاهر البساطة وما حدث عن فعل الله وكلها أيضا من سبحات الجلال ، وهي للأولى جلال ، فالأولى سبحات جلال الجلال ، وسبحات سبحات الجلال ، وعلى كل تقدير فحيث تقرر في الحكمة الإلهية بدليل الحكمة أن جميع ذرات الوجود من عالم الغيب والشهادة من الجواهر الأعراض أعراض إضافية ، بمعنى أن الجوهر عرض بالنسبة إلى علته التي صدر عنها ، وهي عرض لعلتها وهكذا ، وكذلك نقول أن هذا الجوهر جوهر لعرضه ، وهذا العرض جوهر لما قام به ، وهذا الاعتبار صعودا ونزولا إلى غير النهاية في الإمكان فكل شيء من الخلق عرض لما فوقه ، جوهر لما تحته ، صح لأن يقال أن المذكورات أولا سبحات

سبحات الجلال والجلال أيضا سبحة لما فوقه ، وأن يقال أنها سبحات جلال الجلال .

والجلال إذا اعتبرت أنه الحجاب جاز أن يكون هو المقام ، وكذا إذا اعتبرت أنه العظمة فيكون معنى ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[1] من عرف الجلال أو العظمة عرف ربه .

من غير إشارة

وقوله ((من غير إشارة)) فيه دفع توهم من يتوهم أن كشف هذه السبحات جوهريتها وعرضيتها لا بد أن يكون بدلالة الإشارة القلبية فلا تكون مكشوفة ، فأبان عليه السلام أنها من السبحات بقوله ((من غير إشارة)) ، وإنما جعل الكشف للسبحات لا لمطلق الوجود لأن السبحات هي الموصوفة بالوجود المقيد ، وأما النفس المشار إليها في الحديث فهي الوجود بدون القيود ، وإذا اعتبرته بدون اعتبار لم تكن له إنية إنما هو نور الله ، ولهذا أشار عليه السلام بقوله بدون القيود وفي قوله ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[2] ولم يقل بنظر نفسه ولا بذاته ولا بحقيقته ، وذلك لأنه إذا نظر إلى نفس النور لم يشهد فيه المنير وإنما هو ظلمة ، ولا يرى المنير ظاهرا بالنور حتى ينظر

---

[1] شرح النهج ٢٠/ ٢٩٢

[2] الاختصاص ٣٠٦

إلى نور المنير لا إلى النور نفسه فإنه ظلمة ، فمـن وجـد نفسـه لم يعرفها حين يجدها ، وإذا نظر إلى الله فقدها فعرفها حينئـذ ، فـهي في المثال لمن عرفها هي الجلال ولا يعرفها إلا من كشـف قيودهـا حتى الكشف ، لأنها هي السـبحات مـن غـير إشـارة ((عـرف ربه)) .

وإنما قلنا فمن وجد نفسه لم يعرفها لأن النفس إنما توجـد بالقيود وهي المشخصات ومشخصات المشـخصات وهكـذا مـن اللوازم ولوازم اللوازم ، ومنها ما يخطر على الأوهـام ويجـري في الأفهام وتتقلب فيه القلـوب مـن مكشـوف ومحجـوب ومكـروه ومحبوب ، فإذا أزلت القيود التي هي المعينات للنفس زال تعينـها فأحرق نوره الذي هو ذلك الوجود وتلك النفس بعد إزالة تلك القيود جميع ما انتهى إليه بصره من تلك القيود والمقيـدات ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ((إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها عن وجهه لأحرقت سـبحات وجهه ما أدركه بصره مـن خلقـه))[1] وهـذا الوجـود الـذي هـو النفس بدون القيود ، وسـبحة مـن سـبحات وجهـه ذي الجـلال والإكرام ، وكشف الحجب بهذه السبحة وإنما تحـرق مـا وصلـت

[1] غوالي اللآلي ٤/ ١٠٦

وانتهت إليه ، والسبحات مختلفة في الكشف على حسب مقام السبحة ورتبتها من الوجه الباقي فكلما قربت من الوجه كانت أوسع كشفا وأشد إزالة .

قول الكاشي رحمه الله
في كشف سبحات الجلال

وقال كمال الملة والدين عبدالرزاق الكاشي صاحب التأويلات رحمه الله (الحقيقة هنا هو الشيء الثابت الواجب بذاته الذي لا يمكن تغييره بوجه ما ، ولما كان كميل رحمه الله من أصحاب القلوب طالبا لمقام الولاية الذي هو مقام الفناء في الذات الأحدية اقتضى حاله السؤال عن الحقيقة ، فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام بما يدل على أنها مقام بعيد عن مقام صاحب القلب ، وهو مقام جليات الصفات .

والجلال هو احتجاب الوجه الذاتي بحجب الصفات كما أن نور الجمال هو نور الوجه من دون الحجاب ، والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها ، والسبحات هي الأنوار وأنوار تجليات الصفات هي حجب الوجه وتسمى سبحات الجمال .

وقوله عليه السلام ((من غير إشارة)) بلا إشارة ما ولو عقلية أو روحية لأنها تشعر بإثنينية عبارة عن مقام الفناء المحض أي الحقيقة وهي طلوع الوجه الباقي بكشف حجب الصفات عنه

لنفي سبحات وجهه فلا تبقى الإشارة إلى شيء كما قال تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1] الآية ، وقال ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] ، ومصداق ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله ((إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه)) فهداه عليه السلام إلى مقام الفناء والبروز من وراء حجب الصفات إلى عرصة كشف الذات انتهى كلامه) .

ولا يخفى أن هذه الكلمات جارية على طريقة أهل التصوف والقول بوحدة الوجود ، وفيها مما يخالف مذهب أهل العصمة عليهم السلام ما لا يخفى على من شرب بكأسهم ، مثل قوله (إن المراد بالحقيقة الذات الواجب) ومثل أن الوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها ، ومثل (وهي طلوع الوجه الباقي بكشف حجب الصفات عنه لنفي سبحات وجهه ما سواه) ، ومثل (إلى عرصة كشف الذات) وغير ذلك من المفاسد التي لا تصح إلا على القول بوحدة الوجود وقول أهل

---

[1] الرحمن ٢٦

[2] القصص ٨٨

التصوف ، ولكنا لسنا بصدد بيان بطلان ذلك وإلا كنت ترى ما سمعت رأي العين .

محو الموهوم
كما قال الكاشي رحمه الله

قال عبدالرزاق بعد ما نقلناه عنه (ولم يكشف يعني كميلا بذلك لوفور استعداده وعلمه بأن ذلك الكشف قد يكون مع كون صاحبه في مقام التلوين ، ولا يدل على مقام الوحدة إلا بالالتزام ، وإن الذات الأحدية لا تخلو عن الصفات أي بلزمها دائما ، فازداد البيان ، فقال ((محو الموهوم وصحو المعلوم)) فأشار أن التلوين لحسبان صاحبه وجود غيره بالتوهم وليس وجود العين بالحقيقة إلا نقشا موهوما استقر ورسخ عليه باستيلاء الوهم وسلطان الشياطين على القلب ، فمن أخلص الله تعالى من عباده محا عنه ذلك الوجود الموهوم الذي ليس إلا نقشا خاليا لا وجودا حقيقيا يحتاج إلى الفناء ، ولهذا قال بعض العرفاء : الباقي باق في الأزل ، والفاني فان لم يزل ، وبالثاني أشار إلى الإلهام اللازم الدلالة الالتزامية ها هنا إنما يكون لسلطنة القوة العقلية واعتبار العقل بكثرة الصفات وامتناع عروجه عن الحضرة العاصية من عرف الحق الأحدية بالطريق العلمي لم

يخلص عن حجب الصفات إلى عين الذات ، ولم يرتق عن الحضرة الواحدية إلى عرصة الأحدية ، فلا تنكشف الحقيقة إلا لمن عزل عقله بنور الحق ، وجن بالجنون الإلهي كما قال الإمام الحق جعفر الصادق عليه السلام ((العشق جنون إلهي)) فصحى معلومه عن غمام كثرة الصفات وصفى عن كدورة الاعتبارات وارتفعت الكثرات العقلية عن تنور العشق الإلهي والحب الذاتي حتى يبلغ صاحبه مقام الإخلاص الذي أشار إليه بقوله عليه السلام ((وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه .. إلخ))[1] فصار علمه عينا وعينه حقا وتوحيده شهادة وشهودا وعيانا لا علما وبيانا) انتهى .

حقيقة القول في المقام

أقول : ما ذكره من كون الكشف قد يكون صاحبه في مقام التلوين والتشبيه بالواصلين وهو لا يدل على رتبة الوحدة وأن الذات الأحدية لا تخلو عن الصفات ، فلذلك استزاد البيان فيه أن الكشف إن أزال جميع السبحات حصل له حقيقة المعرفة وإلا فلا ، لأن الذات الإلهي لا يجري عليه الكشف كما لا يحيط بها الوصف ، فإن كل شيء أمكن كشف حجبه عنه فهو معلوم بذاته

---

[1] شرح النهج ١ / ٧٢

وذلك الكاشف مساو له وأعلى منه ، ولا يصح شيء من ذلك في حق الواجب على أن الإمام عليه السلام قال ((كشف سبحات الجلال)) وهي أنواره أي آثار الجلال وصفات أفعاله ونسبه وهي غير الجلال ولم يقل الجلال لأن الكاشف حينئذ من مظاهر الجلال غير الجليل جل وعلا ، فليس الكشف جار على الذات الحق وإنما مراد الإمام عليه السلام بهذا الكلام معرفة النفس لأن النفس إذا كشفت عنها جميع سبحاتها مما أشرنا إليه سابقا وما أشبهه ظهر لك أنه وصف الحق لك نفسه لأنه ظهر لك بك وظهور الشيء وصفه ، ولو كان المراد بالحقيقة المسئول عنها هو الذات الحق تعالى لزم حصول مدركيته تساوي جميع العارفين فيها لا فرق بين الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ولا بين سائر العارفين ، وكل مدع لذلك له أن يقول أن مقامي في الأصول نفس محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله لأن كل واحد حصل له كشف جميع الحجب والمظاهر ولم يقل بذلك أحد ، وإن كان المراد بتلك الحقيقة المسئول عنها هي حقيقة تعرف الحق للعبد وأنه إنما تعرف له به وظهر له به وهو الحق دل أن الكشف إنما هو لسبحات الجلال الذي ظهر لك به واحتجب عنك به وهو في الحقيقة وجودك به سبحانه كما قال عليه السلام

((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها))[1] فيكون ذلك الوجود هو الجلال الذي إذا كشفْت سبحاته عرفت الحق سبحانه ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) يلزم من هذا أن كل عارف له جلال يختص به هو وجوده الذي هو نور الله كما قال عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[2] وهذه الأجلة سبحات للجلال الأعلى فهي مظاهره وهو أعلى مظاهر الحق ، فتحصل الحقيقة لكل عارف بنسبته وكلها أمثاله سبحانه التي ليس كمثلها شيء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .

فكل عارف لا يفنى فوق وجوده لأنه هذا الفناء المشار إليه بقاء فيه ، ولا يبقى فيما فوقه فإن نور الشمس يفنى في ظهور الشمس به وهو وجوده لا في ذات الشمس ، وأين التراب ورب الأرباب ، وهذه المقامات المتكثرة مصارع المحبين فهي تعرفات الحق لهم بهم فلا فناء في ذات الحق البحت .

وقوله (إن الذات الأحدية لا تخلو عن الصفات) فيه أن الذات الأحدية إن أراد بها الظاهر بالصفات فليس كذلك هو

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٤٤

[2] الاختصاص ٣٠٦

الذات البحت ، وإن أراد بها الذات البحت فليس ثم شيئا غيره إنما هو هو بلا مغايرة ولا تكثر ولا تعدد بكـل فـرض واعتبـار ، وليس الكشف المراد تجريد الذات عن الصفات بـأي نـوع كـان لأن الشخص قد يتوهم ذاتا مع قطع النظر عن جميع صفاتها ومع ذلك هي متوهمة محدودة قد ميزها بوهمه ووضعها في موضع مـن وجدانه وباقي وجدانه خال منها يضع فيها متخيلاته وموهوماتـه التي سبحات وجوده ، بل الكشف المـراد أن يمحـو عـن وجدانـه جميع الأشياء من ذات وصفة وغيرها حتى وجـوده ومحـوه ، فـهناك يظهر له الحق بحقيقة ظهوره له وحينئذ يعرف نفسه .

ولما كان كميل رضوان الله عليه يتعلق قلبه بشـيء ليس في جهة من وجدانه ولا هيئة له في أوهامه وإنما يجول بصيرتـه في الصحاري والأودية السحيقة ، يطلب حيث يُرَد فلا يعرف كيـف الوصول فبين له عليه السلام أنك في هذه الحـال تطلـب المحـال ، لأنك ناظر بنظر وطالب بطلـب ومطلوبـك قـد احتجـب بـك وبطلبك ونظرك عنك ، وأنت حجاب كثيف غليظ أقام جـدارك لحفظ كنزك ، فإذا أردت أن تستخرج الكنز وتحـل الرمـز فقـض الجدار من غير إشارة ، فطلب منه زيادة البيان لوجدانه ذاته طالبة فكيف يطلب بغير طالب ولا طلب .

فقال عليه السلام ((محو الموهوم وصحو المعلوم)) يعني ما أنت إلا نقش فهواني قد أشار لك بك ، ولا ريب أن النقش موهوم لأنه تمثيل فهواني أي تنبيهي وتعريفي ، فأنت موهوم وإشارتك صنعتك فإذا كشفت الموهوم يعني محي وأزيل صحا المعلوم ، يعني أن المعلوم ليس مستورا ولا محتجبا فلا يحتاج إلى الإظهار والتبيين ، وإنما أنت حجاب نفسك فإذا أزلت الحجاب زال صحا لك المعلوم ، وفي الحديث أن نبيا من الأنبياء صلى الله عليه قال ((يا رب كيف الوصول إليك ، فأوحى إليه : ألق نفسك وتعال إلي)) .

وقول عبدالرزاق (وليس في وجود العين في الحقيقة إلا نقشا موهوما استقر ورسخ عليه باستيلاء الوهم وسلطان الشياطين) يريد به أنك في الحقيقة صورة منطبعة في مرآة كونك لا حقيقة لك إلا ظهور موجدك ، وإنما كانت تلك حقيقة عند نفسك لأجل استيلاء الشياطين على قلبك فأشغلته عن ذكر الله الذي هو معرفة أظهريته من كل شيء ، فبنظر الوهم إلى نفسه استقرت لها حقيقة عنده لنسيانه ذكر الله ، وهو حق لأنه لو كانت لها حقيقة غير النقش لكانت مستقلة مستغنية عن المدد فيكون كونها بنفسها وقيامها بذاتها وهو باطل ، وإذا ثبت أنه لا

حقيقة لها إلا ظهور الحق بها لها كانت حقيقتها من نفسها وهما وسبحاتها من أنفسها وهما من الموهوم وحقيقتها من ظهور الحق فإذا محا ذلك من نظر الوجدان صحا حقيقتها من ظهور الحق معلوما ، فالمعرفة الحقيقية المسئول عنها محو حقيقتها من نفسها ومحو سبحات حقيقتِها من ظهور الحق الذي هو المعلوم لأنه صفة الله وتعرفه لذلك العبد والشيء إنما يعرف بصفته ، وهذا المعلوم هو المعنى لكل عارف بنسبة مقامه بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] كما أشرنا إليه في الفائدة الثانية من الفوائد .

المحو هو الكشف

فقوله عليه السلام ((محو الموهوم وصحو المعلوم)) هو معنى قوله عليه السلام ((كشف سبحات الجلال من غير إشارة)) فالمحو هو الكشف إلا أن المحو أجلى وأبين ، لأن الشيء قد يكشف عما ستره وهو باق بخلاف المحو .

والموهوم هو السبحات من الذوات والصفات والأفعال والنسب والإضافات إلا أن بيان كون وجودها موهوما ليس بصريح من الجواب الأول .

---

[1] الشورى ١١

والمعلوم هو الجلال ، إلا أنه قد يحتمل أن الجلال حجاب المعلوم ، فبين عليه السلام في الجواب الثاني أن المراد بالجلال في الجواب الأول هو المعلوم في الثاني لأنه بيانه ، فكان الثاني أخص من الأول فلذا صلح لزيادة البيان ، فقول عبدالرزاق الكاشي (فمن أخلصه الله من عباده محا عنه ذلك الوجود الموهوم) في الحقيقة ظاهر ، ولا ريب أن كاشف سبحات الجلال وماحي الموهوم هو الله تعالى ، وهو الذي تعرف نفسه لعباده إلا أن الظاهر من الحديث أن الكاشف والماحي هو العبد العارف ، وإن كان في الواقع لا يكون إلا بالله لكن لما يسأل كميل عن كيفية الوصول إلى حقيقة المعرفة ناسب إسناد الكشف والمحو إلى العبد ولهذا قال عليه السلام ((من غير إشارة)) ولا يكون هذا التقييد إلا إذا أسند إلى العبد .

وقوله (واعتبار العقل بكثرة الصفات) مبني على طريقتهم من أن الموهوم هي الصفات وأن المعلوم هو الذات وأن الفناء فيه فناء في الذات ، وهذه الأمور لا تصح على نهج أهل العصمة لأن الصفات إن أريد بها صفات الذات فهي الذات فلا معنى لكونها موهومة ، وإن أريد اعتبار تعددها أو من حيث متعلقاتها من الحوادث فهي موهومة ولكن لا يحصل للكاشف

صحو الذات البحت كما تقدم ، لأن ما سواه لا يحوم حول حماه ، وإنما كلامه جار على طريقة أهل التصوف القائلين بوحدة الوجود وأن الخلق عين الحق إذا قطعت النظر عن المشخصات الموهومة ، ولذا قال (من عرف الحق الأحدية بالطريق العلمي لم يخلص من حجب الصفات إلى عين الذات) يعني إذا محا الموهوم الذي هو حجب الصفات اتصل بعين الذات ، وهذه طريقة أهل الضلال والتصوف وقد قال شاعرهم :

جعلت نفسك في نفسي كما جعل الخمرة في الماء الزلال
فإذا سرك شيء سرني فإذاً أنت أنا في كل حال

وقال مميت الدين بن عربي في الفصوص .

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فأنا أعبد حقا وإن الله مولانا
وإنا عينه فاعلم إذا ما قيل إنسانا
ولا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا
فكن خلقا وكن حقا تكن بالله رحمانا
وغذ خلقه منه تكن روحا وريحانا
فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا

فصار الأمر مقسوما بإياه وإيانا
وأحياه الذي يدري به فيه وأحيانا
وكنا فيه أعيانا وأكوانا وأزمانا
وليس بدأهم فينا ولكن كان أحيانا

والحاصل أن هذه الطائفة أنكروا العيان ولبسوا في البيان حتى ضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

هتك الستر

بقول الكاشي رحمه الله

قال عبدالرزاق (ولما نفي سلطان الوهم والعقل بطردها غير طريق الحق عرف السائل أن ذلك لا يكون إلا بظهور سلطان العشق ، وذلك لا يكون اختياريا ولا منوطا بسعي السالك وإرادته ، فأشكل ذلك عليه فطلب زيادة الوضوح فقال عليه السلام ((هتك الستر وغلبة السر)) .

حقيقة القول في المقام

أقول : ما ذكره من أن إدراك الحقيقة لا بالاختيار جار على ظاهر الحال ، وأما بالحقيقة فهو بالاختيار وقد قررنا في الفوائد أنه ليس في الوجود شيء يقع منه فعل إلا بالاختيار ، فإن الطلب من الشيء لا يكون إلا بما يمكن في ذاته سواء كان الطلب بجميع

الأسباب والمسببات من الشيء المقرونة بجميع القيود كما ترى منه جواز الفعل والترك ، أم ببعضها كما تجد من بعض الحيوانات والجمادات ، أن بحقيقة الشيء من ربه كما يكون من العارف ومن الأشياء المفتقرة إلى مدبرها ، لأن المراد في الطلب في كل مقام من كل شيء هو الافتقار إلى الغني أو إلى جهة من الغني ، فهذا الميل الحقيقي وهو الميل الانوجادي من القوابل القواعد لأفعال الفاعلين ولا ريب في اختيارها ولهذا آتاهم الإيجاد بصورة السؤال المشعر بطلب الإجابة والقابلية منهم حين سألهم ((ألست بربكم)) ليجيبوه ويقبلوا منه باختيارهم ، وأول الشيء تكوينه بنفسه ثم تكوينه بأسبابه ومسبباته ، ولا نعني بالاختيار إلا هذا ، وإذا نظرت بفؤادك جميع الأشياء وجدتها مختارة بنمط واحد وإنما تختلف هيئات المختارين لاختيارهم في مراتب الاختيار من جهة الدواعي والعوائق ، والعاشق مختار وإنما خفي ذلك فيه لشدة رغبته ومحبته وإقباله على مطلوبه حتى غلب ذلك منه على التفاته إلى ما سوى معشوقه من كل ما سوى معشوقه بحيث لا يلتفت إلى ما سواه وذلك لا ينافي الاختيار وإن لم يشعر بنفسه بل شرط صدق الحب عدم الإشعار بما سوى المحبوب ومن هنا قال الصادق عليه السلام ما معناه ((المحبة حجاب بين المحب

والمحبوب)) وهو علل طلب الزيادة بما ذكر ، والأقرب في نفسي أنه إنما طلب الزيادة في البيان لما وجد في نفسه من صعوبة الطريق حتى ظن العجز بدون إعانته بالبيان ودلالته على أسباب التحصيل والوصول ، قال عليه السلام له الحقيقة ((هتك الستر لغلبة السر)) أي لغلبة سرك الذي هو تصحيح الفقر الذي أشار النبي صلى الله عليه وآله ((الفقر فخري وبه أفتخر))[1] وهذا الفقر يحصل بالتدريج حتى لا يشهد له ولا لجميع ماله ولا ينسب لنفسه أثرا في نظر الوجدان ، فإذا فقد من وجدانه ما سوى معبوده الذي هو هتك الستر والحجاب بينه وبينه ظهر له أن ما حصل له ذلك لتمام فقره وصحته الذي هو غلبة السر لأنه حينئذ ليس هو وإنما الموجود نور الله الذي تجلى به وتعرف به وهو هو بلا مغايرة بوجه ما .

وأما ما ذكره من تعليل طلب زيادة البيان فهو وإن كان قد يكون له وجه في الجملة لكنه قشري بخلاف ما ذكرنا .

وهذا التعريف أبين مما قبله ووجه صلوحه لزيادة البيان أن المحو للشيء الموهوم لا يدل على كونه حاجبا ساترا للمطلوب بخلاف هتك الستر فإنه يدل على إزالة الساتر فتكون إزالته أبلغ

---

[1] غوالي اللآلي ١/ ٣٩

في ظهور المطلوب ، وأما غلبة السر فـــهو إذاً أدل علـى المطلـوب الحق من صحو المعلوم لما في المعلوم من الإبـــهام والإجمـال لجـواز أن يفهم منه إرادة الذات البحت وهو باطل بخلاف غلبـــة السـر فإنه لا يفهم منه ذلك ، وإنما يفــهم أن السـر شـيء غـير الـذات البحت ، وقد يفهم منه أنه إذا هتك ما يحجـب عنـه مطلوبـه دل على أن حصول ذلك له إنما هو لغلبة السر ، والسر المراد هنا هو المعلوم ، ويدل عليه ما في بعض نسخ الحديث مـن إبـدال الـلام بالواو فيكون محـو الموهـوم وصحـو المعلـوم وهـو هتـك السـتر وغلبة السر ، وهذا السر هـــو سـر الخليقـة وهـو الحقيقـة وهـو ظهور الحق لك بك كما قال عليه السلام ((بـــل تجلـى لهـا بـــها وبها امتنع منها)) .

جذب الأحدية
بقول الكاشي رحمه الله

قال عبدالرزاق (ولا يلزم من غلبة السر حصول الحقيقـة كما قال أحدهم :

شربت الحب كأسا بعد كأس   فما نفد الشراب وما رويت

فاستزاد البيان فعلـم عليـه السـلام قـوة اسـتعداده وقـال ((جذب الأحدية)) التي لا كثرة فيها ((لصفــة التوحيـد)) إلى

نهاية في غلبة السر قوة جـذب الحضـرة الأحدية الـتي لا اعتبـار للكثرة فيها أصلا لصفة التوحيـد المشـعر بـالكثرة الاعتباريـة في الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات ، وذلـك النـور هو العين الكافوري الذي هو مشرب المقربين خاصة ، فـلا يبقـى مع هذا الجذب والشرب الحقاني لغير عين ولا أثر .

حقيقة القول في المقام

أقول : قوله (ولا يلزم من غلبة السر حصـول الحقيقـة) ليس بصحيح عندنا ، أمـا علـى مذهبـهم فـهو صحيـح عندهـم لأنهم يريدون بها الذات البحت وهذا عندنا باطل ، لأن الـذات البحت لم يكن معه غيره ولا يكون غيره إياه ، وإنما الحقيقة ظهور الذات بأثر فعله فيه له ، وأيضا هـو يريـد أن الحقيقـة لم تحصـل بذلك فاستزاد البيان وهذا لا يصح لأنه يستزيد البيان ولا يطلب الحقيقة طلبا أصليا غير الطلب الأول إذ مـن المعلـوم أنـه عليـه السلام في كل صورة قد أجابه بما يلزم منه حصـول الحقيقـة فقـد علـم كميل ذلك إلا أن فيه إجمالا بالنسبة إلى فهمه فلـهذا طلـب زيادة البيان ، لكن عبدالرزاق إنما قال بعدم حصول الحقيقة بغلبة السر ليترتب على ذلك استزادة للبيان ، والذي يقتضيـه التـأمل أن استزادة البيان فرع الحصول قبل ذلك فافهم .

وقوله (فعلم قوة استعداده) ليس بظاهر لأنه علمه عليه السلام باستعداد كميل فيما سبق من جوابه عليه السلام له أولى لأن الجواب بما فيه الإجمال أنسب بقوة الاستعداد من الجواب المشتمل على البيان ، والأنسب عندي أنه إنما طلب زيادة البيان لقصور فهمه عن كمالِ إدراك المعنى المراد من جوابه عليه السلام كما هو عادة طالبي استزادة البيان فقال عليه السلام ((جذب الأحدية لصفة التوحيد)) ، قال في الإنسان الكامل (الأحدية عبارة عن مجلى ذاتي ليس للأسماء ولا الصفات ولا شيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية ، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهرا أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتبارك وأخذت بك فيك عن خواطرك لكنت أنت في أنت من غير أن تنسب إليك شيئا ، فما تستحقه من الأوصاف الحقية أو هو لك من النعوت الخلقية فهذه الحالة للإنسان أعم مظهر للأحدية في الأكوان فافهم) .

أقول : ما ذكر عبدالكريم في كتابه الإنسان الكامل مبني على وحدة الوجود لأنه من كبار أهل التصوف من العامة ولهذا قال (الأحدية عبارة عن مجلى ذاتي) إلى أن قال (فهي اسم

لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية) وإن جعل الاسم عين المسمى كما هو صريح كلامه هناك وفي أكثر المواضع من كتابه لم يصح جعل الإنسان المعروف عنده ى سيما ما يدعونه من ذلك لأنفسهم أعلى مظاهر الذات ، لأن مظاهر الذات أول صادر عنه وهو المشيئة وإن كانت عندنا هو آدم الأول لكنه لا يريده ، وأيضا إذا أريد بالأحدية الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية فإن أريد به غير الذات الواجب فلا معنى لتجرده عن الاعتبارات الخلقية .

وقوله (وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك) ليس بصحيح لأن أتم المظاهر وراء الأكوان وهو الفعل إذ لا يظهر على شيء إلا بفعله ، فيكون فعله أول مظاهره وأما فعله فبه .

وقوله (فكنت أنت في أنت) ليس بصحيح ، لأن كون أنت في أنت لا يجري إلا فيمن ماهيته بذاته وهو الغني عما سواه ، وأما من كان بغيره فلا يكون هو في هو ، وإن حصر نظر نفسه في نفسه كان مقتصرا على سراب فهو في وجدانه وفقدانه فاقد ، بخلاف ما لو حصر نظر نفسه في ربه فإنه في وجدانه وفقدانه واجد .

والحق أن الأحدية بكل اعتبار اعتبرها المخلوق لا تقع على صرافة الذات البحت ، إنما يدرك المخلوق مخلوقا فلا يعرف أحد من الخلق في معنى الأحدية إلا معنى محدثا والمعنى المحدث لا يقع إلا على معنى محدث ، إلا أن من المعاني المحدثة ما هو مختص بحيث لا يصدق على شيئين وما كان كذلك كان ما يدل عليه من الأسماء كذلك وإلا لم يدل عليه ، فإذا وجدت الألوهية لا تجوز لغير الله دل اختصاصها به تعالى وكذلك معناها ولكن المعنى الذي يقع عليه هذا اللفظ منها محدث وإن كان مختصا بالبحت ، والأحدية دون الألوهية لأن الأحدية صفة الأحد والألوهية صفة الله ، والأحد صفة الله لا العكس .

والحاصل أن الأحدية وإن كانت جامعة لمراتب التوحيد الأربعة توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة لكنها أخص شمولا من الألوهية التي هي الجامعة لصفات القدس والعزة وصفات الإضافة والنسبة وصفات الخلق والتربية فهي من صفات الألوهية تقول (الله أحد) فيحمل على الله ولا تقول (الأحد الله) إلا على البدلية أو على النسبة البيانية ، وما ذهب أولئك من معناها ليس بصحيح وهي معنى محدث ليس لغير المعبود بالحق وإن كان لها مراتب لا يحصي عددها إلا الله

يطلق هذا اللفظ عليها من باب التشكيك ، والعارف إذا كشف سبحات الجلال من غير إشارة ظهرت الأحدية فيه وهي الجلال في الجواب الأول والمعلوم في الثاني والسر في الثالث وهي النفس في ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) وهي حقيقتك من ربك .

وإنما قال عليه السلام ((جذب الأحدية)) لأن الباقي بعد إزالة الفاني في الحقيقة هو الجاذب للفاني والسر في الثالث ، كما أنه في الإيجاد هو الدافع له ، والمعنى أن الحقيقة في الإيجاد يفيض منها آثارها فهي تدفعها من كتم الإيمان إلى شهادة الأعيان ، وفي الإعدام والإفناء هي تجذبها من شهادة الأعيان إلى غيب الإمكان ، فحقيقتك عنها ظهرت وفيه فنيت ففي حالة إيجادها هي دافعة وفي حالة الإفناء هي جاذبة ، فإذا فسرنا الأحدية بنسبة مقامها قلنا أن صفة التوحيد هنا هي سبحات الجلال وهي الموهوم وهي الستر الحاجب ، وبيان كون السبحات المذكورة صفة التوحيد حتى يكون ضروريا يحتاج إلى تطويل وأما على سبيل الإشارة هي شئون الحقيقة وجميع ما لها من المتعلقات والآثار وهي صفتها ، والحقيقة هي التوحيد والأحدية وصفتها

هي صفة التوحيد وهي الواحدية ، لأن الواحدية صفة الأحدية ولذلك قالوا هي حضرة الأسماء والصفات التي هي السبحات .

وإنما كان قوله عليه السلام ((جذب الأحدية لصفة التوحيد)) صالحا لزيادة البيان لأن ما تقدم لا يدل على معرفة المزيل للموانع ولا على كيفية الإزالة ولا على نسبة المزال الباقي بحيث يتوقف ظهوره على إزالته وهذا اشتمل على ذلك كله مع أنه بمعنى ما تقدم ، فبين أن المزيل هو الأحدية التي هي الحقيقة لأنك أنت المزيل لنفسك وما يرتبط بها ويدل على هذا قوله تعالى في الحديث القدسي حين قال ذلك النبي ((يا رب كيف الوصول إليك ؟ ، فأوحى الله إليه : ألق نفسك وتعال إلي)) وقد تقدم ، وإن كيفية الإزالة وإن كانت بالتدريج جذب تلك الأوصاف والإضافات من الوجدان إلى الفقدان إشعار بأن الأحدية بها قوام صفة التوحيد وأن صفة التوحيد إنما تفقد فيها وإنما الكتاب الحفيظ لصفة التوحيد ، وإن صفة التوحيد التي هي سبحات الجلال في الأول والموهوم في الثاني والستر في الثالث إلى الأحدية التي هي الجلال في الأول والمعلوم في الثاني والسر وفي الثالث نسبة النور إلى المنير والصورة إلى الشخص والحجاب إلى المحتجب والصفة إلى الموصوف ، وفي هذه الفقرات

وما يأتي أسرار كثيرة يعرف كثير منها مما كتبنا في رسائلنا وذكرنا في مباحثاتنا .

نور أشرق من صبح الأزل كما فسره الكاشي

قال عبدالرزاق ((ولما كان كميل عارفا بأن مقام الوحدة في الفناء في الذات وإن كان مقام الولاية ليس كمالا تاما لأن صاحبه لا يصلح للهداية والتكميل ما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل ومن الوحدة إلى الكثرة ، ولم يصل إلى مقام الصحو بعد السكر لم يحصل له مقام الاستقامة المأمور بها النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[1] فاستوضح واستزاد البيان فقال عليه السلام ((نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره))) .

حقيقة القول في المقام

أقول : يجوز أن يكون ما ذكره علة لطلب زيادة البيان على بعد ، ويجوز أن يكون المراد منه قصوره عن نيل المراد فيطلب الزيادة في البيان مرة بعد أخرى لا لأجل أنه يطلب التفصيل ومعرفة الرجوع عن الوحلة إلى الكثرة بدليل الجواب الأخير

---

[1] هود ١١٢

فإنه على نسق الأول وما بعده ، ولو كان كما قال لكان الأخير فيه تفصيل أشد مما قبله ، وأما ما ذكره من التفصيل وذكر الوحدة في الكثرة فهو نوع من البيان والجواب وإلا فإن جميع تعريف الحقيقة لا يتحقق إلا بانبساط نظر البصيرة إلى جميع أقطار الوجود والوجدان فيتوجه إلى الوحدة في الكثرة وإلى الأولية في الآخرية وإلى البطون في الظهور وإلى البعد في القرب وإلى الوصل في الفصل وإلى الاتحاد في التعدد وإلى المزايلة في الملاصقة إلى غير ذلك من جهات الوجدان ، فمهما بقي جهة أو احتمال بشيء من الأشياء لم تسلكه بحيث لا تشهد كل شيء في كل شيء لم تكشف سبحات الجلال ولم تمح الموهوم ولم تهتك الستر ولم تجذب الأحدية لصفة التوحيد ولم تظهر لك الوحدة في الكثرة بحيث يغيب وجود الكثرة في ظهور الوحدة ، فظهر لمن نظر واعتبر وأبصر أن مفاد الأجوبة واحد وإنما اختلف لاختلاف التبيين ، وبذلك ظهرت فوائد خمسة لا يسع هذه الكلمات بيانها ، فقوله عليه السلام ((نور)) أشار به إلى الجلال والمعلوم والسر والأحدية كما تقدم ، وقوله ((أشرق)) يريد به بيان حدوثه كما أشرنا إليه سابقا لا ما توهموه من أنه الذات البحت المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية بل هو حادث لأن أشرق

من صبح الأزل ، والصبح هو المشيئة والشمس التي لم تطلع بذاتها وإنما طلعت بآثار فعلها هو الأزل الذي لم يزل عز وجل فيلوح من ذلك النور المشرق من صبح الأزل ، ((على هياكل التوحيد آثاره)) وهياكل التوحيد لها مراتب تطلق وتعرف من مقام الإطلاق في الاستعمال مرتبة كل مقام ، والمراد بالهياكل الصور ، والمراد بالتوحيد هنا صفة ذلك النور المشرق والهياكل صفة ذلك التوحيد والآثار صفة تلك الهياكل ، يعني أن الحقيقة نور أشرق من مشيئة الله سبحانه وهو الوجود بدون القيود والحدود لأنها هي السبحات المكشوفة وهذا الوجود هو المعبر عنه بالحقيقة تارة وبالوجود بدون القيود أخرى وبالنفس مرة وبنور الله أخرى وبالفؤاد أيضا ، وهذا التوحيد صفتها بمعنى أن هذا النور ليس في مكان ولا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان وليس في جهة ولا قبل ولا بعد بل قبله عين بعده وأوله نفس آخره وظاهره حقيقة باطنه وكل الجهات جهاته ولا تخلو منه جهة وليس في زمان ولا يقع عليه وصف وليس كمثله شيء وكل ما ميزته فهو غيره وكل ما توهمته فهو بخلافه بريء من الحدود والأمكنة والجهات والأوقات والأنداد والأضداد والأشباه والكثرة والكلية والجزئية والعموم والخصوص والإجمال والتقييد والجمع

والتفصيل وسائر صفات الخلق ، وهو معنى قولنا ليس كمثله شيء ، ولو كان هذا النور الذي هو النفس المشار إليها في الحديث ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) له مثل لكان لو عرف نفسه بشيء من صفات الخلق لزم منه أن يعرف ربه بصفات الخلق وأنه مخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فإن قلت : إذا وصفت نفسك بهذه الصفات كنت قد وصفتها بصفات الواجب ، وهذا باطل عقلا ونقلا .

قلت : إنك إذا جردت نفسك عن كل ما يغايرها لزمها أن تصفها بهذه الصفات ، فإن قلت أني في مكان فالمكان غيرك والكون فيه غيرك وكونك أبا وابنا غيرك وكونك مدركا أو معلوما غيرك ومع وفي ومن وإلى وعن كلها غيرك ، وأين ومتى وحيث وكيف وكم وعند وأول وآخر وباطن وظاهر غيرك ، والاقتران والاجتماع والافتراق والحركة والسكون غيرك ، وجميع ما ينسب إليك وينفى عنك غيرك ، فإذا أخذت تجرد عنك هذه السبحات لم يبق إلا وجود لا يلتبس بشيء ، لأن الالتباس والمشابهة والمماثلة غيرك ، وهذه صفة الحق تعالى فمن عرف صفة الحق تعالى فقد عرفه لأن الشيء لا يعرف إلا بصفته ، وهذه

الإشارة كافية في بيان صحة هذا البيـان لمـن أحـب الله أن يعرفـه نفسه .

وهذا التجريد هو صفة هـذا النـور ، وهـذه الصفـة هـي التوحيد ، والنور مظاهر لصفته هـي هيـاكل التوحيـد أي صـوره وأعلاها أربعة عشر هيكلا وليس معها في وجودهـا شـيء ومـن دونها هياكل متعددة ، ومن دون هذه المتعددة هياكل كثيرة وهكذا ، ومعنى هياكل التوحيد أن يظهر لذلك النور المشرق مـن صبـح الأزل صفة تفيد هذا التجريد الكامل بهيئتها كما تفيـد الإشـارة إلى الشيء الدالة عليه ، والإشارة بالإقبال المجيء والإدبـار المضـي فافهم .

ولذلك النور المشرق آثار صدرت مـن صفاتـه الـتي هـي هيـاكل التوحيـد تظـهر وتلـوح علـى تلـك الهيـاكل أي تظـهر مشابهة لتلك الهياكل بمعنى أن صفاتها وهيئاتها بل ذواتها تشابه صفات عللها المؤثرة فإن كل صفة تشابه صفة مؤثرها ، والإشـارة إلى بيان ذلك أنك لو رأيت صفة كلامك لدل عليك بهيئته الـتي من هيئتك كما تدل عليك صورتك في المرآة ، ولو برز لك عقـل زيد أو علمه أو كلامه أو مشيته أو حركته أو حرارته أو رطوبتـه أو برودته أو يبوسته أو إشارته أو فكره أو خياله مما ينسـب إليـه

لعرفته أن لزيد كما تعرف زيدا بصورته في المرآة ، بل تـرى كـل واحد مما ذكرنا لك من كل ما ينسب إليه رجـلا أنـت تعـرف أن اسمه زيد وأنه لزيد ، وإن كـان ذلـك لامـرأة رأيتـه امـرأة تسـمى باسمها وهي لها لا تنكر شيئا من هذا لو رأيته قطعت به كما تقـع بنفسك أنت أنت ، وإذا عرفت الإشارة ظهر لك أن تلك الآثـار التي هي آثار ذلك النور ظهرت على صورة صفات فعله التي هي هياكل التوحيد ، فقوله عليه السلام ((نور)) خبر مبتدأ محذوف تقديره الحقيقة نور ، فكان ذلك النور هو الحقيقة ، ثم بين أن كل ما ينسب إليه من صفة ذات كالتوحيد أو صفة فعـل كالهيـاكل أو آثار فعل كالآثار المذكورة غير ذاته بل هي مـن سـبحاته ليعـرف فناها في بقائه ، بل إنما هو ليس شيء غيره .

أطفئ السراج
بقول الكاشي رحمه الله

قال عبدالرزاق الكاشي بعد أن ذكر كلاما على مذاقه لأن المتصوفة كلامهم لا يختلف تشابهت قلوبهم فإنهم عيـون كـدرة يفرغ بعضهم في بعض قال (وعند ذلك غلب حال كميل فسكر وجذب الشوق عنان تماسكه فاستزاد البيـان فقـال عليـه السـلام

((أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) قال : أي دع البيان العلمي واترك الجلال العقلي) .

حقيقة القول في المقام

أقول : كلامه متدافع ينفي بعضه بعضا لأن قوله (غلب حال كميل فسكر وجذب الشوق عنان تماسكه) ينافي قوله في البيان (أي دع البيان العلمي) لأن من غلب حاله حتى سكر لا جدال معه ولا بحث له ، بل إما أن يكون لم يعرف المراد من الأجوبة أو أنه عرف ولا يكون هذا خطابه وتوجيهه بأنه بين له حاله قبل السؤال أو على سبيل الترديد في المقام أو تعريضا لغيره من الجهال بعيد لا ينال ، وإنما كان حاله في ذلك كله أنه إنما طلب الجواب ليستدرك بالاستزادة ما فاته من فهم ما سبق إذ قد يحصل المطلوب بتلفيق المدركات من كل جواب فيكمل له من أبعاضها كل يتم له به المطلوب أو يكون بالتكرار يتفطن في المراد .

فقوله عليه السلام ((أطفئ السراج)) المراد بالسراج النور العلمي والنور العقلي والنور البصري والسمعي والشمي والذوقي واللمسي فإنها هي المدركة بسبحات الجلال ، فنبه السائل على معنى عجيب يحسن لاستزادة البيان وهو أن

السبحات المعروفة لا تكشف ولا تمحى ولا يراد في ظهور الحقيقة وإنما المراد ألا ينظر إليها ولا يحصل ذلك إلا بعدم استعمال الخيال والعقل والحواس الخمس التي هي أسراج الإنسان في ظلمات الكثرات والتعددات المعبر عنها بالإطفاء، فقال له ما معناه إذا لم تنظر بخيالك وعلمك الذين لا يدركان إلا الصور المجردة عن المواد العنصرية والمدد الزمانية ولا ببصرك الذي لا يدرك إلا الألوان والهيئات ولا بسمعك الذي لا يدرك إلا الأصوات ولا بشمك الذي لا يدرك إلا الروائح ولا بذوقك الذي لا يدرك إلا الطعوم ولا بملامستك التي لا تدرك إلا الأجساد ولا سراج لك في هذه الظلمات إلا هذه القوى الظاهرة والباطنة فإذا لم تستعملها فيما خلقت له فقد أطفأتها ولا يسعك إطفاؤها حتى تستغني عنها بنور أقوى منها مثل طلوع الصبح فإنه يكشف جميع الظلمات بخلاف تلك السرج السبعة فإنها إنما تكشف بعض ظلمات ما توجهت إليه بنسبة قوة نورها فإذا ظهر ذلك النور الأعظم المشبه بطلوع الصبح الذي هو من نور شمس الأزل بطلت فائدة السراج لعدم الانتفاع بها في كشف ما تستعمل لكشفه، ولأن النور القوي إذا ظهر اقتضى إبطال الأنوار الضعيفة فحيث كان مقتضيا لإبطالها ولا انتفاع بها قال

عليه السلام ((أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) ، وفي قوله عليه السلام ((فقد طلع الصبح)) إشارة إلى سر مكتوم من أسرارهم عليهم السلام وضع الله عليه حجابا مسيرة سبعين عاما لو أذن في بيانه لكتبه من أذن له في بيانه وحيث كان مرهون بوقته تركنا ذكره حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

في الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال

قال سلمه الله الثالثة : ما الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر ، والفرق بين إدراكاتها ومدركاتها ، وهذا القلب والعقل بمعنى فكيف جعلتهما اثنين في رسالة شرح أحاديث الطينة ، وإن كانا متفاوتين فبينوا الفرق بينهما وهكذا ، هل المراد بالصدر والنفس واحد أم متعدد ، وعلى الثاني فما الفرق بينهما ، وما الفرق بين الصدر والعلم إذا أريد به النفس مع أن النفس ليست إلا الصورة النفسية المجردة عن المادة والمدة والعلم ليس إلا الصورة النفسية كذلك ، وما الفرق بين الخيال والصدر فإذا كانا واحدا فلم جعلتهما في تلك الرسالة وغيرها اثنين ، وما الفرق بين المتخيلة والمتفكرة والحافظة ، والمأمول من جناب الأستاذ أن لا يقهر اليتيم عن أمامه ولا ينهر السائل من بابه قال تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا

نَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

أقول : القلب هو اللب وهو وسط الشيء فالقلب هو العقل ، وسمي قلبا لأنه يتقلب في معاني مدركاته أو لأنه الوسط ، ومنه قلب النخلة وهو السعفة الوسطى من سعفها أو قبل انتشار خوصه وهو ورق النخل ، أو لأنه تقلب فيه المعاني أي تتفرع ، أو أنه قالب المعاني لانطباعها فيه ، وهو في إطلاقات الشارع عليه السلام يراد به العقل ويراد به مقر اليقين وخزانة العقل فهو بمنزلة الحافظ للخيال ، وفي المذهبة التي كتبها الرضا عليه السلام إلى المأمون قال عليه السلام ((فملك الجسد هو ما في القلب والعمال العروق في الأوصال والدماغ ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد والأعوان يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأذناه ، وخزائنه معدته وبطنه ، وحجابه وصدره .. إلخ))[2] ، والمراد بالقلب الذي هو الملك هو النفس الناطقة على ما قيل ، والمراد بالقلب الذي هو بيت ذلك القلب هو اللحم الصنوبري الكائن في وسط الصدر ، والمعروف من كلام

---

[1] الضحى ٩ - ١١

[2] الرسالة الذهبية ١١

بعضهم أن القلب الذي هو اللب بمنزلة الملك بكسر اللام وهو متعلق اللحم الصنوبري تعلق تدبير لأنه ليس من عالم الجسمانيات التي في الزمان وإنما هو من عالم الغيب ويؤيده ما روى كميل بن زياد عن علي عليه السلام قال عليه السلام ((والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفس الملكية ولها خاصيتان النزاهة والحكمة))[1] وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام ثم قال((لاهوتية بدء إيجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية الذهنية موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية .. إلخ)) ويؤيد أنها تتعلق باللحم الصنوبري الذي في الصدر أنك إذا التفت إلى إنيتك أو أشرت إليك أو أشار إليك إنما تشير أنت أو غيرك إلى صدرك .

وقيل هو العقل ولهذا قال بعضهم أن العقل في القلب الذي هو اللحم الصنوبري في الصدر .

والذي يشهد به الوجدان أن العقل في الدماغ بمعنى أنه تعلق به تعلق التدبير أو تعلق الظهور ، والدليل على الأول من الوجدان أنك إذا أشرت إلى المسمى إلى صدرك وإن أشرت إلى

---

[1] البحار ٦١/ ٨٥

تعقلك أشرت إلى رأسك لأن عيني بصيرتك في رأسك وهذا قول الأكثر وهو الأصح.

القلب مدرك المعاني

والقلب هو مدرك المعاني ومقر اليقين وقد يطلق على العقل في كثير من كلام أهل الشرع عليهم السلام وكلام العلماء وبالعكس بمعنى الاتحاد، وقد يراد التعدد فيكون القلب بمنزلة المبصر والعقل بمنزلة البصر وقوة الإدراك ومأخذ هذا وجداني فإن القلب معلوم أنه في اللحم الصنوبري المسمى بالقلب وسمي به لتعلقه به، وإذا أردت أن تدرك شيئا وتتعقله فإنك تجد محل ذلك الدماغ فإن في الرأس عينين يتعقل بهما الأشياء ويبصر بهما المعاني من مصدر واحد هو في جهة الدماغ كمثل العينين المبصرتين للمحسوسات من مصدر واحد، وسمي ذلك المصدر عقلا لتعقله المعاني فيعرف نافعها من ضارها فيعقل صاحبه عن الضار أي يحبسه ويحبس النفس عن هواها واللسان عن الكلام الذي يقع فيه، ومنه عقلت البعير إذا ربطت يده بالعقال وهو من الصوف أو من الشعر أو الليف.

الفرق بين القلب والعقل

والتحقيق في الفرق بينهما أن القلب عبارة عن العقل والروح والنفس والطبيعة فهو مركب في الحقيقة من هذه الأربع القوى التي هي قلب الإنسان ولبه ، والعقل أعلى الأربعة وهو أعظم أركان القلب ووزير الملك ووليه على أعوانه العينين والأذنين والأنف واللسان والشفتين واليدين والرجلين فتعمل في مصالح الملك على نظر الوزير وتدبيره هذا في الأصل ، وأما في الاستعمال والإطلاق فيطلق أحدهما على الآخر .

الصدر

وأما الصدر فالمراد صدر القلب وظاهره وهو منه بمنزلة فلك المكوكب من المحدد فإن المحدد فيه جميع ما في المكوكب من الأحكام والأسرار والكواكب ، وإلى هذا الإشارة بقول الصادق عليه السلام في رواية حنان بن سدير قال ((سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي ، فقال : إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن فقوله ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] يقول رب الملك العظيم ، وقوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

[1] التوبة ١٢٩

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] يقول على الملك احتوى وهذا ملك
الكيفوفية في الأشياء ، ثم العرش في الوصل متفرد عن الكرسي
لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعا غيبان وهما في
الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب
الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها ، والعرش هو الباب
الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد
والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك
وعلم العود والبدء ، فهما في العلم بابان مقرونان لأن ملك
العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي
فمن ذلك قال ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي صفته أعظم من
صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان ، قلت : جعلت فداك فلم
صار في الفضل جار الكرسي ، قال : إنه صار جاره لأن علم
الكيفوفة فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها وفتقها
فهذان جاريان أحدهما حمل صاحبه في الصرف))[2] .

---

[1] طه

[2] التوحيد ٣٢٢

القلب والصدر

فالقلب هو الباطن والصدر هو الظاهر ، والمراد أن القلب محل المعاني المجردة عن الصور النقصانية والمثالية والمدة الزمانية والمادة العنصرية ، والصور النفسية هي ظاهر المعاني والمعاني باطنها ، والصدر الذي هو الظاهر عبارة عن الذهن الذي ينتقش فيه صور المعلومات وهو مرادف النفس عندنا في الإطلاق وهو الكتاب المسطور وهو اللوح المحفوظ في العالم الكبير .

الوهم

والوهم محل الصور الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وقيل محل الصور المدركة بالإحساس ، والأول هو المراد وبابه فلك المريخ وهو يستمد بواسطة الشمس من نفس الطبيعة الكلية طبيعة الكل .

الخيال

والخيال محل الصور الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وبابه الزهرة ، وهو يستمد بواسطة الشمس من صفة طبيعة الكل ، وهما من مصدر واحد إلا أن الوهم بارد الفؤاد مطمئن الباطن على كرسي من ذهب ظاهر الغضب لابس ثياب القهر ، والخيال منطو على طرب لابس ثياب الذهب قاعد على

كرسي من دم ، وأما الفكر فإنه يقلب الأشياء ويرتبها ويضع منها الآلات لمطالبه ويلتقط ما في الحس المشترك من صور المحسوسات ويضعها في خزانة الخيال ، كما يلتقط من المُثُل الغيبية العلوية صورها ويضعها في القمة ، ويرتب الحاصلين من الجزئيات فيولد منها الصور الكلية ويضعها في خزانة الناطقة .

مدركة أو مدركة ومتصرفة

وأما الحكماء فقالوا القوى الباطنة مدركة فقط أو مدركة ومتصرفة ، والمدركة مدركة للصور الجزئية أو المعاني الجزئية ، فالمدركة للصور الجزئية المحسوسة بالحواس الظاهرة تسمى الحس المشترك بين الحواس الظاهرة وبين التخييلية فهو واسطة بين النهرين ، ويسمى هذا الحس باللغة اليونانية بنطاسيا ، وخزانته الخيال وهو الحافظة لصور الجزئيات بعد زوالها وانفصالها عن الحس المشترك ، وأما المدركة للمعاني الجزئية القائمة بالمحسوسات لكون هذا الشخص صديقا والآخر عدوا فهي الوهم وخزانته الحافظة وهي التي تحفظ المعاني الجزئية .

قالوا وأما المدركة والمتصرفة فهي التي تتصرف في المدركات المخزونة في الخزانتين اللتين للحس المشترك والوهم بالتركيب والتحليل فتركب إنسانا له رأسان وبحرا من زئبق

وهي عند استعمال العقل تسمى مفكرة وعند اســتعمال الوهــم تسمى متخيلة ، وقالوا الحس المشترك وهي القوة المرتبة في مقــدم الدماغ وهو المنبت الذي تنبت منــه أعصاب الحــواس الظـاهرة تجتمع عندها مثل جميع المحسوسات الظاهرة فتدركها علــى سـبيل المشاهدة فتكون الصور المأخوذة من الخارج منطبعة فيها ما دامــت النسبة بينها وبين المبصر أو المسموع أو غيرهما محفوظة أو قريبة العهد فإذا غاب المبصر أو غيره انمحت الصـورة عنـها ولم تثبـت زمانا معتــبرا ، ومـهما كـانت الصـورة في الحـس المشـترك فـهي محسوسة فقط فإذا انطبع فيها صورة كاذبة كالممرودين أحسته فـإذا انتقلت الصورة إلى الخيال تصير متخيلة لا محسوسة .

أقول : قولهم محسوسة فقط فيه أنه لو كـان محسوسـا فقـط لاحتيج إلى واسطة بينه وبين الخيال ، ولكنه برزخ بــين المحســوس والمتخيل فإن النقطة النازلة من العلو يدركها الحس المشترك خطا مستقيما والنقطة الدائرة بسرعة يراهـا خطـا مسـتديرا والبصـر الحسي يـرى الجســم في محلـه ولا يـراه في المحـل المنتقـل عنـه إلا بالتخييل فمدرك الدائرة من النقطة الدائرة والخط المستقيم مــن النازلة مركب من البصر والخيال وهو الحس المشترك أعلاه تحـت الخيال وأسفله فوق البصر وهو برزخ بينهما بحيث لا يكون أحــد

منهما بينه وبينه فصل ينبغي أن يكون برزخا ، والحس المشترك غير البصر وغير الخيال فيدرك ما يدركه ومتى لا يدركه لأن النقطة إذا دارت عند وصولها إلى مكان مقابل للبصر ترتسم فيه نقطة ثم تزول عنه بزوال المقابلة لأنها حين الاستدارة لا تحصل في آن يحيط به زمان لا تحصل فيها قط الارتسامات مع الانتقالات ، واختلاف المقابلات ليس هو البصر وليست هي الارتسامات تجتمع في البصر بمحض الزمان وإنما هو الحس المشترك وهو المركب من الحس والخيال وهذا هو المعنى المشترك ، ولهذا قال بعض المتأخرين أن الحس المشترك من جملة المرايا التي للنفس تظهر فيه الأمور الغريبة العجيبة والخيال قالوا ويسمى للصورة المتصورة وهي مرتبة في آخر التجويف الأول تجتمع عندها مُثُل جميع المحسوسات بعد غيبتها عن الحواس وعن الحس المشترك فتدركها وهي خزانة الحس المشترك يؤدي إليه على سبيل الاستخزان ، وقد يخزن ما ليس مأخوذا عن الحس المشترك بل عن المفكرة كما إذا تصرفت في الصورة التي فيها بالتحليل والتركيب فتركبت صورة منها أو فصلتها استحفظتها في هذه الخزانة .

الوهم

والوهم قالوا وهو القوة التي بها يدرك الحيوان المعاني الجزئية الموجودة الغير المحسوسة بالحواس الظاهرة التي لم تتأدى إليها الحواس من إدراك الشاة معنى الذئب موجبا للحرب وهو العداوة ، وإدراك زيد معنى في عمرو موجب للطلب وهو المحبة والصداقة والموافقة وأمثالها من المعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات ، وإذا لم تكن للحواس الظاهرة ولا الحس المشترك والخيال قوة إدراكها فلا بد من إثبات قوة أخرى غيرها تدركها وهي الوهمية ، وأيضا فكون المعاني المدركة بها لم تتأد إليها من الحواس الظاهرة دليل على مغايرتها للنفس الناطقة ، وأيضا فإنها قد تخوف من شيء لا تخوف منه النفس الناطقة كالبيات عند الموتى فإن النفس الناطقة تؤمنه من ذلك الخوف ، ونعلم بالضرورة أن الذي يؤمن غير الذي يخوف .

المتخيلة

والمتخيلة وتسمى المتصرفة وهي قوة من شأنها التركيب والتفصيل فتركب الصور من المعاني التي في الخيال والحافظة بعضها مع بعض فتجمع بين المختلفات المتباينة وتفرق بين المتباينات المجتمعة وتمثل أمورا لا توجد في الخارج ، ومثال تركيبها

الصور الخيالية بعضها مع بعض أنها تدرك إنسانا له ألـف رأس وله جناحان يطير بهما وجبلا من ياقوت وبحرا من زئبـق وأمثـال ذلك ، مثال تركيبها الصور الخيالية بالمعـاني الوهميـة كحكمـها بأن هذا الشخص صديق والآخر عدو .

وأقول الوهـم والخيـال والصـدر والنفـس يـراد منـها في الجملة شيء واحد وهو الصورة المجردة عن المادة العنصرية والمـدة الزمانية وإن كانت مراتبها من حيث المصـادر مختلفـة ، فـالصدر من المشتري ، والنفـس مـن المكوكـب ، الخيـال مـن الزهـرة ، و الوهـم مـن المريـخ ، وقـد يقـال الصـدر مـن المكوكـب فـهو النفس ، وأما التوهم والتخيـل فـهو فعـل الوهـم والخيـال مـن الإدراك والانطباع والفكر يحصل لها من المعاني والصور نقوشها النسبة الكلية .

الحافظة

وأما الحافظة قالوا تسـمى الذاكـرة وهـي قـوة مترتبـة في التجويف الآخر من الدماغ من شـأنها أن تحفـظ أحكـام الوهـم كما كان الخيال خزانة الحس المشترك ، وهذه القوة الحافظة سريعة الطاعـة للقـوة الناطقـة في التذكـير ويتـأتى للرؤيـة بسـببها أن تستخرج عن أمور معهودة أمورا منسية كانت صاحبة لهـا ، فـهذه

القوة بعينها هل هي المتذكرة المسترجعة لما غـاب عـن الحفـظ أو غيرها .

القوى الخمس

أقول : القوى خمس وإن جعلت الحافظة مغايرة للمتذكـرة كانت ستا كما قال بعضهم معللا أن الحافظـة إمسـاك والمتذكـرة استرجاع فهي غيرها ، وقال في الشفاء أنها واحدة إلا أنها تسمى حافظة ومتذكرة باعتبار .. إلخ ، والذي يقوى في نفسـي أن القـوى خمس وأن الحافظة غير الذاكرة لأن الذاكرة تحصـل مـا فـات مـن الحافظة وتخزنه وتقيده في الحافظة فإذا أردت بيان هذا فانظر ما في الحافظة من أين أتاها فإنك تجد من المتوهمة والمتخيلة وهذه هـي المتذكـرة إلا أنـك سميتـها باسـم فعلـها فـإن المتخيلـة مثـلا إذا استحدثت شيئا تسمى المتخيلة لتخيلها ذلك بمعونة الفكر فـإذا خزنته في الحافظـة ونسـيته الحافظـة طلبتـه المتخيلـة واسـتعانت بـالمفكرة فـإذا وجدتـه وضعتـه في الحافظـة ، وسميـت متذكـرة لتحصيلها الشيء وهذا المعنى هـو الشيخ في الشـفاء ، فـالقوى خمس لا سـت لأن الدمـاغ لـه ثـلاث بطـون فمقـدم الدمـاغ في خارجه الحس المشـترك وداخلـه وهمـا عندهـم للتصـور الجزئـي ومؤخر الدماغ في آخـره الحافظـة وقبلـها الوهـم وهمـا عندهـم

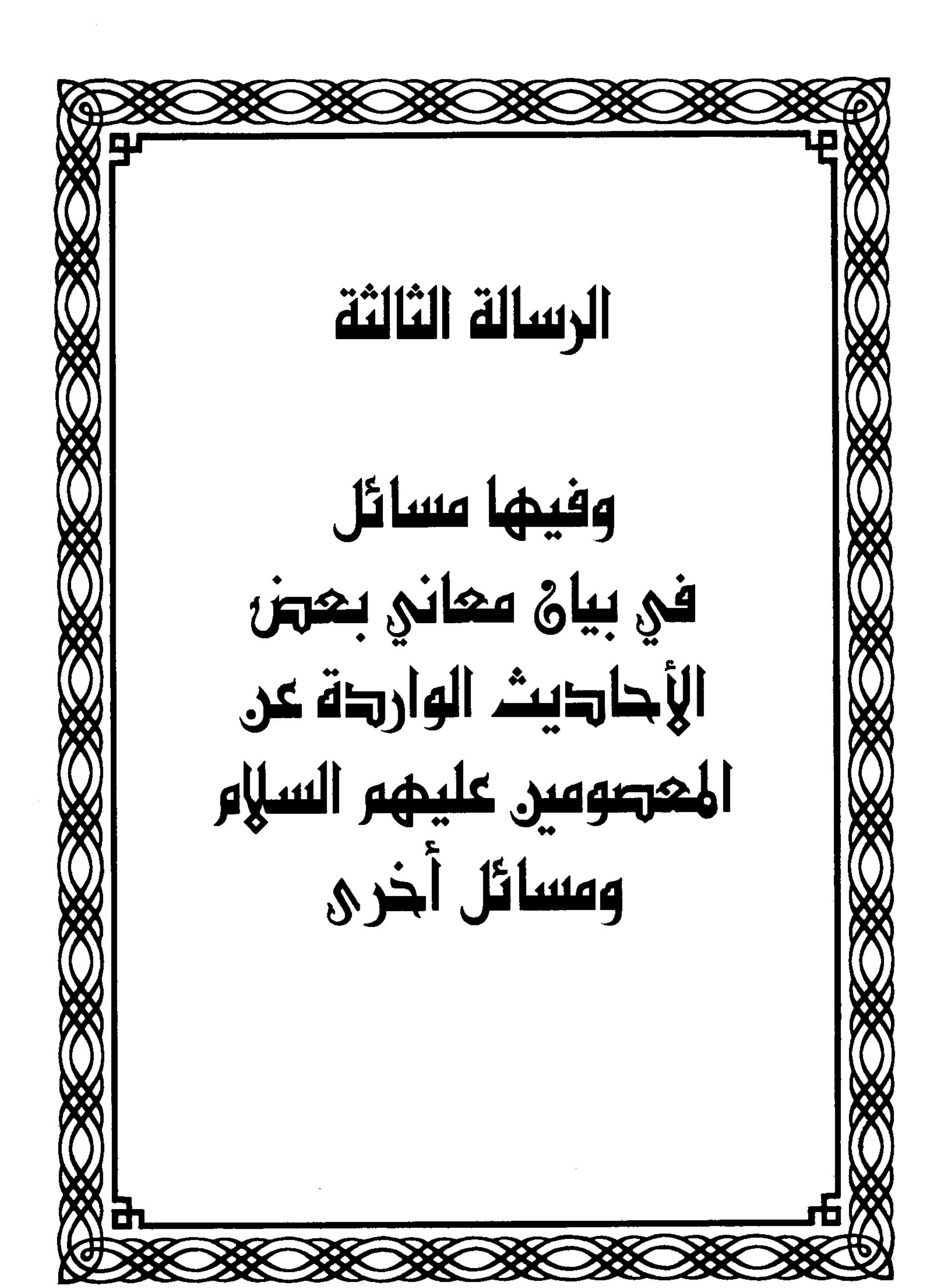
للتصديق الجزئي ، ووسط الدماغ للإدراك والتصرف وهي المتصرفة والمتخيلة ، وعلى رأي أهل الإشراق والمتألهين هي قوة واحدة تسمى بالأسماء المختلفة باعتبار اختلاف الأفعال والآلات .

الظاهر على طبق الباطن

أقول : الحق أن القوى الظاهرة أيضا كذلك من حيث الإدراك والتمييز وإنما تسمى بالأسماء المختلفة من مبصرة وسامعة ولامسة وشامة وذائقة باعتبار أفعال آلاتها فيسمى كل اسم باسم محل من آلاتها التي تعالج بها المحسوسات وبها تسمى القوى الظاهرة ، كما أن القوة الباطنة تسمى بكل اسم من أسماء آلاتها التي تعالج بها الغائبات وبها تسمى القوى الباطنة .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن لنا في بعض الأحوال إطلاقات لبعض الأمور غير ما يريدون منها الحكماء والمشاؤون والإشراقيون وتفصيل ذلك وضبط علاماته لا يسعها الوقت إلا أنها تعلم من سياق كلامنا فتدبره ، والسلام خير ختام .

كتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في ليلة الثالث عشر من شهر ربيع المولود وصلى على محمد وآله الطاهرين .



الرسالة الثالثة

وفيها مسائل في بيان معاني بعض الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام ومسائل أخرى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه قد بعث إلي الشيخ الأجل بمسائل يريد جوابها على حال اشتغال البال ببواعث الدنيا وبالأمراض المانعة من التوجه ، ولكن لا بد من إيراد ما يحصل به التنبيه على الجواب في الجملة ، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور وقد جعلت كلامه الشريف متنا ليحصل لكل كلام ما يناسبه من الجواب ومن الله إلهام الصواب .

قال سلمه الله : أما بعد فالباعث من تصديع جنابكم هو أن تمنوا على العبد الفقير بالجمع بين الأحاديث التي ذكرها الشيخ الطوسي في التهذيب في كتاب الزيارات وبين الحديث

الذي ورد أن موسى عليه السلام أخرج عظام يوسف عليه السلام وما قال العسكري عليه السلام في حق ذلك الرجل أن في يده عظما من عظام نبي عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام .

لا شيء خارج العرش

أقول : اعلم أن المعلوم بالدليل القطعي أن الله عز وجل لم يخلق شيئا من الأجسام المعروفة خارجا عن حيطة محدد الجهات وليس وراءه شيء مخلوق ، بل لا شيء وراءه وأما ما نشبه من عالم الأشباح والهيولى المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كعالم المثال ، وما نشبه من الأجسام المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كذلك كجور الهباء المذكور والطبائع الأول والنفوس ، وما نشبه من المعاني القارة والجواهر المجردة عن الزمان والمكان والعناصر والصور كالعقول ، وما نشبه من أضدادها وعكوسها فإنما هي في جوف هذه الأجسام التي أعلاها محدب محدد الجهات وأسفلها أسفل التخوم من الأرض السابعة المسمى بمركز العالم فهي في غيب هذه الأجسام ، وقلنا وراء محدد الجهات شيء نريد به ما قاله المشاؤون وأتباعهم من المتكلمين لأنهم يتوهمون شيئا هناك فضاء لا يوصف بخلاء لأن فيه مجردات ليست أجساما لتملأ ما

هي فيه ، كذا زعمه بعضهم وأمثال هذا مما ليس بشيء لأنهم نقلوا هذه العبارة من الحكماء الأولين أخذوها عن الأنبياء عليهم السلام والمعنى ما قلنا لك ، وليس قولنا أنه لا شيء نفيا للإمكان بل هو نفي للممكن إذ لا واسطة بين الإمكان والوجوب والمحال لا يصلح للواسطة بحال من الأحوال ولا في الواقع ولا في الفرض ، وليس وراء الإمكان شيئا بمعنى أنه لم يكوّن لا بمعنى أنه لا يمكن فيه التكوين كما قاله من جهل قدرة الله سبحانه فنفاه على حسب ما اقتضاه عقله ولسنا بصدد بيانه .

فإذا عرفت أنه لم يوجد شيء من الأجسام المعروفة إلا الفلك الأطلس وما في جوفه ، فاعلم أن عالم المثال عالم ذو أعاجيب وهو في الإقليم الثامن أسفله على محدد الجهات ، والمراد أنه كذلك في الرتبة لا أنه خارج عنه ، وفي هذا العالم جنة الدنيا التي هبط منها آدم عليه السلام وإليها تأوي أرواح المؤمنين وهي الجنتان المدهامتان وهي في جهة المغرب قال تعالى ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1] ومنها تستمد الأنهار الأربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات ، وفيه نار الدنيا في جهة المشرق وإليه تأوي

---

[1] مريم ٦٢

أرواح الكفار والمنافقين والمشركين قال تعالى ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[1] ، وهذا العالم إذا خلعت جسدك في النوم رأيت ما هناك لأنك إذا دخلت في النوم خلعت الجسد العنصري الكثيف وبقيت في الجسد العنصري الذي هو من أرض هورقليا من هذا العالم المذكور ، وهذا الجسد الذي خلعته عند النوم هو الذي يدرك في هذه الدنيا من العناصر الأربعة الزمانية المعروفة من المزاج المتركب منها الساري بالأغذية من الطعام والشراب ، وإذا خلعته لم تدرك بهذه الأبصار وإنما تدرك بأبصار أهل ذلك العالم ، وأهل العصمة عليهم السلام يدركون في هذه الدنيا ما في ذلك العالم وما وراءه فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج وقد عرج بجسده الشريف الذي خرج به في الدنيا لأهل زمان بعثته رأى جميع ما في عالم الغيب والشهادة وما في الدنيا وما في البرزخ وما في الآخرة وأوقفه الله سبحانه على جميع ما خلق كل في مكانه ووقته من عالم الملك والملكوت والجبروت ، ومعنى كلامي أنه صلى الله عليه وآله رأى ليلة المعراج عند وصوله إلى

---

[1] غافر ٤٥ – ٤٦

مقام قاب قوسين عقل الكل في الوقت الذي خرج فيه من كتم غيب الإمكان إلى الوجود الكوني ، ورأى ما دونه إلى ما تحت الثرى كذلك ، ورأى ما فوق العقل وتحت المشيئة في مقام أو أدنى .

عالم المثال العجيب

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأجساد جسدان جسد عنصري بشري وهو المرئي المحسوس ، وجسد عنصري برزخي من عناصر هورقيليا وهذا هو الذي يبقى في القبر مستديرا ويحشر فيه بعد تصفيته وهو الباقي الذي خلق للبقاء نزل في الأصل من باء بسم الله الرحمن الرحيم ، والجسد البشري العنصري هو المتكون من الأغذية وهو داخل خارج دخوله وخروجه على السواء ولا يتعلق به في نفسه ثواب ولا عقاب وليس له بقاء بل هو فان لا يعود لأنه بحكم الثوب لبسه ويخلعه ، نعم هو حامل في الدنيا للجسد الباقي المذكور وهو الجسد العنصري الفاني له ارتباط بالباقي وذلك الارتباط مختلف في الأشخاص ، فمن كان طيبا طاهرا زكيا نقيا من المعاصي والذنوب كان ارتباط الفاني فيه بالباقي ضعيفا فهو أقل وأضعف من ارتباط الثوب الذي تلبسه بجسدك منه ، وهذا الطيب إذا أراد خلعه في الحيلة كان أسهل عليه من خلع

ثوبه، ومن كان خبيثا نجسا متهتكا مخلطا كان الفاني باقيه معرفا متمكنا لا يتخلص منه إلا بعد طول بعيد ومكث في أطباق الثرى طويل بعد تقطع أوصاله وتبدد أعضائه وتفتت عظامه لأن جسديه قد تمازجا لما بينهما من التقارب والتناسب بخلاف الجسد الطيب مع ما يلحقه مع ما يلحقه من العنصري فإنه قشر عليه ظاهر صحبه إلى وقت مقدر له ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [1]، ومن بين الطيب والخبيث مختلف التعلق والارتباط ولكل درجات مما عملوا.

فعلى هذا يكون المعصومون أسرع خلعا لبشريتهم وأسرع غيبوبة عن أبصار أهل الدنيا، وغيرهم أبطأ، وقد ثبت بالإجماع والأخبار المتواترة معنى بأن النبي نوحا على محمد وآل محمد وعليه السلام عند الطوفان استخرج عظام آدم عليه السلام من سرنديب أو من مكة على اختلاف الروايتين وحمله في السفينة على الجودي في ظهر الكوفة فهو الآن ضجيع نوح خلف قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان عمر آدم على ما رواه الصدوق في الإكمال سبعمائة سنة وثلاثين، والمستفاد من كلام

---

[1] النحل ٨٠

مروج الذهب للمسعودي مع انضمامه للرواية المذكورة بين موت آدم عليه السلام وحمل نوح عليه السلام الجسد في السفينة ألف سنة وخمسمائة سنة وأربع عشرة سنة ، وقد ثبت في اللغة العربية استعمال لفظ العظام في الجسد لأنها معظم الجسد لذا ورد وجوب صلاة الأموات على مجموع العظام كما وجبت على الجسد وإن لم يكن فيها شيء من القلب كما في صحيح علي بن جعفر عن أخيه موسى عليهما السلام ، وأيضا روي في المشهور والمقبول من الروايات أن موسى عليه السلام حمل عظام يوسف عليه السلام من شط نيل مصر ودفنه في بيت المقدس وكان بينهما أربعمائة سنة تقريبا أو تنقص قليلا وكان يوسف عليه السلام من عباد الله الصالحين فلا ينقص عن حال آدم عليه السلام .

المراد إخراج جسده

والمراد بإخراج عظامه إخراج جسده وإنما عبر عنه بها لأنها معظم الجسد واستعمال ذلك كثير في كلام العرب في خطاباتهم وأشعارهم ومنه ما قال الشاعر يرثي طلحة ابن عبيدالله بن خلف ويسمى طلحة الطلحات لأن أمه صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبدمناف :

رحم الله أعظما دفنوها   بسجستان طلحة الطلحات

فسمى جسده المدفون بسجستان أعظما ، واستعمال ذلك غير منكور في لغة العرب ، وأنت إذا عرفت ما حققنا لك قبل لم تشك في أن الذي حمله نوح عليه السلام وموسى عليه السلام هو الجسد لا العظام ، ومثال جسد المعصوم عليه السلام كسبيكة الذهب الصافي إذا لحقها غبار فإنك إذا جلوتها انكشف عنها وهي باقية على هيئتها لأن الغبار لم يقض فيها كما أن البشرية لم تقض في بواطن أجسامهم لأنها نورانية طاهرة ، ولهذا تنطوي لهم الأرض ويمشون على الماء وفي الهواء إذا شاءوا ، ولأن أجسادهم عليهم السلام كنفوس غيرهم ، ومثال جسد الشخص من سائر الناس كمثل سبيكة ممتزجة من ذهب ونحاس أو فضة ونحاس فإنك إذا صفيتها لا تصفو إلا بإذابتها وتصفيتها وكسرها من أصلها لأن الخلط ممازج لها ولهذا تراه يحتلم في المنام ويجنب لأن البشرية مازجت ظاهره وباطنه وإن لم تكن من حقيقته ، والمعصوم عليه السلام لا يجنب في المنام ولا ينام قلبه وإنما نامت عينه فافهم .

تفسير ما ورد عن
الإمام العسكري عليه السلام

وأما ما قال أبو محمد العسكري عليه السلام في حق ذلك الرجل وهو ما رواه في كتاب ثاقب المناقب وخرائج الراوندي روي عن علي بن الحسين بن سابور قال ((قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن الأخير عليه السلام فأمر المعتمد بن المتوكل الحاجب وأهل المملكة أن يخرجوا إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام متوالية إلى المصلى يستسقون ويدعون فما سقوا ، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب فلما مد يده هطلت السماء بالمطر ، وخرج في اليوم الثاني فهطلت السماء بالمطر ، فشك أكثر الناس فعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية ، فبعث الخليفة إلى الحسن عليه السلام وكان محبوسا فاستخرجه من حبسه وقال الحق أمة جدك فقد هلكت ، فقال له : إني خارج في الغد ومزيل الشك إنشاء الله ، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر بالراهب وقد مد يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه ، ففعل وأخذ من بين سبابته والوسطى عظما أسودا

، فأخذه الحسن عليه السلام ثم قال له : استسق الآن فاستسقى وكانت السماء متغيمة فتقشعت وطلعت الشمس بيضاء ، فقال الخليفة : ما هذا العظم يا أبا محمد ، قال عليه السلام : هذا رجل مر بقبر نبي من أنبياء الله فوقع في يده العظم ، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر))[1] .

فيحتمل أنه قطعه وكشف عن لحمه ليكون العظم بارزا وذلك أنه سمع ذلك من بعض الكتب المنزلة أو من كلام بعض الأنبياء عليهم السلام ، فقطعه وكشطه لأجل هذا السر ، ومن الإمارات الدالة على هذا كونه أسود لأنه لو أخذه باليا لكان أبيض ، وقولي من الإمارات لاحتمال أن يكون اسوداده من مس الراهب لأجل ذنوبه كما في الحجر الأسود وكان حين أخذه آدم عليه السلام درا أبيضا ، وإنما نرجح الأول لأنه هو الظاهر المحسوس المشاهد بخلاف الاحتمال الثاني فإنه معنوي ، وإذا قام الاحتمال المساوي بطل الاستدلال فكيف بما إذا قام الاحتمال الراجح ، وبيان الأرجحية أنه لا قائل بالفرق بين آدم عليه السلام وبين غيره من الأنبياء بل كل من قال بأن أجسادهم لا تبقى عمهم وكل من لم يقل بذلك بل حكم بالبقاء ، وإذا ثبت

---

[1] الخرائج ٤٤٢

عدم الفرق وثبت أن نوحا حمل جسد آدم عليهما السلام أو عظامه فلا يبقى منها شيء أصلا لأن مدة مكثه في الأرض كما ذكرنا أولا ألف سنة وخمسمائة سنة وأربع عشرة سنة ويستحيل بقاء العظام هذه المدة تامة إلا لسر عظيم ، وهذا السر المانع من اضمحلال العظام هو بعينه المانع من اضمحلال اللحم ومن تغير الصورة مع ما ورد في الأخبار من أن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم فافهم ، ويأتي إنشاء الله تعالى تمام الكلام .

لا تمكث جثة نبي ولا وصي نبي أكثر من أربعين يوما

قال سلمه الله : والأحاديث التي ذكرها الشيخ في التهذيب في كتاب الزيارات بسنده عن عطية الأبزاري قال ((سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لا تمكث جثة نبي ولا وصي نبي في الأرض أكثر من أربعين يوما))[1] .

أقول : يريد عليه السلام أن أبطأ خلع البشرية أربعين يوما وقد يكون أقل من ذلك ، ولو كان المراد منها مكث الجثة على المعنى المفهوم عند العوام لما وجد نوح آدم عليهما السلام ولما وجد موسى يوسف عليهما السلام لما سمعت من طول المدة

[1] التهذيب ٦/١٠٦

بينهما ، وإنما خص آخر الخلع بأربعين يوما دون الأقل منهما والأكثر لأن علة اللبس والخلع متساوية فإن لبس البشرية في النزول مساو لخلعها في الصعود ، وكانت مراتب اللبس في النزول أربعين وذلك لأنه مخلوق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض من كل واحد قبضة ، فمن الأطلس قلبه ومن الكوكب نفسه ومن فلك زحل عقله أي تعقله ومن فلك المشتري علمه ومن فلك المريخ وهمه ومن فلك الشمس وجوده الثاني ومن فلك الزهرة خياله ومن فلك عطارد فكره ومن فلك القمر حياته ومن العناصر الأربعة جسده فهذه عشر قبضات ، وأدار كل قبضة أربع دورات دورة عناصرها ودورة جمادها ودورة نباتها ودورة حياتها في كل شيء بحسبه فهذه أربعون وهي مراتب الوجود بعدد ميقات موسى عليه السلام ، وفي الخلع البطيء التدريجي كذلك أربعون نازلا وصاعدا .

النبي والوصي لا يبقى في القبر أكثر من ثلاثة أيام

قال سلمه الله : في التهذيب عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه

ولحمه إلى السماء وإنما تؤتى مواضع آثارهم ويبلغهم السلام من بعيد ويسمعونه من مواضع آثارهم من قريب))[1] ، وفي التهذيب أيضا بسنده إلى علي بن بزرج الخياط قال : جاءني سعد الإسكاف قال : يا بني تحمل الحديث ، فقلت : نعم ، فقال حدثني أبو عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال ((إنه لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام غسلاني وكفناني وحنطاني واحملاني على سريري ، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور ولحد ملحود ولبن موضوع فألحداني واشرجا اللبن علي وارفعا لبنة مما يلي رأسي وانظرا ما تسمعان ، فأخذا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللبن فإذا ليس في القبر شيء ، وإذا هاتف يهتف أمير المؤمنين عليه السلام كان عبدا صالحا فألحقه الله بنبيه صلى الله عليه وآله وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء حتى لو أن نبيا مات في المشرق ومات وصيه في المغرب لألحق الله الوصي بالنبي صلوات الله وسلامه عليه))[2] .

---

[1] التهذيب ٦/١٠٦

[2] التهذيب ٦/١٠٦

أقول : في الحديث الأول إشارة إلى ما أشرنا من اختلاف ملة خلع البشرية ، ومعلوم أن منهم عليه السلام من يخلع بشريته في ثلاثة أيام ويراد من هذا البعض المخصوص عندهم وإن كان ظاهره يدل على العموم جمعا بين الأخبار .

فإن قلت : هذا صريح في أن جميع الجسد وما يتعلق به من غيبه وشهادته يرفع حتى يبقى موضعه خاليا وتأويله على ما تدعيه خلاف الظاهر والأصل عدمه .

قلت : قد ثبت بالأدلة القطعية أن آدم عليه السلام نقله نوح عليه السلام من موضع دفنه بسرنديب أو بمكة من الأرض العنصرية هذه ، وكذلك يوسف عليه السلام مع موسى عليه السلام ، وقد بقي آدم عليه السلام ويوسف عليه السلام هذه المدة الطويلة ، ويمكن تأويل هذه الأخبار على مثل ما ذكرنا سابقا وهو تأويل متجه ، ولا يمكن التوجيه والتأويل في استخراج آدم ويوسف عليهما السلام ونقلهما وصرفه عن ظاهره ولا قائل بالفرق فيجب المصير إلى ما قلنا فإنه إذا خلع الصورة البشرية فقد رفع بذلك إلى السماء في الرتبة وإلى العرش كما في قصة الحسين عليه السلام كما يأتي ذكره فهو وإن بقي في قبره لكنه لا يراه غير المعصوم الذي يرى ببصره ما في عالم البرزخ وما في عالم

الغيب ، ولو نبشهما غير معصوم لم ير شيئا كما رواه محمد بن جعفر بن قولويه في كامل الزيارة عن عبدالله بن بكر الأرجاني في حديث طويل عن الصادق عليه السلام إلى أن قال ((جعلت فداك ، أخبرني عن الحسين عليه السلام لو نبش كانوا يجدون في قبره شيئا ، قال يا ابن بكر ما أعظم مسألتك ، الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه والحسن في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله يحيون كما يحيى ويرزقون كما يرزق ، فلو نبش في أيامه لوجد وأما اليوم فهو حي عند ربه يرزق وينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله ، وإنه لعلى يمين العرش متعلق يقول يا رب انجز لي ما وعدتني ، وإنه لينظر إلى زواره وهو أعرف بهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحله ، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمة له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول لو تعلم أيها الباكي ما أعد لك لفرحت أكثر مما جزعت فليستغفر له كل من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر وينقلب وما عليه ذنب))[1] .

فقوله عليه السلام ((لو نبش في أيامه لوجد)) يراد منها أكثر من ثلاثة أيام لأن أيام جمع قلة أريد به جمع كثرة وذلك لأنه

---

[1] كامل الزيارة ٣٢٩

لو نبش في أيامه ولم يوجد لأنكر الأعداء كونه مقتولا ، وعلى هذا لو نبش بعد الأربعين يوما وبعد السنة والسنتين وأزيد لأنها من أيامه ، ولو أريد ما في الحديث المتقدم لما كان ينبغي أن يقال في أيامه وهو يريد بها يومين أو ثلاثة ، لأنه لو أريد بهذا الكلام أنه لو نبش بعد دفنه بيوم أو يومين أو ثلاثة لما حسن أن يقال في أيامه إذ لا تفهم الثلاثة من هذه العبارة في العرف وللعلة المذكورة ورفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء يراد منه ما قلنا إلا أنهم صلى الله عليهم يتكلمون بالحقائق ونحن نتكلم بظواهر اللغة ، ولو أردنا أن نتكلم بالحقيقة لم نجد عبارة عنها أحسن مما قالوا ، فإن الجسد إذا خلع البشرية عنه التي هي أرض بالنسبة إلى الأجساد الباقية العنصرية وهي سماء لها ، مع أنا قدمنا لك أن هذه البرزخية في الإقليم الثامن وأسفله على محدب محدد الجهات يعني في الرتبة فكيف يدركه أهل الدنيا غير المعصومين ، وكيف لا يقال أنه في السماء وقوله ((وإنما يؤتى موضع آثارهم .. إلخ)) لأنها هي محل خلع البشرية ، فإذا خلع الجسد الباقي الجسد العنصري الثقيل في محله من القبر الذي تدركه العوام بقي الجسد الباقي في سمائه من ذلك القبر فيأتون الزوار محل

القشر الملقى ، ولعمري إن الجسد الباقي فيه في غيبته إلى يوم القيامة عند ربه يرزق .

وقوله ((يبلغهم السلام من بعيد)) لبعد الخالع والمختلع ، وقوله ((ويسمعون من قريب)) لأن الزوار بعيدون عن الخالع والخالع في قبره في غيبته فيسمعهم من قريب لأنهم لا يرونه وهو يراهم ولا يسمعون وهو يسمعهم ، وحديث كامل الزيارة بهذا المعنى ، وأما حديث سعد الإسكافي فهو كغيره .

وروي أن الذي رفع مقدم السرير هو أمير المؤمنين عليه السلام لأنه كما قال عليه السلام في كلامه لسلمان وأبي ذر ((إن ميتنا إذا مات لم يمت وغائبنا لم يغب))[1] وكان علي عليه السلام يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم مات وهو يتقلب ولا يحتاج إلى من يقلبه ، وكل هذا لضعف بشريتهم وقوة نوريتهم فهم أحياء كهم أموات .

وقوله ((فإذا ليس في القبر شيء)) روي أنه بعد ما يجتمع بنبيه صلى الله عليه وآله يعود إلى حفرته وهو كثير في أخبارهم عليهم السلام وفي الزيارات المروية عنهم عليهم السلام ، ففي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ((السلام عليك

---

[1] البحار ٢٦/٦

وعلى ضجيعيك آدم ونـوح))[1] وذلـك لأن جسـده الشـريف في القبر الآن وإلى ما بعد ذلك أي إلى ما بعد خروج صاحب العصر عليه السلام وعجل الله فرجه وبعـد قتلـه عليـه السـلام بثمـان سنين ، فجسده الشريف في قبره المشهور بظـهر الكوفـة في غيبـه على المعنى المتقدم مضاجعا لنـوح وآدم عليـهما السـلام كمـا في صريح الزيارة ، والأصل في الاستعمال الحقيقة .

الأئمة عليهم السلام في قبورهم ولا تراهم العيون

قال سلمه الله : وما قلتم أن الأئمة عليهم السلام يكونون في القبر ولكنهم لا يرونهم الناس لانخلاعهم البشـرية عنـهم لا يوافق الحديث الأخير فإن الإمام يرى الإمام .

أقول : قولي هذا حق فإن الإمـام يـرى الإمـام الآخـر حـق أيضا ولكنه حينئذ لا يراه في بشريته إلى أن يرجـع بعـد اجتماعـه بالنبي صلى الله عليه وآله ، وبعد رجوعه يراه في بشريته إلى أوان الخلع العادي له ومع هذا إذا أراد الإمـام عليـه السـلام أن يـرى الإمام الميت بعد خلعه البشرية فيها رآه فليس غيبته ولا فرقة أبدا وإن حصل ذلك في الظاهر ومن المعلـوم أن الأنبيـاء والأوصيـاء

[1] جمل الأسبوع ٣٦

عليهم السلام يحشرون من مواضع حفرهم لأنـهم يدفنـون فيـها مرة ثانية بعدما يرفعون إلى السماء فـآدم ونـوح عليـهما السـلام يحشران من قبرهما بظهر الكوفة ، وقوله في حديث كامل الزيـارة ((وإنه لعلى يمين العرش متعلق)) ليس لأنه هناك بل على نحو ما قـال أمـير المؤمنـين عليـه السـلام ((صحبـوا الدنيـا بـأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى))[1] يعني توجهوا إليه وهـذا إنشـاء الله تعالى لا إشكال فيه ، وصلى الله على محمـد وآلـه الطـاهرين والحمد لله رب العالمين .

---

[1] الخصال ١٨٦





وفيها مسائل
في بيان معاني
بعض الأخبار الواردة عن
المعصومين عليهم السلام



في معنى حديث الرؤية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه قد أتت إلي بعض المسائل من بلاد الأمان والإيمان أصفهان حرسها الله من طوارق الحدثان من بعض الإخوان حفظه

الله من نوائب الزمان بأحاديث مشكلة يريد فيها البيان ، وكان القلب غير مجتمع والحال متشتتا ، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله سبحانه ترجع الأمور .

فمنها صحيح عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ذاكرت أبا عبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال عليه السلام : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ، فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب))[1] .

أقول : المقام يقتضي في بيان هذا الحديث الشريف أوجها ثلاثة .

الأول : ما هذه الأنوار ؟ .

الثاني : كيف كانت خمسة ؟

الثالث : لم كانت نسبة الأنوار بعضها إلى بعض سبعين ؟ .

---

[1] التوحيد ١٠٨

ما هذه الأنوار

الأول : اعلم وفقك الله أن المراد بالكرسي نفس فلك البروج وهو العلم الظاهر الذي أحاط بكل شيء قال الله تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [1] ، والمراد بالعرش نفس فلك محدد الجهات وهو العلم الباطن وهو علم الكيفوفة وعلل الأشياء ومصدر البدء ، والمراد بالحجاب منازل الكروبيين وهم هياكل التوحيد التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام وأشار إليها الصادق عليهما السلام إليهم كما رواه الصفار في البصائر بسنده عنه وقد سئل عن الكروبيين فقال ((قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، وإن موسى عليه السلام لما سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا))[2] .

والمراد بالستر نور العظمة والجمال وهو أول مقام من الوجود المقيد وهو الذي قال الله تعالى ذكره ﴿ فَكَانَ قَابَ

---

[1] البقرة ٢٥٥

[2] البصائر ٦٩

قَوْسَيْنِ ﴾[1] ، وفي الدعاء ((أسألك باسمك الذي أشرقت به السموات والأرضون))[2] .

كيف كانت خمسة

وأما الوجه الثاني فاعلم أنه عليه السلام إنما ذكر هذه الخمسة لأن أدنى الأنوار التي لا يقدرون النظر إليها هو الشمس وأعلاها مما لا تسارع العقول إلى إنكاره هو الستر ، والمراد بها الأنوار المتناسبة كل واحد إلى ما فوقه واحد من سبعين ، وإلا فلو كان المراد مجرد التناسب لكان تحت ذلك مثله فقد روي أن السكينة جزء من سبعين جزء من نور الزهرة والزهرة جزء من سبعين جزء من نور القمر والقمر جزء من سبعين جزء من نور الشمس وكذلك فوق الستر ، ولا خصوصية في هذا العدد ولا فائدة هنا فيه .

لم كانت نسبة الأنوار بعضها إلى بعض سبعين

وأما الوجه الثالث فاعلم أن عدد السبعين في الحديث يراد منه أمر ظاهري وأمر حقيقي ، فأما الظاهر فاعلم أنه قد

[1] النجم ٩

[2] البحار ٥٣ / ٩٥

يطلقون العدد ولا يكون مرادا بخصوصه وإنما يراد به مجرد الكثرة وهذا كثير في الروايات وفي القرآن مثل أنهم كعلة بني إسرائيل سبعين ألفا أو يزيدون وهذا يراد به مجرد الكثرة، يدل عليه ما ذكر في قصة موسى عليه السلام وحيلة بلعم بن باعور لما طلب منه الجبارون الدعاء على موسى عليه السلام وقومه فانسلخ الاسم من لسانه فلحتال لهم وقال زينوا نساءكم وبناتكم وأمروهن يمضين إلى عسكر موسى وأوصوهن أن لا تمنع جارية أحدا يريدها وأنا أرجو أنهم يزنون بهن وما فشا الزنا في قوم إلا حل بهم الطاعون، ففعلوا فحل فيهم الطاعون وكان سياف موسى عليه السلام تلك الساعة غائبا وكان اسمه الطهماصر بن الغيرار فأتى فلما رأى ذلك عمد إلى شلوم ابن زمرير وهو معانق لكشتا بنت صور من القوم الجبارين فانتظمهما بحربة معه فرفعهما في الهواء وقال يا رب هذا يرضيك فرفع الطاعون، فحسب المفقود من الطاعون من قوم موسى عليه السلام في ساعة واحد سبعين ألفا.

وكذلـك في قولـه تعـالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾[1] لأن الطائفـة المؤمنـة الأولاد الصغار من بـني إسـرائيل وكـانوا سـتمائة ألـف وكـذا قيل ، وقيل الكل ستمائة ألف ، فإذا كـان الأولاد سـتمائة ألـف فكيـف يكـون الجميـع سـبعين ألفـا ، وإنمـا يـراد منـه مجـرد الكثرة ، وكذا في قوم يونس عليه السلام .

والمراد بالسبعين هنا هذا المعنى ، لأن السبعين على المعنى الباطن صحيح ولكن هذه النسـبة باعتبـار التشـكيك في الشـدة والضعـف وأما في الكـم فلا يدخل عده تحـت علمنـا وستسـمعه إنشاء الله تعالى .

الوجه الحقيقي

وأما الوجه الحقيقي في عدد السـبعين فـاعلم أن أول فـرد من الأعداد هو الثلاثة ، وهو عدد كـل فـرد مـن معـدن ونبـات وحيوان وذلك عدد الكيان ، إذ كل فرد فله عقل ونفس وجسـد ، واعلم أيضا أن أول زوج الأربعة وكل فـرد ممـا ذكـر فـهو مربـع الكيفية حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة ، فكل فرد فـهو ذو سـبعة مثلث الكيان مربع الكيفية ، فكانت السبعة هي العـدد الكـامل

[1] يونس ٨٣

فجرى في الأصول لقولـه تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1] يجري صنعه بأمر محكم وقضاء مبرم وعلم متقن ، فلذلـك كـانت السموات سبعا والأرضون سبعا والأيـام سـبعة والأنبيـاء أولـوا الشـرائع سـبعة إلى غــير ذلــك ، والســبعة مرتبــة الأصــول والعلل ، ثم لما كانت المعلـولات في الوجـود بالنسـبة إلى عللـها كـانت الفاعليـة في المرتبـة الأولى وهـي مرتبـة الآحـاد وكـانت المفعولية في مرتبــة العشـرات ، فكـان اعتبـار السـبعة في الأولى سبعين في الثانية ، فكانت العلــة في الشـدة سـبعين والمعلـول في الضعف واحدا .

فإن قيل : فإذا كانت السبعة في المرتبة الثانية سبعين وهي نسبة رتبة المعلول من العلة ينبغي أن يكون واحدا من عشـرة لا واحدا من سبعين .

قلنا : لما كان المعلول لا يتكون من سنخ العلة وإنما يتكـون من فعلها في رتبتــه لا في رتبـة العلـة لأن رتبـة الفعـل في رتبـة المفعول .

فإن قلت : زيد ضرب ضربا ، كان ضــرب في رتبـة ضربـا لأن الفعل إنما قام بزيد قيام صدور لا قيـام عـروض ، ولا يسـتند

---

[1] هود ٥٦

إلى زيد وإنما يستند إلى جهة ظهور زيد بالضرب وذلك هو حقيقة ضرب وهو نفسه ، ففي الحقيقة كان ضرب يدور على تلك الجهة على خلاف التوالي وتلك تدور على التوالي ، فالفعل ظاهره وحقيقته لا يحل بزيد ولا يستند إليه وإنما أحدثه زيد بنفسه وهو في رتبة مفعوله الذي هو ضربا من الوجود وإن كان ضرب متقدما عليه بالعلية ، فلما كان ما تقوم به النور من المنير إنما هو تلك الجهة وهي ظهوره بالنور للنور لم يكن عشر السبعين وإلا لكان من سنخه فيكون فيه من كل واحد من السبعة الثلاث الكيان والأربع الكيفيات عشرة ، ولو كان كذلك لكان من ذاته غاية الأمر أنه أقل منه كما ، بل هو واحد من السبعين لأن السبعة لما ظهرت في المرتبة الثانية كانت سبعين وهي مراتب ظهورات السبعة مرتبة أعلاها الأصول وأسفلها جهة الظهور ، وهو نفس نور الشمس مثلا بالنسبة إلى الكرسي ونور الكرسي بالنسبة إلى نور العرش ، فلهذا كان النور الذي هو نفس ظهور المنير واحدا من سبعين من ضياء المنير لا من ذاته ، فافهم وفقك الله تعالى .

وقولنا هنا أن المراد به مجرد الكثرة نريد به أنه في حقيقته واحد أي إشراق من سبعين وجها من المنير دائم الإشراق يعني

ذلك الوجه ، فكأن المنير سبعين وجها مشرقا أبدا فالنور إشراق من وجه ، فإذا نظرت إلى العدد المخصوص فهو صحيح كما قررنا ، وإن لحظت دوام الإشراقات من المبادئ فهي لا تحصى ، فيكون هذا النور يجري على جهة الاستدارة الصحيحة أوله في آخره فالوجه أبدا يمده منه فلا يستغني أبدا عن المدد ولا يقف على حد ، فهو نهر يجري مستديرا قطبه ذلك الوجه من ذلك المنير ، فهذا حقيقة ما طلبت وما لم تطلب فإن ظهر لك فاحمد الله على جزيل نعمه وإن خفي عليك فاسأل الله الفتاح أن يفتح لك باب المعرفة .

واعلم وفقك الله أن الله سبحانه بلطيف صنعه لم يخرج شيئا من خزائنه إلا مبينا مشروحا على أكمل وجه ، ولكنه خلق الأشياء كما علمها فجرت في مراتب تكوينه مختارة لما يسترها له لا يخالف شيء منها محبته وذلك كمال اختيارها ، فكان مما أجرى بجميل تدبيره أن جعل ما ظهر ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه ، ولو أني حاولت في إظهار هذه التي أشرت إليها بالعبارة الظاهرة المعلومة عند العوام لعميت الطريق وصعب المسلك لأن الأشياء تحاول بما يسهل فيها وهو العبارة الظاهرة للمعنى الظاهر والإشارة للباطن فافهم .

في معنى قول أمير المؤمنين
إن العرش خلقه الله من أنوار أربعة

ومنها قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة ، نور أحمر احمرت منه الحمرة ، ونور أخضر اخضرت منه الخضرة ، ونور أصفر

أصفرت منه الصفرة ، ونور أبيض ابيض منه البياض وهو العلم الذي حمله الله للحملة))[1] .

ما المراد من العرش هنا

أقول : اعلم أن العرش يطلق ويراد به معان مختلفة يعرف أحدها بالمقامات ، فهذا العرش هنا المراد به مظهر الرحمانية ومجمع صفات الإضافة وصفات الخلق قال الله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2] ، يعني استوى برحمانيته على كل شيء فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه .

ومجموع هذه الأنوار الأربعة هي العرش ، فالنور الأبيض هو الأعلى وهو عن يمين العرش أي ركنه الأيمن ، والنور الأصفر تحته ، والنور الأخضر عن يسار العرش وهو ركنه الأيسر والنور الأحمر تحته ، فالنور الأصفر ركن أيمن تحت الأبيض والنور الأحمر ركن أيسر تحت الأخضر ، وهذه الأنوار الأربعة هي سبحان الله وهو الأبيض والحمد لله وهو الأصفر ولا إله إلا الله

---

[1] إرشاد القلوب ٣٠٨

[2] طه ٥

وهو الأخضر والله أكبر وهو الأحمر ، فهذه الأركان الأربعة هي جميع الوجود المقيد الذي أوله العقل الأول وآخره الثرى .

وقد جعل الله لكل ركن ملك يحمله وهي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ومعنى يحمله أن شئونه منحصرة في هذا الملك ، ولكل ملك جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله ، فدار الوجود المقيد كله على هذه الأربعة المراتب وهو قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[1] فالموكل بآثار الخلق جبرئيل من جهة النور الأحمر وإليه الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله ((والورد الأحمر خلق من عرق جبرئيل))[2] والموكل بآثار الرزق ميكائيل من جهة النور الأبيض وهو قوله صلى الله عليه وآله ((الورد الأبيض خلق من عرقي))[3] ، والملك الموكل بالموت عزرائيل من جهة النور الأخضر ، والملك الموكل بالحياة إسرافيل من جهة النور الأصفر قال صلى الله عليه وآله ((الورد الأصفر خلق من البراق))[4] ، وكل ملك من هذه الأربعة يعينه على ما وكل به ملكان بنصف

---

[1] الروم ٤٠

[2] مكارم الأخلاق ٤٤

[3] المصدر السابق

[4] المصدر السابق

قوتهما، فالنور الأبيض هو القلم وهو اسم الله الذي أشرقت به السموات والأرضون وهو ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن لم يخلق إلى يوم القيامة ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال وحد النساء فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والرديء ألا ومثل القلب كمثل السراج في وسط البيت، رواه في العلل عن علي عليه السلام، وهو الركن الأيمن الأعلى من العرش الذي هو مظهر الرحمانية وهو الألف القائم وهو المعاني المجردة عن المدة والمادة والصورة، وهو أول صوغ الموجودات، وهو القلم المذكور في الروايات عند مقام قاب قوسين، وهو روح القدس الأكبر، وهو أول مخلوق ظهر بأول خلق، وهو أول الوجود المقيد وهو العقل الأول الذي قال الله ((أدبر فأدبر)) بالمعاني فقال له ((أقبل فأقبل)) بالأسماء الثمانية والعشرين التي أولها البديع وآخرها رفيع الدرجات.

وأركان الوجود الأربعة المخصوصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربعة فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الممات ، وظرفه أعالى الدهر القريبة من السرمد فنهاية أعلاه نهاية أعلى الدهر فهو في عالم الدهر والجهات في عالم الزمان ، وقد أشار العسكري عليه السلام إليه في قوله ((وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[1] والصاقورة هو العرش المشار إليه وحدائقهم عليهم السلام غرسوها بأيد في الأرض الجرز التي هي الدواة الأولى ، قال الله تعالى ﴿ نٓ ﴾ وهي الدواة الأولى ﴿ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[2] هو النور الأخضر ويأتي فافهم راشدا .

النور الأصفر هو الروح

والنور الأصفر هو الروح قال صلى الله عليه وآله ((أول ما خلق الله روحي)) وهو الركن الأيمن الأسفل من العرش

---

[1] البحار ٢٦/ ٢٦٤

[2] القلم ١

المذكور ، وهو الروح الكلية قال تعالى ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾[1] وفي الحديث ما معناه (إن البراق بين فخذيها وعينيها في أرجلها وأذنها تتحرك أبدا) وهو ثاني مخلوق بأول خلق وهو البراق في الإشارة ، وهو الرقائق المجردة عن المادة والمدة وهو برزخ بين معاني العقل وصورة النفس وصورته بين صورة العقل وهي (ا) وبين صورة النفس وهي (-) فصورته هكذا (د) ، ومثال الرقائق المشار إليها كالمضغة قبلها النطفة ، كالمعاني وبعدها الخلق الآخر ، كالصور وأركان الوجود الأربعة المختصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربعة ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الموت ، وظرفه الدهر ونسبته من الدهر نسبة فلك الثوابت المعبر عنه بالكرسي من الزمان فافهم راشدا .

النور الأخضر هو الكتاب المسطور

والنور الأخضر هو الكتاب المسطور في رق منشور وهو ملك (رواه سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام) ، وهو اللوح المحفوظ وهو الروح الذي هو على ملائكة الحجب كما

[1] البقرة ٦٩

ذكره علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه في الصلاة على حملة العرش ، وهو النفس الكلية وهو ثالث مخلوق بأول خلق ، وهو الصور المجردة عن المادة والمدة وهو شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى ، وفي تفسير التأويل هي النفس التي لا يعلم ما فيها عيسى ، وأركان الوجود الأربعة المختصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربعة ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الموت ، ونسبته من الدهر كنسبة تلك البروج من الزمان أو كنسبة الكرسي في الصور ، وهو كمال الصوغ الأول للموجودات وعند العلماء هو التزويج الأول ، وتحت هذا العالم نشر الخلق بين يديه كالذر يرون مخاطبهم بأعيانهم فسعد من سعد بإجابته وشقي من شقي بمعصيته وإليه الإشارة بقوله عليه السلام ((الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه))[1] ، ويأتي بيان هذا إنشاء الله مشروحا واضحا في بيان حديث الطينة .

---

[1] تفسير القمي ١/ ٢٢٧

النور الأحمر ملك

والنور الأحمر هو ملك كان من النور الأبيض والنور الأصفر قالوا أن الحمرة تتولد منهما واستدلوا على ذلك بحمرة الزنجفر وهو من الزئبق والكبريت الأصفر ، هذا باعتبار وعلى اعتبار آخر تولد من الأبيض والأخضر لأن الأبيض واحد والأخضر في الحروف الكونية اثنان ، وقالوا أن الألف انعطف على الباء فكان منهما الجيم وهو حرف النور الأحمر هكذا (جـ) وهذه صورة الجيم وهو الركن الأسفل من العرش المذكور ، وهو رابع مخلوق بأول خلق ، وهو الكسر الأول للموجودات بعد كمال الصوغ الأول في النور الأخضر وذلك بعد أن قال تعالى للمطيعين للجنة ولا أبالي ، وقال للعاصين للنار ولا أبالي ، وأركان الوجود الأربعة المختصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربعة ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الموت ، ونسبته من الدهر كنسبة فلك المنازل من الزمان ، أو كنسبة الكرسي في حركة الواحد ، فكان كل واحد من الملائكة الأربعة المذكورة يحمل أربعة أركان من الأنوار الأربعة من كل واحد ركن ، فجبرئيل يحمل آثار أركان الخلق من الأبيض ومن

الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وميكائيل يحمل آثار الرزق من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وإسرافيل يحمل آثار أركان الحياة من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وعزرائيل يحمل آثار أركان الموت من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، فيعملون في عالم الدهر وعالم الزمان وما بينهما ، وتحت كل واحد من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم بأمره يعملون ، فمجموع ما سمعت هو العرش .

منه احمرت الحمرة

وقوله عليه السلام ((منه احمرت الحمرة)) معناه أن ذلك النور يظهر على الملائكة الأربعة وتؤدي آثاره إلى جنودهم الجزئية من الملائكة ، ثم اعلم أن فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقا وهي مظهر الوجود الثاني فتستمد من نفس الطبيعة الكلية وتفيضه على المريخ ، وتستمد من صفته وتفيضه على الزهرة ، فتستدير الأفلاك وتلقي الكواكب أشعتها خصوصا المريخ والزهرة بواسطة الجنود الجزئية على السحاب ، ويقع على الأرض ويختلط به نبات الأرض وفيه مبادئ الحمرة ، هذا والشمس تمد السفليات بألوان الحمرة في قبسات الأشعة

بواسطة الكوكبين فتظهر الحمرة في قابلياتها وهي من الطبيعة التي هي النور الأحمر ، ولهذا قال عليه السلام ((منه احمرت الحمرة)) .

وكذلك الخضرة فإن الشمس تستمد من نفس النفس الكلية وتفيضه على المشتري ومن صفة النفس وتفيضه على عطارد وتجري في تدبير ألوان الخضرة ما ذكر في الحمرة .

وتستمد من الروح من ذاتها وصفتها وتفيضه على باطن زحل وظاهر المريخ وتجري بإذن الله في تدبير ألوان الصفرة كما ذكر .

منه ابيض البياض

وكذلك البياض من نفس العقل على زحل ومن صفته على القمر وهكذا ، وفي بعض الروايات ((منه ابيض البياض)) ، وفي بعضها كهذه الرواية ((منه البياض)) ، وفي بعضها ((ومنه ضوء النهار)) ، وفي هذا سر اختلف العلماء فيه هل البياض طبع أم هو لون هو للوجود والألوان تطرأ عليه ، فمن قال بالأول استدل بحديث ((منه ابيض البياض)) وحمل حديث ((منه البياض)) على أن البياض لما كان أول ظاهر على الشيء بعد وجوده شابهه الذاتي فأطلق عليه

عبارته ، ولأن الموجود مركب والأصل في المركب اللون ، ومن قال بالثاني استدل بهذا الحديث وحمل حديث ((ابيض البياض)) على بياض الوجود ، يعني أن الأصل فيه البساطة التي هي البياض ، وعندي أن الثاني أجود .

الأنوار الأربعة هي العرش

وبالجملة فالأنوار الأربعة هي العرش وهو ينقسم إليها وهي وأشعتها هو مجموع الوجود المقيد الذي أوله الدرة وآخره الذرة ، وأعني بأشعتها كل ما في الزمان من الأجسام والألوان من متحرك وساكن وجماد ونام ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

في معنى حديث الطينة

ومنها ما رواه في الكافي بسنده عن ربعي عن عبدالله عن رجل عن علي بن الحسين عليهما السلام قال ((إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه))[1] .

كل مخلوق مركب

اعلم أن الله سبحانه لم يخلق شيئا فردا قائما لذاته للدلالة عليه ، بل كل مخلوق لا بد أن يكون مركبا بسائطها ومركباتها فلا يكون شيء إلا من وجود وماهية ، وبيانه أن الوجود لما خلقه الله تعالى انخلق أو لم ينخلق ، فإذا قلت انخلق قلت لك ضمير انخلق يعود إلى المخلوق والمخلوق لم يكن قبل انخلق فكيف يعود

[1] الكافي ٢/٢

عليه ذكر ولم يكن شيئا ، وإن قلت لما خلقه لم ينخلق قلت إذا ما كان ، والجواب أنه خلقه فانخلق فخلقه هذا وجوده وماهيته انخلق ، فالشيء إنما هو شيء بالوجود والماهية وهي الفعل والانفعال وهما متساوقان في الظهور لا يوجد أحدهما إلا بالآخر .

وحقيقة هذا الوجود هو أثر المشيئة التي هي فعل الله وإبداعه ، فالإبداع بالله أخذ من هواء العمق الأكبر ثم أخرجه إلى ذلك الهواء لفظا مركبا من حروف ، وذلك اللفظ هو السحاب فأمطر من السحاب على الأرض الجرز فخرج النبات ، فالسحاب هو اللفظ والماء هو الدلالة من خصوص المادة والهيئة والأرض الجرز هي أرض القابليات التي هي أرض الانفعالات كما ذكرنا ، فظهر المعنى من اللفظ كالثمرة من الشجرة .

ثم اعلم أن الشيء لا يكون إلا على ما يمكن لذاته من المشيئة كنسبته ، فالمشيئة الحياة والعلم والقدرة وجميع صفات الكمال كل بحسبه ، وكانت جميع الخلائق في عالم البرائية سواء بالنسبة إلى الإمكان والاختيار ، فلما نثرهم بين يديه يد الرحمة ويد العدل وقال لهم (ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم

وإمامكم ، قالوا : بلى) فمنهم من قالها بلسانه وقلبه مؤمنا معتقدا فذلك المطيع ، فخلقه الله خلقا ثانيا من طينة الطاعة التي هي طينة عليين ، ومنهم من قال بلى منكرا مستهزئا فذلك العاصي فخلقه الله خلقا ثانيا من طينة المعصية التي هي طينة سجين ، ومنهم من قال بلى بلسانه وقلبه متوقف غير منكر فذلك المستضعف ، فخلقه الله خلقا ثانيا من طينة البرزخ وهي طينة من الطينتين .

طينة الطاعة والمعصية

ثم اعلم أن قولنا أن المخلوق أول مرة مركب من الوجود والماهية الذي هو الفعل والانفعال ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] نريد به الهيولى الأولى ، وهذا بعد التركيب هو الهيولى الثانية باصطلاحنا لأنه في المثال مركب من المادة والصورة النوعية ، مثلا كالخشب الذي هو صالح للباب والسرير ، والمداد الذي يصلح أن يكتب به الاسم الشريف والاسم الوضيع ، فهذا هو الخلق الأول ، ولما قال لهم (ألست بربكم) فمن أطاع خلقه من طينة الطاعة التي خلقها الله من رحمته وهي الصورة الإنسانية مقتضاها الطاعة والمعرفة بالاختيار

---

[1] الذاريات ٤٩

وهي طينة عليين أي أعلى الجنة ، وهي أرض الولاية المخمرة بماء المحبة الفاطمية ، ومن عصى خلقه من طينة المعصية التي خلقها الله تعالى بعدله وهو صور الحيوانات والحشرات والمقادير الشيطانية التي مقتضاها المعصية والإنكار بالاختيار وهي طينة سجين ، وهي طينة الجحود والطغيان المخمرة بماء الحميم وهي منبت شجرة الزقوم .

فالطينة هي طينة الطاعة والمعصية لأن الطينة هي الصورة الفعلية وهي متعلق الأحكام ، والمادة الواحدة تختلف باختلاف الصور اختلافا ضديا لأن السامري لما صنع العجل من الذهب ووضع فيه تراب الحياة خار لأنه صورة عجل فإذا حي صار عجلا ، ولو وضع ذلك الذهب كلبا ووضع فيه ذلك التراب نبح وكان نجس العين ، ولو صنعه إنسانا ووضع فيه ذلك التراب تكلم وكان طاهر العين مثلا ، فالأحكام والحقائق والطاعة والمعصية كلها من الصورة ، وهي التي أشرنا إليها في الحديث في التأويل ((السعيد من سعد في بطن أمه)) وهي الصورة كما يدل عليه قول الصادق عليه السلام حيث قال ((إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه

وأمه أبوه النور وأمه الرحمة))[1] فتأمل هذا الحديث الشـريف مـا أصرحه في المدعى .

ألا ترى ما حكم به أهل الشرع فيما إذا نزا كلـب علـى شاة فأولدها أن حكم ذلك المولود في الحـل والتحريـم والطـهارة والنجاسة تابع لصورته ، فإن كان شاة فحلال طاهر وإن كان كلبا فحرام نجس ، والمـادة واحـدة وإنمـا اختلفـت الأحكـام بـاختلاف الصـورة ، فصـورة الطاعـة في فلـك الــبروج ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2] وهـم الكروبيـون والأبرار هم خواص الشيعة وقد يطلق علـى خصيصـي الشـيعة بالنسبة إلى أئمتهم عليهم السلام ، وصور المعصيـة في الصخـرة الـتي تحـت الملـك الحـامل لـلأرض ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[3] وهم خواص أصحاب الشمال .

---

[1] البصائر ٨٠

[2] المطففين ١٨ – ٢٠

[3] المطففين ٧ – ١٠

خلق المؤمنين من عليين

وقوله عليه السلام ((قلوبهم وأبدانهم)) فيه إجمال وتفصيل ذلك أن الله خلقهم من عليين يعني من غيب عليين خلق طينة أبدانهم ، وذلك الغيب هو غيب الكرسي والعرش وجسم الكل والمثال والهيولى والطبيعة الكلية والنفس الكلية والروح الكلية فهذه ثمان مراتب ، ومن سر ذلك الغيب خلق قلوبهم ، وخلق من فاضل طينة أبدانهم قلوب شيعتهم ، ومعنى قولنا فاضل نريد به الشعاع كما نقول نور الشمس الواقع على وجه الأرض هو من فاضل نورها القائم بجرمها ، وهو قوله عليه السلام ((وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة))[1] أي من فاضلها أي من شعاعها ، وإنما سمي الشيعة شيعة لأنهم من شعاع أئمتهم عليهم السلام أو من المشايعة والمتابعة والمعنى واحد .

وقوله عليه السلام ((وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك)) أي جعل أبدانهم من ظاهر عليين ، فإن المؤمنين كل واحد منهم خلق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة وقبضة من أرض الدنيا ويأتي إنشاء الله تفصيل ذلك .

---

[1] علل الشرائع ٨٢

خلق الكفار من سجين

وقوله عليه السلام ((وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم)) كما تقدم ، خلق قلوبهم من أسفل من سجين وهو عينها وهو غيب الثور والحوت والبحر والريح العقيم وجهنم والطمطام والثرى وما تحت الثرى هذه ثمان مراتب ، وخلق أبدانهم من عشر قبضات من سجين والملك والأرضين السبع وسماء الدنيا .

مزج الطينتين

وقوله عليه السلام ((وخلق بين الطينتين)) أي طينة المؤمن وطينة خواص المكذبين وذلك بعد أن كلفهم في عالم الذر ، كلف المؤمنين تحت النور الأخضر وكلف المنافقين فوق الثرى ، فلما حكم على أهل الطاعة بمقتضاها وهو قوله للجنة ولا أبالي ، وعلى أهل المعصية بمقتضاها وهو قوله إلى النار ولا أبالي ، وذلك بعد أن صاغ المؤمنين في النور الأخضر والمنافقين في الثرى كسرهم جميعا فجعلهم ترابا ، وكسر المؤمنين في النور الأحمر وكسر المنافقين في الثرى كسرهم جميعا فجعلهم ترابا ، وكسر المؤمنين في النور الأحمر وكسر المنافقين في الطمطام ، ثم خلط الطينتين في هذه الدنيا فكرت عليه العناصر

الأربعة والأفلاك فتتم الطينتان فصعدت في النباتات ثمـارا جنيـة وحنطة وأرزا وتمرا وعنبا وغير ذلك .

شجرة المزن وشجرة الزقوم

ثم اعلـم أن الله بلطيـف صنعـه قـد خلـق شـجرة تحـت العرش اسمـها المـزن ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[1] هو المنزل وهو العلـي العظيـم وهـو قولـه تعـالى ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[2] وإنما ذكـرت هـذه الإشـارات المغلقـة استدعاء لقـرع البـاب فـإن مـن قـرع البـاب أوشـك أن يفتـح له ، والحاصل وكانت شجرة المزن تقع منها النطف كقطـر المطـر اللطيف على الشجر والثمار المذكورة والبقول ، فما أكـل تلـك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة المزن مؤمن أو كافر إلا خرج من صلبـه مؤمـن ، وإن الله بلطيـف صنعـه أنبـت شـجرة الزقـزم في أصـل الجحيـم ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[3]

---

[1] الواقعة ٦٩

[2] النمل ٨٢

[3] الصافات ٦٥

وتلك الشجرة منكوسة عروقها في طينة خبال وهي سجين وثمارها في الجحيم وقوله ﴿ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي هو رؤوس الشياطين وتلكَ الشجرة تصعد منها أبخرة إلى أرض الدنيا فتقع النطف وهي القطر منها على الشجر والثمار المذكورة والبقول فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة الزقزم مؤمن أو كافر خرج من صلبه كافرا ، والمعنى في ذلك أن قطرة شجرة المزن تسري فيما لها من الطين الطيبة (بفتح ياء الطين) حتى يكون المؤمن من الجميع ، وإن قطرة شجرة الزقوم تسري فيما لها من الطين الخبيثة (بفتح ياء الطين) حتى يكون المنافق من الجميع فهذا معنى قوله عليه السلام ((فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن)) .

ولما كانت الطينتان قد امتزجتا في الأرض والماء والهواء والنار والمطاعم كلها والملابس والأمكنة والأزمنة والصور كان المؤمن من جهة لطخ طينة الكافر يصيب السيئة وكان الكافر من جهة لطخ طينة المؤمن يصيب الحسنة ، ومعنى قولنا امتزجتا في الصور أنه سبحانه لما قال لهم ألست بربكم قالوا بأجمعهم بلى ، فمن قال بلسانه وقلبه عارفا بما قال خلقه من طينة الطاعة وهي الإنسانية التي هي جوهرة كنهها الربوبية ، ومن قال بلسانه

خاصة خلق صورته صورة الإنسان لإقراره باللسان وقلبه وصورة حقيقته صورة شيطان وهي صورة المعصية ، فامتزاجهم في الصورة الإنسانية ظاهرا ، فبالصورة الإنسانية الظاهرة أصاب الكافر الحسنة .

قلوب المؤمنين والكافرين تحن إلى ما خلقوا منه

وقوله عليه السلام ((فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه)) معناه أن قلوب المؤمنين خلقت من فاضل طينة أئمتهم عليهم السلام ، ولما امتزجت الطينتان إنما امتزجت طينتا الجسمين وأما طين القلوب فهي باقية على بساطتها ووحدتها لم تمزج بطين قلوب الكفار ، فلهذا إذا أصاب المؤمن السيئة كان قلبه منكرا عليه ماقتا نادما على فعله لأنه لا لطخ فيه ، وإذا ذكرت أئمتهم عليهم السلام طارت قلوبهم إليهم بالاشتياق والوفاق لا ملاحظة رجاء ثواب ولا ملاحظة رفع عقاب قال تعالى ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1] ، وكذلك قلب الكافر لم يمزج بطينة المؤمن فكان إذا فعل بعض الطاعة كان قلبه كارها لها لأنها

---

[1] إبراهيم ٣٧

ليست من شجرته ولا من ثمرها وإذا فعل المعصية مـالت نفسـه وقلبه إليها لأنه منها ، وإذا ذكر أوليـاء الله استوحشـوا وإذا ذكـر أعـداء الله أنســوا وهــو قولــه تعــالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1] .

وأخبرك وفقك الله أني لم أترك شيئا من البيان فيما سألت عنه ، نعم قد يكون خفيا لعدم الأنــس بـالاصطلاح وقـد يكـون غفلت عنه ، ولا ريب أن الكتابة ليست كالمشـافهة لأن المشـافهة تطـرد العصافـير بقطـع الشـجرة لا بالتنفـــير والحمـــد لله رب العالمين .

---

[1] الزمر ٤٥

في معنى حديث خلق آدم

ومنها : عن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة)) .

أقول : يريد بأول ساعة من يوم الجمعة أول آخر مراتب العوالم ، وذلك لأن الله سبحانه خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم نحن في آخر العوالم وآخر الآدميين ، فيوم الجمعة يوم تم فيه مراتب الوجود الكلية ابتداء من يوم الأحد وهو النور الأبيض ويوم الاثنين هو النور الأخضر ، وأما النور الأصفر فمتردد بين اليومين ، ويوم الثلاثاء هو النور الأحمر ويوم الأربعاء هو جوهر الهباء في العمق الأكبر ، ويوم الخميس هو يوم المثال ، ويوم الجمعة يوم الجسم ، فهذه هي الستة الأيام التي خلق الله السموات والأرض فيها ، وهي فصل الربيع والصيف والخريف والشتاء ، والمادة والصورة ، فكمال مراتب الوجود وتمامها وجودا وأبينا وذريته وزمانه وكان أبونا أول من وجد وكان أول ساعة من يوم الجمعة .

قبض بيمينه قبضة

قال عليه السلام ((فقبض بيمينه قبضة فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى))[1] .

أقول : اعلم أن الله خلق الإنسان من عشر قبضات ومثل عليه السلام بسبع قبضات إشارة إلى قوله ذكوان في قول الباقر عليه السلام ((إن حديث آل صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان))[2] وإلا فهي عشر قبضات ، من محدد الجهات خلق منها قلبه ، وقبضة من الكرسي خلق منها صدره ، وقبضة من فلك زحل وخلق منها عقله ، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه ، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه ، وقبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده الثاني ، وقبضة من فلك الزهرة خلق منها خياله ، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره ، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته ، وقبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده هذا خلق المؤمن ، ثم لما أراد أن يخلق الكافر لأمر الملك فقبض قبضة من الحوت الذي على

[1] الكافي ٢/٥

[2] البصائر ٢١

البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه ، وقبضة من الثــور فخلـق منها صدره ، وقبضة من الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة فخلق منها دماغه ، وقبض قبضة من الأرض السادسة خلق منــها علمه وهــي أرض الإلحـاد ، وقبـض مـن الأرض الخامسـة أرض الطغيان خلق منــها وهمـه ، وقبضــة مـن الأرض الرابعـة أرض الشهوة خلق بها وجوده الثاني ، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله ، وقبضة من الأرض الثانيــة أرض العـادة خلق منها فكره ، وقبضــة مـن الأولى أرض النفـوس خلـق منـها جسده ، وقبضة من سماء الدنيا خلق منـها حياتـه ، فـهذا تفصيـل القبضات في الحديث ذكرها مجملة .

أمر الله كلمته فأمسك القبضة

قال عليه السلام ((فـأمر الله عـز وجـل كلمتـه فأمسـك القبضة الأولى بيمينه والقبضــة الأخـرى بشـماله ففلـق الطـين فلقتين فذرء مـن الأرض ذروا وذرء مـن السـموات ذروا ، فقـال للـذي بيمينـه منـك الرسـل والأنبيـاء والأوصيـاء والصديقـون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته فوجـب لهـم مـا قـال كمـا قال ، وقال للذي بشماله منك الجبـارون والمشـركون والكـافرون

والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال))[1] .

أقول : قوله عليه السلام ((فأمر الله كلمته)) يريد بالكلمة كلمة كن ، فالكاف إشارة إلى الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر ، وهي الكاف المستديرة على نفسها ، وهي الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ، والنون إشارة إلى أرض الجرز والدواة الأولى ، وبينهما حرف وهو (و) لأن كن أصله كون وإنما حذفت الواو لالتقاء الساكنين إشارة إلى أنها موجودة في الكون مفقودة في العين ، والواو هي الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي وهي في اللفظ الظاهر هي دلالة اللفظ على معناه ، فالماء هو الذي ساقه الله إلى الأرض الجرز فأنبت فيها ما شاء كما شاء ، فالكلمة في الحديث هي عالم الأمر وهي المشيئة والإبداع ، فأمسك القبضة الأولى التي من السموات وهي الطينة الطيبة بيمينه واليمين هي يد الرحمة وهي باطن الولي يعني باطن الباب ، فاليمين هو الولي عليه السلام وهو يمين المشيئة وعدده بالجمل الكبير مائة وعشرة ، والمراد من القبضة هو التكليف الأول حين قال لهم (ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي

---

[1] الكافي ٢/ ٥

وليكم) فـالتكليف مـن الله سـبحانه بالكلمـة المذكـورة ويمـين الكلمة هي يد الرحمة وهو الولي عليه السلام ، فلما قال الأوليـاء (بلى) معتقدين دخلوا في الباب الذي باطنه فيـه الرحمـة فـهذا معنى الإمساك لأن الطاعة هي الدخول في الولاية ، فمعنى قولنـا خلق من طينة الطاعة كقول أمير المؤمنين عليه السلام ((فيلـوح على هياكل التوحيد آثاره)) فظهور الآثار كهياكل التوحيد أنهم لما قبلوا التوحيد خلقهم كهياكل التوحيـد ، ومثالـه لمـا أن شـعاع اللفظ أطاعها وامتثل أمرها أظهرته كهيكلها منـيرا حـارا يابسـا كهيكلها فإنها منيرة حارة يابسة ، وهذا معنى قولنا سابقا خلقـهم لما أجابوا من طينة الطاعة وهي صورة الإنسانية .

ثم إن الكلمة أمسـكت القبضـة الأخـرى وهـي الطينـة الخبيثة بشماله وهي يد العـدل وهـو قولـه تعـالى ﴿ وَظَٰهِرُهُۥ (أي ظاهر الباب) مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1] وذلك حين أنكروا فخلقهم من طينة المعصيـة أي إنكـارهم الولايـة وهـي ظـاهره مـن قبلـه العذاب ، وذلك معنى قوله صلى الله عليـه وآلـه حـين سـئل : لم

[1] الحديد ١٣

كان علي قسيم الجنة والنار ؟ قال ((لأن الله خلق الجنة من حبه وخلق النار من بغضه)) .

فلق الطينة فلقتين

وقوله عليه السلام ((ففلق الطينة فلقتين)) معناه أنهم قبل التكليف الأول باعتبار إمكان الطاعة والمعصية بالنسبة إلى الفريقين شيء واحد وإنما افترقا بالطاعة والمعصية ، فمن أطاع خلق بصورة المطيع ومن عصى خلق بصورة العاصي ، فهذا معنى فلق فلقتين وهو معنى ((ذرء من السموات ذروا وذرء من الأرض ذروا)) وهو معنى ((فقال للذي بيمينه منك الرسل .. إلخ)) لأن كل هذه المعاني هي حكم (ألست بربكم)) ، وقوله عليه السلام ((فوجب لهم ما قال كما قال)) معناه أنه خلق ما خلق على ما هو عليه وهو العليم الخبير ولا يظلم أحدا .

قال عليه السلام ((ثم إن الطينتين خلطتا جميعا وذلك قول الله عز وجل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[1] فالحب

[1] الأنعام ٩٥

طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته ، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير))[1] .

أقول : قد تقدم بيان خلط الطينتين بعد أن كسرت طينة المؤمن في النور الأحمر وطينة الكافر في الطمطام فلا فائلة في إعادتها ، وقد أوضحت لك في الطينة ما يرتفع به الجبر إذ ليس في الوجود جبر بل الله سبحانه مختار وفعله مختار ومفعوله مختار فليس جبرا أبدا فافهم .

[1] الكافي ٢ / ٥

في معنى حديث
خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحا

ومنها حديث ((خمرت طينة آدم بيلي أربعين صباحا))[1] .

أقول : الإشكال المسئول عنه في لفظ ((خمرت)) وفي ((يلي)) وفي ((أربعين صباحا)) لا تزيد ولا تنقص .

معنى التخمير

فالجواب عن الأول : إن التخمير المراد به تنعيم أجزاء المخمر وتكليسه بالحرارة والرطوبة المصلحين وهما في كل شيء بحسبه ، وقد مر ذكر ذلك في الجملة وهو تخمير طينة آدم في عالم الجبروت في العقول وفي الأرواح وفي النفوس وحلها في الطبيعة والمادة وعقدها في المثال وحلها في الأجسام العلوية وفي الملائكة وفي الريح وفي السحاب والأرض وطينته وذريته في كل المراتب المتقدمة في أغذية النبات وفي الثمار وفي الطبخ بالماء والنار وعند الأكل بالتنعيم بالأضراس وفي المعدة حتى كان كيلوسا ثم صار

---

[1] غوالي اللآلي ٤/٩٨

كيموسا ثم غذاء شاكلا مشابها ثم يكون نطفة في الأصلاب ثم في البيضة اليسرى حتى يبيض ثم في اليمنى حتى يصفو ثم في الرحم برطوبة الحيض وحرارة الحمى وهكذا حتى يخرج إلى فضاء الدنيا .

معنى اليدين

وعن الثاني : أنه تقدم ذكر اليدين والمراد بهما يد الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر ، وهما يد الفضل والعدل ، والكلمة هي الربوبية إذ مربوب ، ومعنى أنه سبحانه رب زيد أنه مالكه ، يعني أن جميع ذرات وجوده التكويني والتشريعي كلها بيده حين هي واصلة إليك كما هي قبل أن تظهر عليك ، فهي أبدا قائمة به قيام صدور لا قيام عروض وهو قول الرضا عليه السلام ((هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه))[1] ، ومعنى أنه ربه أي مربيه وهو المقدر في التأليف ومقوي الضعيف بحسن التقدير ولطيف التدبير ، ومعنى أنه ربه أنه سائق رزقه الوجودي والتشريعي ، ومعنى أنه ربه أي صاحبه فهو معه في كل حال بمعنى أنه شيء بمشيئته وهو معنى القيومية في كل شيء ، وأما الكلام في

---

[1] عيون أخبار الرضا ١ / ١٤٤

الربوبية إذ لا مربوب من حيث مبلغ الحادث فهو طويل عريض يفني الأيام ، وأما من حيث الذات فقد سدت دونه الأبواب وليس للسائل عنه جواب إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .

معنى الأربعين

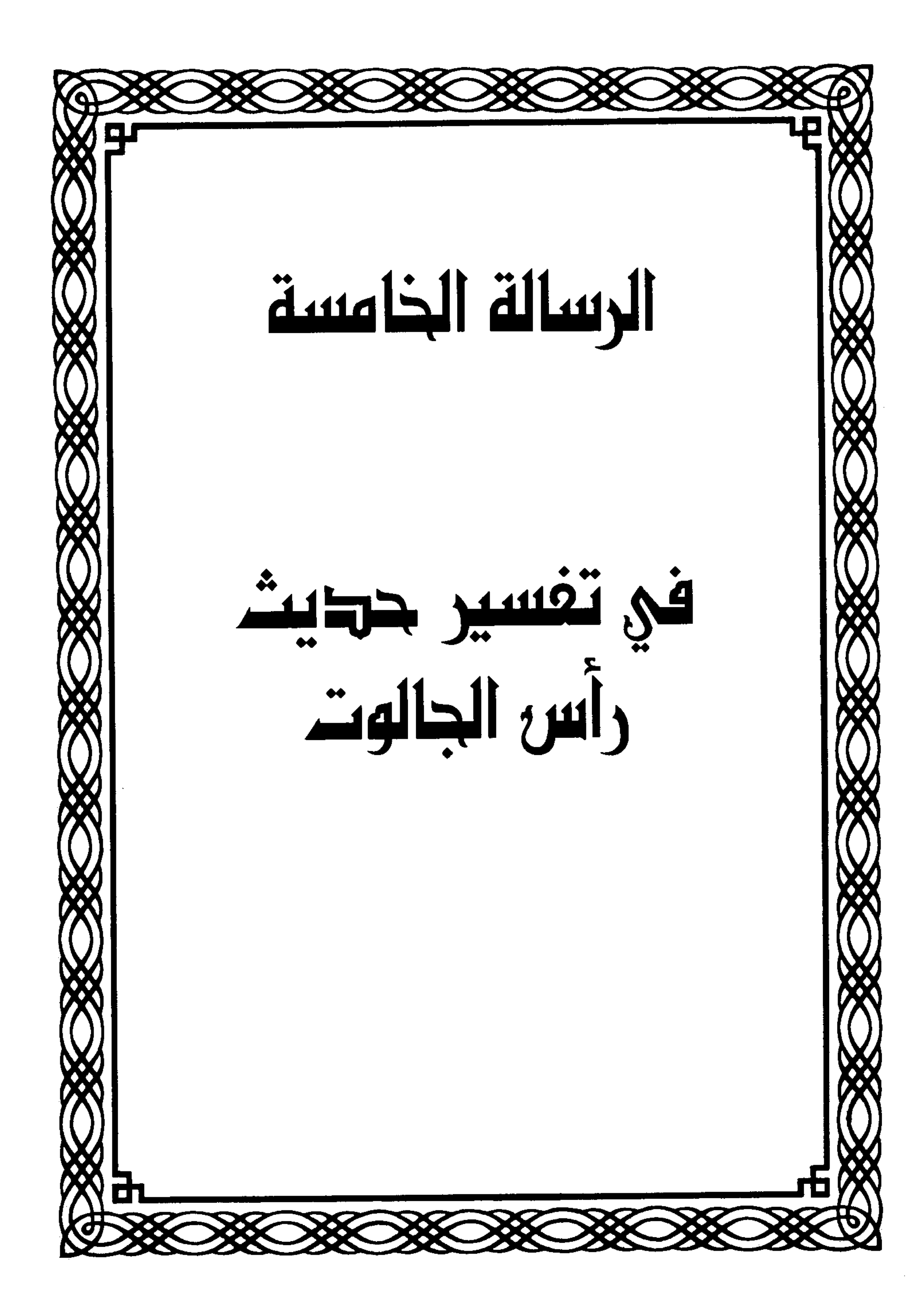
وعن الثالث : اعلم أن الله خلق الحرارة من حركة الفعل الكونية وخلق البرودة من سكون المكون ، فنكحت الحرارة من حركة الفعل الكونية البرودة فأولدت الرطوبة ، ونكحت البرودة الحرارة فأولدت اليبوسة فكانت الطبائع الأربع فأدار بعضها على بعض فتولدت العناصر وهو الدور الأول ، فأدار العناصر بعضها على بعض فتولدت المعادن وهو الدور الثاني ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت النباتات وهو الدور الثالث ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت الحيوانات ، فهذه هي الأدوار الأربعة الرابع منها هو تمامها ، وقد قلنا سابقا أن الإنسان خلق من عشر قبضات وقد مر ذكر ذلك ، وكل قبضة إنما وجدت على هذا الترتيب بأن كورت أربع كورات ورابع كل قبضة هو تمامها فالعشر بغير التمام ثلاثين وبالتمام أربعين وهو قوله تعالى ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ

﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾[1] فكـــــان الفاعل واحدا والفعل واحدا والمفعول واحدا .

فمعنى أنه خمر طينة آدم أربعين صباحا مثلا القبضـة الـتي من محدد الجهات خمرت في أول يـوم العنـاصر عناصرهـا وفي أول ثاني يوم معدنها وفي أول ثـالث يـوم نباتـها وفي أول رابـع يـوم حيوانها ، فالعشر القبضات كل قبضـة أدارهـا أربـع أدوار فـهذه أربعين وهي مراتب الوجود ، وقوله ((صباحـا)) يشـير بـه إلى أول اليوم ، ثم اعلم أن هذا التدوير إن كـان في الغيـب فـهو في اصطلاحنا كـور وإن كـان في الشـهادة فـهو دور والحمـد لله رب العالمين .

---

[1] الأعراف ١٤٢



الرسالة الخامسة

في تفسير حديث رأس الجالوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي قد التمس مني من تجب علي طاعته أن أشير إلى بعض بيان حديث نقل عن بعض المشايخ وهو وإن لم يجده مستندا إلا أن المطلوب بيان معناه ، لأنه قد جرى في السؤال والجواب على سبيل الألغاز والتعمية لأن السائل قصد به الاستخبار والاستعجاز ، فامتثلت أمره من غير ميل مني إلى ذلك لأن الذي فهمته منه يتوقف على بسط إشارات وتكثير كلمات في تقديم مقدمات والقلب غير مجتمع لها ، ولكن أقتصر على بعض

الإشارة اعتمادا على فهمه واقتضاء لرسمه ، فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان .

قال سلمه الله : سأل رأس الجالوت مولانا الرضا عليه السلام فقال ((يا مولاي ، ما الكفر وما الإيمان ، وما الكفران وما الشيطانان اللذان كلاهما المرجوان وقد نطق كلام الرحمن بما قلت حيث قال في سورة الرحمن ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[1] فلما سمع الرضا عليه السلام كلامه لم يحر جوابا ونكت بإصبعه الأرض وأطرق مليا ، فلما رأى رأس الجالوت سكوته حمله على عيه وشجعته نفسه بسؤال آخر فقال : يا رئيس المسلمين ، ما الواحد المتكثر والمتكثر التوحد والموجد والموجد والجاري المنجمد والناقص الزائد ، فلما سمع الرضا عليه السلام ورأى تسويل نفسه له قال : يا ابن أبيه أي شيء تقول وممن تقول ولمن تقول بينا أنت أنت صرنا نحن نحن فهذا جواب موجز)) .

---

[1] الرحمن ٢ – ٤

هم حجج الله على الخلق، متى ما سئلوا وأرادوا أجابوا

أقول : إن السائل قد علم أن محمدا وأوصياءه عليهم السلام حجج الله وأنهم إذا سئلوا أجابوا كما نزلت به كتبهم ونطقت به أنبياؤهم ، ولكن بناء على الاعتقاد الفاسد أن محمدا العربي لم يبعث رمز في سؤاله وجعله معمي تشديدا منه على المسئول لظنه به أنه مدع ليختبر صدقه بفك الرموز واستخراج الكنوز ، والإمام عليه السلام عرف بالتوسم سريرته في قصده وطيب طينته في حقيقته ومثال أمره ، فسكت عن معالجة الجواب لتتقوى نفسه فيستقصي سؤالاته ، ولئلا تضعف نفسه عن إدراك الجواب بسبب المعالجة وليظهر به سبب حسن أناته عليه السلام ليعرف حسن خلقه فيكون معينا له على قبول الإسلام ، وإنما أجابه عليه السلام برمز أشد من رمزه وأدق حتى أنه لا يعرفه ولا يدرك معناه مع قلة لفظه واختصاره ليظهر صحة ما يدعيه من الخلافة الكبرى بإتيانه بما لا يستطيعه ولا يحيط به علما ، ولما علم عليه السلام أن هذا لا يقطع حجته لأن لا يفهم منه جواب مسألته بل له أن ينكر ويقول أنك لم تجبني عن سؤالي استدرك عليه السلام ذلك فقال ((وأما الجواب المفصل .. إلخ))

وأتى به ممزوجا بالبيان رمزه ليفهم الجواب من بعضه وينل في نفسه بعجزه عن كله فإنه عليه السلام رمَز فيه أشياء لا يعرفها إلا الخصيصون من المؤمنين، ولهذا قال عليه السلام ((ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان)) إشارة إلى قولهم ((إن حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فسئل عليه السلام: فمن يحتمله ؟ قال: من شئنا)).

وينبغي الإشارة إلى بيان السؤال في نفسه ليتبين مطابقة الجواب له فنقول: قول (ما الكفر والإيمان) يشير إلى قوله تعالى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾[1] ولهذا قدم الكفر كما في الآية.

الكفران

قوله (وما الكفران) يريد الكفر بالطاغوت والكفر بالله.

الشيطانان المرجوان

وقوله (وما الشيطانان اللذين كلاهما المرجوان) الشيطانان إذا أطلقا النفس الأمارة، والشيطان المقيض، فعلى

---

[1] البقرة ٢٥٦

هذا المعنى يكون معنى قوله (كلاهما المرجوان) أن النفس يرجى لها أن تكون مطمئنة ، والشيطان يرجى له أن يسلم كما قال عليه السلام ((لكل نفس شيطان ، فقيل : وأنت يا رسول الله ، فقال : نعم ، ولكنه أسلم))[1] ، وفي رواية ((لكن أعانني الله عليه)) والمراد واحد يعني أسلم ، وذلك لأن الشيطان المقيض إنما قيض لها لبغيها على مقتضى حيلتها إلى ملكها وهو الماهية فإذا اطمأنت النفس وكانت تابعة للعقل في مقتضيات ملكه وهو الوجود أسلم الشيطان المقيض لها وكان تابعا للملك المؤيد للعقل ، فبهذا اللحاظ يكونان مرجوين .

معنى آخر

ومعنى آخر أن معنى المرجوين المؤخر حكمها من الشقاوة والسعادة من الإرجاء إما في أنفسهما أو في متعلقهما ، وهذا ظاهر في معنى الشيطانين إذا أطلق هذا اللفظ ، بل أحسن ما ينبغي أن يفسر به إلا أن جواب الإمام عليه السلام يدل على أن المراد ظاهرا بهما الكفران لقوله عليه السلام كما يأتي ((وهما المتفقان المختلفان ، وهما المرجوان)) فعلى قوله عليه السلام

[1] لم نجد هذا الحديث بعينه فيما عندنا من المصادر ولكننا وجدنا حديث في غوالي اللآلي ٤/ ٩٧ قريب منه وهو قوله صلى الله عليه وآله ((ما منكم أحد إلا وله شيطان ، فقيل : وأنت يا رسول الله ، فقال : وأنا ، ولكن أعانني الله عليه فأسلم))

كما هو الحق أعلم بالمراد يجوز أن يراد به الحقيقة والمجاز ، فإن أراد الحقيقة ففيه غموض وخفاء والإشارة إليه أن الكفر الذي هو الستر والجحود اسم معنى والمعاني في الحقيقة أعيان بالنسبة إلى ما دونها ، كما أن الأعيان معان بالنسبة إلى ما فوقها ، يعني أن الأعراض جواهر لأعراضها كما أن الجواهر أعراض لعللها ، وحيث انقسم الوجود إلى نور وظلمة فكل نور ملك وكل ظلمة شيطان والمركب منهما إنسان ، فعلى هذا يظهر البيان في أن الكفر بالله شيطان ويخفى أن الكفر بالطاغوت شيطان إلا على معنى مطلق الجحود وهو في الحقيقة ستر وفقدان أتم مع كونهما مرجوين أنهما في معرض الزيادة والنقصان وجواز التغيير والتبديل في حكم الإمكان ، فإن أراد المجاز فمن باب تسمية المسبب باسم السبب امتحانا في البيان .

الرحمن علم القرآن

وقوله ((وقد نطق كلام الرحمن بما قلت .. إلخ)) استشهاد على صحة كلامه فإن الله سبحانه قال ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾[1] الذي هو محل الكفر والإيمان بما أوجب له عليه من البيان وهداية النجدين

---

[1] الرحمن ١ – ٣

وإعطائه الركنين الأعظمين اللذين هما مأوى الملك والشيطان ومنشأ الكفر والإيمان وهما الوجود والماهية ، فإن للوجود وجها ومرآة وهو العقل وهو صورة وجه الرأس الخاص به من العقل الكلي والملك موكل بهذه الصورة ، وللماهية وجه ومرآة وهو النفس الأمارة وهي صورة وجه الرأس الخاص به من الجهل الكلي والشيطان مقيض لهذه الصورة ، والإنسان الذي هو مجموع الركنين محل تعليم البيان ، فهداية نجد الخير للوجود يستعمله العقل بمعونة الملك ، وهداية نجد الشر للماهية تستعمله النفس بمعونة الشيطان ، فاستدل على الإيمان في الإنسان بالملكين العقل والملك ، وعلى الكفر بالشيطانين النفس والشيطان ، ولو فرضنا أن حكى سؤاله عن بعض الكتب المنزلة أو عن بعض الأنبياء بأن الشيطانين هما المذكورين في سورة الرحمن من القرآن المنزل بخير الأديان فالمراد بهما ما ذكرنا من النفس والشيطان ، والكفر بمعنيين على ما تقدم من البيان ، والشمس والقمر اللذان هما في الدنيا والآخرة بحسبان ، فإنهما المرادان بالشيطانين والجبت والطاغوت وهما منشأ كل كفر وعدوان .

وأيضا أن قوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ أي علم الإنسان القرآن الذي هو بيان كل شيء ، فالإنسان هو كتاب القرآن ، فإن كنت أيها المسئول ذلك الإنسان المعلم البيان فأنت تعلم مرادي وتجيب سؤالي .

وسكوته عليه السلام عن المعاجلة لما قلنا سابقا من إظهار الأناة والرفق والتشجيع له للترغيب واستقصاء سؤاله .

الواحد المتكثر والمتكثر المتوحد

وقوله (ما الواحد المتكثر والمتكثر المتوحد .. إلخ) يوجد جوابه في الإنسان بدليل استشهاده بقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ .. إلخ ﴾ ، فالإنسان بالنظر إلى ماهيته وهي الماهية الثانية واحد ويؤيده توحيد أفعاله وإرادته وإنيته ، وبالنظر إلى بدئه وأركان ماهيته متكثر لأنه وجود وماهية ويؤيده اختلاف أفعاله في نفسها وإرادته في نفسها وفي متعلقاتهما ، فيصدر عنه الضدان في حالين فمن جهة وجوده إيمان ومن جهة ماهيته كفر بالله ومن بينهما كفر بالشيطان ، وهو الموجد بفتح الجيم بفعل الله المنجمد بسكون مفعوليته وبرودتها الزائد بالمدد المتصل به بقاؤه فإنما هو شيء بالمدد إلا أنه سبحانه يمده مما له فهو نهير يجري مستديرا عوده إلى بدئه وبدؤه من عوده ، فهو كرة مجوفة تدور على قطبها لا إلى

خصوص جهة إلا جهة قطبها المنزه عن الجهة وهو الموجد بكسر الجيم بأمر الله وقدره كلما يصدر من الأقوال والأعمال من كفر وإيمان والجاري فيها على حسب التيسر والتقدير من الحكيم الخبير ، والناقص بما يعود منه إلى بدء الزيادة فيه وما أشبه ذلك ، ولا ينافيه جوابه عليه السلام بقوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾[1] كما يأتي ، لأن البحر العذب وجوده والملح الأجاج ماهيته والبرزخ ربطه وارتباطها به وقد فصلنا هذه المعاني في رسائلنا تفصيلا من أراد ذلك طلبه هنالك ، إلا أن سياق جوابه عليه السلام يدل ظاهرا على أنه الكفر لأنه بحسب المفهوم اللغوي ظاهرا واحد وهو التغطية والستر ، ومتكثر فإنه كفر بالطاغوت وكفر بالله وهو الموجد بفتح الجيم من مادة وصورة ، مادته أمر الله بالقبول عنه وصورته قبول المكلف إنكاره ، فأمر الله مع القبول إيمان بالله وكفر بالطاغوت ، ومع الرد والإنكار كفر بالله وإيمان بالطاغوت ، ومطلق الكفر خلقه الله بقبول أمره إيمانا وبرده كفرا وهو الموجد بكسر الجيم لأنه صورة الثواب والعقاب فهو القابلية المطلقة فقبولها التكليف من وجهه إيمان ومن وراء ظهره كفر ، وإنما نسب الإيجاد إليه مع أنه ليس

---

[1] الرحمن ١٩

منه إلا القبول بالاختيار لأن القبول منع بسند الفعل به إلى نفسه ، ولهذا كان أمر الفاعل فاعله المفعول فإذا قال تعالى كن كان فاعل أمره النذي هو كن أنت أيها المكون بفتح الواو وضمير المكون فاعل أمر المكون بكسر الواو والفاعل موجد وهو ظاهر وجار في المعاني والأعيان على سنن واحدة كما هو شأن المطاوعة تقول خلقه فانخلق ، ولهذا كان القبول منشأ الصورة والحقيقة ، إنما هي حقيقة بها لأنها مناط الأحكام والأفعال والتكليفات لا المادة وإن كانت لا تتقوم الصورة إلا بها وهو الجاري في جميع جزئيات المعاصي بالانعكاسات المعنوية وهو المنجمد لغلبة الطبع على قلوبهم التي هي محله بحكم وحقت كلمة ربك وقال تعالى ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] والاستثناء حكم الإمكان كما قال تعالى ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[2] فلا ينافي في الانجماد ، والناقص قد يتحقق نقصانه بذهاب بعض جزئياته التي هي آثاره

---

[1] الأنعام ١١١

[2] الإسراء ٨٦

كما لو عمل الكافر بعض الطاعات ولو بغير اختياره ورضاه ولم يعرف جزاء عمله في الدنيا ولا في البرزخ بسبب مانع أو لكثرته فإنه يخفف عنه مقتضى عذابه في النار بحيث لا يحس به وهو في النار وفي آمالي الطبرسي أن النبي صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عن حاتم طي فقال ((إن الله بنى له بيتا من مدر في جهنم كي لا تصيبه وجهها)) نقلته بالمعنى وذلك لأجل كرمه ، وهذا في الحقيقة نقصان في الكفر فافهم .

والزائد بعكس الناقص وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾[1] .

يا ابن أبيه

فلما تبين له عليه السلام من السائل ما يخشى منه منافاة المقصود أجابه على الفور لبيان أنه لو كان السكوت للعجز عن أول السؤال لما أتى على الفور بعد انقطاع آخره الذي هو أصعب من أوله بجواب بسيط يجمع الأول والآخر ليبهت السائل وليعلمه أنه عرف الأول والآخر بدليل وحدة الجواب

[1] النساء ١٣٧

وإجماله ، وليظهر له ما لم يعلم فقال روحي فداه ((يا ابن أبيه))
وفيه لطائف كثيرة منها الاستحقار له من جهة أبيــه لينفـره عـن
دينه الأول .

ومنها التنبيه على أنه ما توهمت من هذه الأوهــام إلا لمـا
فيك من عادة المذهب الذي كان أبوك عليه .

ومنها أن عدم نسبته إلى أبيه أنه ليس لــه أب يســمى بــه
كناية عن ضلالته وعدم رجوعه في دينه ومعرفتـه إلى ركـن وثيـق
كما يثق الابن بانتسابه إلى الأب .

ومنها عدوله عن اسمه إلى اســم أبيـه إشـارة إلى أنـك إلى
الآن لم يعرف اسمك الذي يستقر دعـاءك بـه فيمـا بعـد وإن كـان
يعلم مآله إلى الاسم السعيد إلا أن الشــيء مـا لم يكـن يجـوز في
حكم المشيئة أن لا يكون كما قال عليه الســلام في جـواب ميثـم
التمار لما ذكر أمر ابن ملجم لعنه الله قال عليه الســلام ((لـولا
آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو
كائن إلى يــوم القيامـة وهـي آيـة ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ

وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1]))[2] مع أنه عليه السلام يعلم أنه قاتله فافهم .

ومنها إرادة إبهام اسمه إشارة إلى منه إلى أن أباه الحقيقي محمد صلى الله عليه وآله كما قال صلى الله عليه وآله ((أنا وعلي أبوا هذه الأمة))[3] وغير ذلك من اللطائف .

أي شيء تقول

قال عليه السلام ((أي شيء تقول)) أي ما تريد بقولك أتريد التعجيز أم تريد الاستخبار للمسئول أم تريد الاستفهام أم تريد الهداية والرشاد ، فكلما تريد فيه للباطل نفي وإبعاد وللحق هداية ورشاد ، أو ممن تقول فإن من تقول عنهم في صوابهم إلينا راجعون وبنا يهتدون ، ولمن تقول وأنت لا تعرفه حتى سولت لك نفسك التعجير ولو علمت استسلمت .

بينا أنت أنت صرنا نحن نحن

قال عليه السلام ((بينا أنت أنت صرنا نحن نحن)) .

أقول : ليس لي امتداد ولا لدواتي مداد ولا في قلبي استمداد وليس في عقلي بالفعل استعداد لما في سريرات الفؤاد

---

[1] الرعد ٣٩

[2] الاختصاص ٢٣٥

[3] علل الشرائع ١٢٧

في البيان عن كل ما أراد عليه السلام ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور .

قال عليه السلام ((بينا أنت أنت)) في انخفاضك وانحطاط مقامك عما تتوهم من التعجيز إذ ظهرنا لك في إعجاز لك تبهت فيه عن وجدانك فأنت حينئذ مثل للكفر بالله ونحن حينئذ أصل للإيمان ، ومثلنا صفة الكفر بالطاغوت لأنه صفة الإيمان بالله الذي نحن أصله لقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾[1] وبيانه في قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ ﴾[2] البحر الأول القرآن والثاني كتاب القرآن الذي هو الإنسان وهو نحن المعلمون البيان ، والبرزخ جدنا صلى الله عليه وآله حملنا القرآن فتحملنا .

قال عليه السلام ((بينا أنت أنت)) في كفرك إذ صرنا معك ((نحن نحن)) أي أن الكفر ما كنت عليه والإيمان ما تكون معنا عليه إذا أسلمت ، فإن الإيمان كونك معنا على ديننا

---

[1] الرحمن ١ – ٤

[2] الرحمن ١٩ – ٢٠

والكفران وقعا منك في حالتيك الأولى قبل الإيمان كفرك بالله والثانية بعده كفرك بالطاغوت ، وقد مرج بحري كفريك في أرض جسدك يلتقيان بينهما الجاذب إلى الخير فلا يبغي كفرك بالله أولا على كفرك بالطاغوت أخيرا بأن يلوثه بشوب من ظلمته ، ولا كفرك بالطاغوت كفرك بالله أولا إلا بالعدول والجاذب البرزخ وهو لطف نبوة جدنا صلى الله عليه وآله .

قال عليه السلام ((بينا أنت أنت)) في تشخصك وظهورك المجتث بحيث يشار إليك وأنت سراب كأنك ماء عند الجهال وهذا مثل للكفر والأعمال المترتبة عليه كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾[1] ، ((إذ صرنا نحن نحن)) أي تبين الرشد من الغي ، والرشد الإيمان بالله الذي صفته الكفر بالطاغوت والغي الإيمان بالطاغوت الذي أصله الكفر بالله .

والكفران في هذه الوجوه الثلاثة هما البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، وهما ثمرة علمه البيان ، وهما الشيطانان المرجوان على أحد الوجهين المتقلمين

---

[1] النور ٣٩

كما قررنا من أن العذب منهما الشيطان المسلم ومن أن المعـاني أعيان فلاحظ .

وبالجملة فهذا تمثيل للجواب الموجز المتضمـن للمفصـل كما أشرنا إليه سابقا على أكمل وجه وأتم بيان .

قال عليه السلام ((وأما الجواب المفصل إن كنت الداري والحمـد لله البـاري أن الكفـر كفـران كفـر بـالله وكفـر بالشيطان ، وهمـا الشـيئان المقبـولان المـردودان لأحدهمـا الجنـة ولأحدهما النيران ، وهمـا الشـيئان المتفقـان المختلفتـان ، وهمـا المرجـوان ، ونـص بـه القـرآن حيـث قـال ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان ، وبمـا قلنـا يظـهر جـواب سـؤالاتك والحمـد لله الرحمـن والصـلاة علـى رسـوله المبعـوث للإنس والجان ولعنة الله على الشيطان ، فلما سمع رأس الجـالوت كلامه بهت ونخـر وشـهق شـهقة وقـال أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأنك ولي الله ووصي رسول ومعـدن علمه حقا حقا)) .

---

[1] الرحمن ١٩ – ٢١

الحمد لله الباري

أقول : قال عليه السلام ((فأقول إن كنت الداري)) أني أجيبك بحقيقة الجواب إن كنت تعلم الجواب ((والحمد لله الباري)) أي منشأ الأعيان ، أتى بالباري دون باقي الأسماء إشارة إلى أن المسئول عنه أو مبدأه إنما هو في الأعيان التي هي أثر المشيئة ، ولو أراد ذلك لقال هو الخالق روعه أولا بما لا يدرك حقيقته حين قال ((بينا أنت أنت صرنا نحن نحن)) ليجذب قلبه إليه ، لأن السائل حين يجاب ربما يكون قلبه مشتغلا بالمعارضة والنقض فلا يدرك معنى الجواب ولا يهتدي إلى الصواب ، وإذا ألقي إليه ما لا يفهم حقيقته غفل عن المعارضة والنقض وأقبل بكله على المجيب ، ولما روعه بذلك حتى أنه بهته لأن هذا الجواب موجز حتى يقبل على المفصل ليفهم ما لم يفهم حمد الباري تنبيها على أن ما أوتينا من العلوم فمن نعم الباري وانقطاعا إليه سبحانه .

الكفر كفران

ثم قال عليه السلام ((إن الكفر كفران)) يعني الكفر الذي هو التغطية والستر في أصل اللغة ولذا يقال لليل كافر لأنه

يستر من يسير فيه والزارع كفر لأنه يغطي البذر وهو الجحود أيضا قسمان كفر بالله وكفر بالشيطان .

وقوله عليه السلام ((وهما الشيئان المقبولان المردودان)) يعني به أنهما مقبولان عند الله من جهة الكفر بالشيطان مردودان عنده من جهة الكفر به سبحانه ، فهما معا مقبولان من جهة مردودان من جهة ، ووجه آخر أنهما مقبولان معا مردودان معا أن الكفر بالشيطان مقبول عند الله والكفر بالله مقبول عند الشيطان ، ومردودان معا أن الكفر بالشيطان مردود عنده والكفر بالله مردود عنده ، وقوله عليه السلام ((لأحدهما الجنة)) يعني به الكفر بالشيطان ، ((وللآخر النيران)) الكفر بالله ،((وهما المتفقان)) في معنى الجحود والستر ((والمختلفان)) في القبول والرد وفي الجنة والنيران ، ((وهما المرجوان)) من الرجاء فالمؤمنون فيرجون بكفرهم بالطاغوت نجاحا وفلاحا ، والكفار يرجون بكفرهم بالله ظاهر النجاة والفلاح ، ومن الإرجاء أي التأخر يعني أن كل واحد موقوف على الخاتمة اللاحقة التي هي السابقة التي ذكرها الله .

قد نص به القرآن

وقوله عليه السلام ((وقد نص به القرآن حيث قال ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قد أشرنا سابقا إلى أن البحرين هنا في الإنسان البحر العذب الفرات وهو الوجود والبحر الملح الأجاج وهو الماهية ، أو أن البحرين هنا الكفر بالطاغوت وهو البحر العذب الفرات السائغ شرابه والكفر وهو الملح الأجاج ، ومعنى مرج جعل البحرين متجاورين لا يتمازجان بما حال بينهما برزخ لا يبغي أحدهما على الآخر ، فلا يبغي الكفر بالله على الكفر بالشيطان لما أيد الله جنده بالمدد والمعونة ، ولا يبغي الكفر بالشيطان على الكفر بالله فلا يجبره وإنما يدعوه بالاختيار ، فالبرزخ هو اللطف من الله بالمعونة والمدد للخير بالخيرات وللشر بالشرور ، ومدد الأول بالتوفيق والثاني بالخذلان ، ثم قال ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أيها الكافران بأي نعمة عظمى من نعم الله تكذبان بمحمد أم بعلي أم بأحد منا أهل البيت عليهم السلام ، وإنا حجج الله العظمى وأمثاله العليا ونعمة الله التي لا تحصى ، ويجوز أن يكون أيها الكافران بأي نعمة من نعم الله تكذبان بناء على ما ذكرناه أولا من أن المعاني أعيان والصفات ذوات في أنفسها وبالنسبة إلى ما دونها

وهكـذا ، والـذوات صفـات وأعـراض بالنسـبة إلى مـا فوقـــها وهكذا ، ألا ترى أن نور الشمس كصورتـــها مسـتدير ولـه نـور وذلك إذا وضعت المرآة في نور الشمس كان فيها صورة الشـمس وينعكس عن تلك الصورة نور كنور الشمس وليس ما في المـرآة من صورة الشمس إنه صورتها التي فيها معها في السماء الرابعة بل ما فيها إنما هو صورة النور الخارج عنها ولكن أكثر النـاس لا يعلمون ، وقد دل على هذا الدليل العقلي والنقلي دلالــة ليـس فيها وهـم ولا ريب لمن عرف وهو من مكنون علم أهل العصمـة عليهم السلام ، فعلى ما قررنا لمن عرف وكشف الله عن بصيرته يكون العرض مكلفـا ويكـون طائعـا وعاصيـا بلختيـاره كمـا أن الجوهر مكلف ويكون طائعا وعاصيا بلختياره ، وإن لم يثبت ذلك لم يثبت في الجوهر لكنه ثابت عندك في الجوهـــر فيكـون ثابتـا في العرض لأنهما من جنس واحد بصنـع واحـد لـرب واحـد وإن اختلف الأفراد في القوة والضعف والظهور والخفاء ، فلما قررنـا جاز خطاب الكافرين في الاستشـهاد بتـأويل قولـه تعـالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فافهـم .

معنى آخر

ويجوز أن يكون عليه السلام أراد بذكر الآية الشريفة خطاب السائل ويكون المعنى فبأي نعمة من نعم الله تكذب وتعرض وقد تبين لك الرشد في أمر الكفرين كما قال تعالى ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] وهو تعريفهما ودعاء للإسلام ، أو يكون المعنى أيها السائل فبأي نعمة من نعم الله تكذب وتشك إشارة إلى نفسه عليه السلام لما أظهر له من الآيات الباهرات في جوابه له حتى أنه شهق لهول عظيم ما ظهر له من مقامه عليه السلام في العلم والاطلاع على الأسرار التي لم يعرفها أحد من الأنبياء السابقين ، وأمثال ذلك مما لا يمكن فيه بيان جميع أسرار هذا الكلام لاستلزامه التطويل الذي تفنى الأيام قبل انتهائه ، وإلى هذا أشار عليه السلام ((ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان)) يعني بالإنسان نفسه وآباءه وأبناءه الطاهرين عليهم السلام ، والسنخ في لغتهم عليهم السلام فاضل الشيء وهو شعاعه ونوره وأثره

---

[1] البقرة ٢٥٦

وأمثال ذلك ، والمعنى أن ما ذكرته يعرفه من كان من شيعتنا الممتحنين الذين هم من سنخنا لأن كلامهم عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام ، ولعل هذا الكلام جذب للسائل وترغيب بالإشارة .

ثم قال عليه السلام ((ومما قلت يظهر جواب باقي سؤالاتك)) وهي الواحد المتكثر والمتكثر المتوحد والموجد والموجد والجاري المنجمد والناقص الزائد ، وقد تقدمت الإشارة إلى توجيهها في الجملة .

الحمد لله الرحمن

ثم قال عليه السلام ((والحمد لله الرحمن)) لأن الرحمن هو مفيض النعم ، يعني أنه سبحانه بصفة الرحمة خلق ما خلق وأفاض النعم وسائر العلوم ولذا قال ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ لأنه سبحانه استوى على العرش فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مرزوق رزقه ، فحمله من حيث خصوص هذه الصفة لأنه علة النعم الظاهرة والباطنة وعلة الإيجاد كله .

الصلاة على رسوله
المبعوث على الإنس والجان

ثم قال عليه السلام ((والصلاة على رسوله المبعوث على الإنس والجان)) لينبه السائل على أن ما رأيت وما لم تره فإنه من آثار رسالة جدنا صلى الله عليه وآله ، فرسول الله صلى الله عليه وآله المبعوث إلى الخلق كافة وهذا منه استدلال على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله عند السائل فإنه إنما كان على اليهودية لعدم ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وآله عنده ، فقال له في سره وخاطبه في قلبه أن الذي ظهر لك من العلوم التي عندنا إنما هو كالذرة في هذا العالم ، وكل ما عندنا مما سمعت ومما لم تسمع فإنه من تبليغ جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن جدنا نبيا فكيف يمكنه أن يصدر عنه العلوم التي بهرت الأولين والآخرين وهو أمي لم يقرأ ولم يتعلم من أحد وأخبر عما كان كأنه في الماضين وعما يكون كأنه في الغابرين وعما سيكون كأنه في اللاحقين .

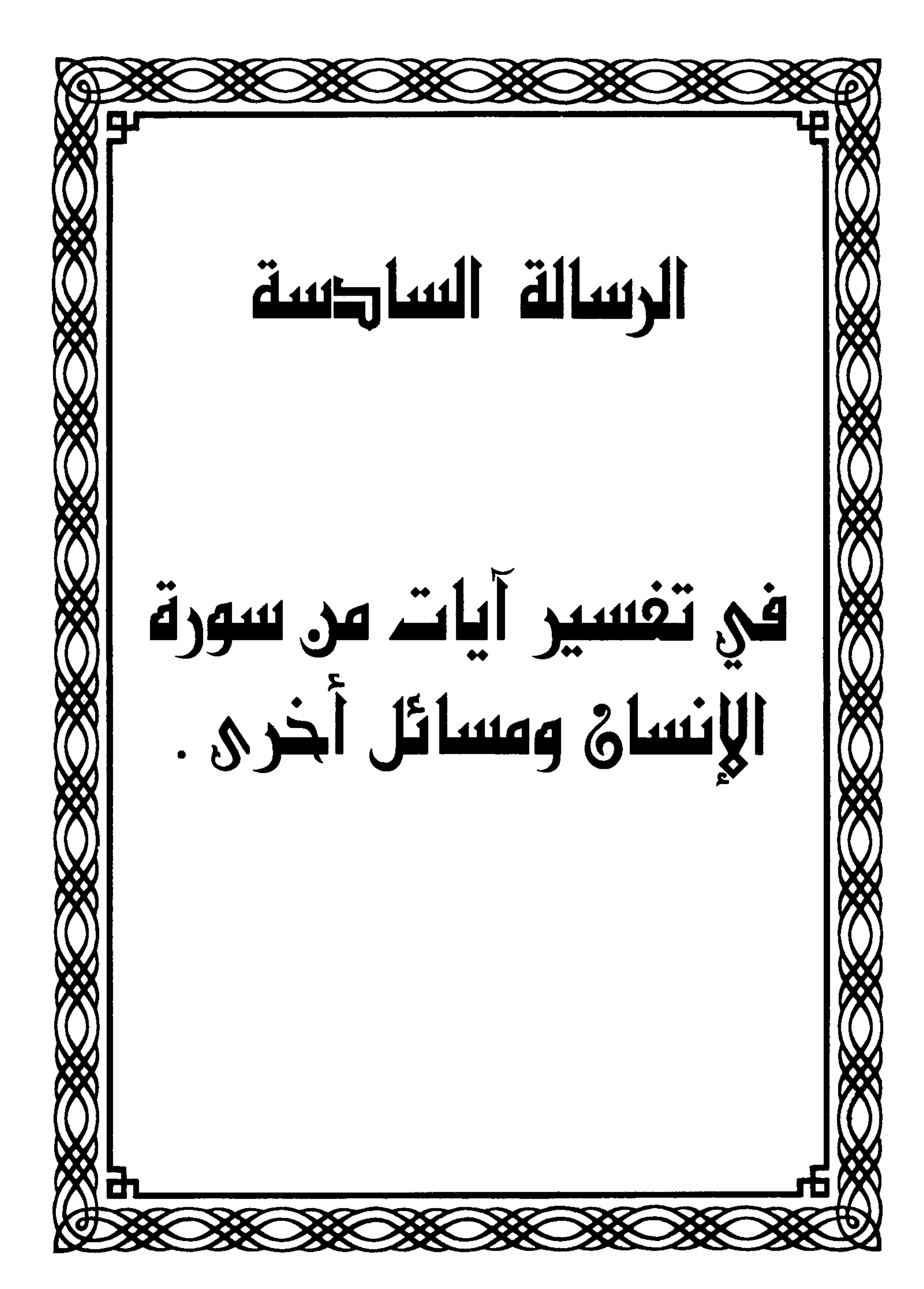
لعنة الله على الشيطان

ثم قال عليه السلام ((ولعنة الله على الشيطان)) الذي يصد عن الحق وأهله حتى عمى أكثر الخلق عنه مع أنه أظهر من الشمس في رابعة النهار كما قال المتنبي :

فهب أني أقول الصبح ليـل

أيعمى الناظرون عن الضياء

ولهذا لما أتاه البيان الذي ألقاه إليه دفعة بهت ونخر وشهق شهقة وأسلم ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .



الرسالة السادسة

في تفسير آيات من سورة الإنسان ومسائل أخرى .



في تفسير سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه قد أرسل إلي المخلص الصافي عن الرين العاري عن الشين الآخوند الملا حسين الكرماني المعروف بالواعظ بعض المسائل المستصعبة على الأفهام لأن في بعضها ما لم يذكر في كلام ولم يجر على لسان أحد من الأعلام ، فيما وصل إلي على تشتت حال من البال لا يكاد يحصره بالمقال ، فأجبت أمره مع كثرة الاشتغال بما يحضرني على سبيل الاستعجال فأقول .

يشربون ، يسقون ، سقاهم ربهم

قال سلمه الله وأيده برضاه ، وأصلح له آخرته ودنياه :

بينوا لنا هذه الفقرات من سورة هل أتى على طريقتكم ، مرة يقول عز من قال ﴿ يَشْرَبُونَ ﴾[1] بصيغة المعروف ، ومرة يقول ﴿ وَيُسْقَوْنَ ﴾[2] ، ومرة يقول ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[3] .

أقول : على سبيل الإشارة والاختصار اعتمادا على فهمه سلمه الله وجودة قابليته ، اعلم أن أهل الجنة لهم أحوال مختلفة لأنهم دائما يترقون وينتقلون من درجة إلى أعلى منها بلا نهاية ، إلا أنهم أول ما يدخلون ويمكثون في أدنى مراتب الجنة كما قيل ثم ينتقلون منها إلى أعلى منها وهكذا ، فأول مراتبهم ما يسمى عند بعض العارفين بالرفرف الأخضر وذلك عندما دخلوا الجنة وأكلوا من كبد الثور ، ثم من كبد الحوت ثم شربوا الكوثر ، وبعد ذلك لهم فيها ما يشاءون ، إلا أن مشيتهم لما يشتهون تنبعث من نفوسهم على حسب استعدادها وقابليتها ، وهم إنما دخلوا الجنة بعدما طهروا لو كان عليهم

---

[1] الإنسان ٥

[2] الإنسان ١٧

[3] الإنسان ٢١

ذنوب ، فتبقى أجسادهم وأجسامهم وطبائعهم ونفوسهم وأرواحهم وعقولهم وأفئدتهم صافية من الأكدار متهيئة لقبول الأنوار ، والأنوار التي بها يترقون في المراتب العاليات تجري فيهم بعدما تشرق في أكمامها على قابلياتهم ، وإنما تجري عليهم فيما يتنعمون به من أنواع النعيم مما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم من المآكل والمشارب والنكاح وما يتفكهون فيه من مساءلة الأصحاب ومنادمة الأحباب ومناجاة رب الأرباب سبحانه وتعالى ، وذكره واستماع كلامه وغير ذلك من أنواع النعيم التي يترقون بها في الدرجات الرفيعات لا غاية لها ولا نهاية ، وذلك بما استقر فيها من الأنوار وكمن فيها من الأسرار لأن أنواع النعيم جميعها أكمام تلك الأنوار والأسرار ومراكبها الحاملة لها إلى أن توصلها إلى قوابلها المشاكلة لها من أهل الجنة ، فإذا أكلوا من كبد الثور وكبد الحوت وشربوا من الكوثر دخلوا الجنة في مقام الرفرف الأخضر وجميع أجسامهم وأرواحهم ، يعني أجسادهم وأجسامهم وطبائعهم ونفوسهم وأرواحهم وقلوبهم وأفئدتهم جميعا صافية وخالية من الأنوار والأسرار إلا القليل ، وكلما تنعموا مما يشتهون استنارت قلوبهم وقويت على تناول المقامات العالية التي لم ترها عين ولم تسمعها أذن ولم تخطر على قلب

بشر ، فهم يشربون بأنفسهم وعلى أيد الحور والولدان وذلك لقلة نوريتهم في أول دخولهم الجنة بالنسبة إلى ما يستقبل من أحوالهم وما يتجلد لهم من أنواع النعيم .

فعلى ما قيل يكون هذا ما لهم في الرفرف الأخضر إلا أن آخره أشرف وأكمل من أوله لأنهم دائما يترقون فقال تعالى في حالهم هذا الذي هو أو دخولهم ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ ﴾[1] ، فإذا انتقلوا منه إلى الكثيب الأحمر وأرض الزعفران قويت قوابلهم واستنارت بواطنهم فتجلى لهم المتفضل بالفضل فهناك يسقون فيها كأسا ، ففي مقام الرفرف الأخضر يشهدون أنفسهم أنهم يباشرون النعيم فعبر عن ذلك بنسبته إليهم ، وفي مقام الكثيب الأحمر وأرض الزعفران وهو مقام التجلي لهم بما لم يمهدوا في دار الدنيا صوره وأسبابه فتفضل عليهم بما شاء تعالى من حيث لم يشعروا به أي بأسبابه في الدنيا ، بل ما حصل في ظنهم ذلك قال تعالى ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا

---

[1] الإنسان ٥

وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وفي هذا المقام حيث لم يستأهلوا لشرابهم لعدم إتيانهم بصورته وسببه في الدنيا لم يشعروا بساقيهم فعبر عن ذلك بنسبته إلى المجهول، ولو علموا بإتيانهم بالسبب يعني أن إتيانهم هو علمهم بالساقي، يعني يكشف لهم عن الساقي ما هو وهو عملهم وأمره تعالى وقدره في عملهم وضعه لذلك لعبر عنه بالمعلوم.

ثم ينتقلون منه إلى الأعراف وهو مقام يتعارفون بينهم فما يصلون إلى هذا المقام إلا وقد قويت قواهم من شهادتهم وغيبهم، فتدرك أجسادهم وأجسامهم ما تدركه النفوس والأرواح والعقول بدونها من المعاني والصور والأشباح، وتدرك عقولهم وأرواحهم ونفوسهم ما تدركه الأجسام والأجساد بدونها من الألوان والأصوات والمقادير، وتدرك في هيئة الاجتماع كهيئة الافتراق وبالعكس، ولهم في أول انتقالهم غيبته عن نفوسهم حتى لا يكادون يشعرون بها وبعد ذلك أيضا، إلى أن يصلوا إلى مقام الرضوان الذي لا يظعن قافله ولا يرجل ساكنه، فيغيبون

---

[1] الطور ٢٥ – ٢٨

عن جميع وجوداتهم ومشاعرهم ولا يشهدون في كل شيء إلا ربهم ، فهو سبحانه يطعمهم ويسقيهم كما قال تعالى في أهل المقام ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[1] ، وليس لهذا المقام نهاية ، ولا يخرجون منه أبدا ، وربهم في هذا المقام يسقيهم شرابا من رضاه طهورا من وحدانيته ، يعني لا يجدون في ذلك الشراب ولا في شيء مما يترتب عليه شيئا من كل ما سواه ولا أنفسهم إلا وجهه وآيته ، وهذا أعلى ما يمكن للممكن من النعيم من عطاء الجواد الكريم .

من كأس ، كأسا ، سقاهم ربهم

قال سلمه الله : وفي الفقرة الأولى يقول ﴿ مِن كَأْسٍ ﴾[2] وفي الثانية ﴿ كَأْسًا ﴾[3] وفي الثالثة ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[4] بدون التحديد .

أقول : قد تقدم أنهم في أول دخولهم الجنة وإن كانوا صافين من الكدورات إلا أنهم ليس فيهم من الأنوار والأسرار

---

[1] الإنسان ٢١

[2] الإنسان ٥

[3] الإنسان ١٧

[4] الإنسان ٢١

إلا ما كان لأصل عملهم ولازما لأصل التصفية ، وأما ثمرات الأعمال المتجددة على تجدد الآنات والأحوال فلم تصل إليهم لأنها أمور تدريجية وإن كانت من أنواع نعيم الجنة فعلية الكون في أرض الكمون إلا أنها تدريجية الظهور والوصول إلى أربابها سواء قلنا أن التأخير من مقتضى قوابل الكائنات أم بتأخير أربابها لمقتضى الاستقامة في تقدير الصواب ووصول الثمرات المتجددة الغير المقطوعة على حسب قوة قابلها ، فكلما قبلت كثيرا قويت على أكثر من الأول لتزايد القوة بتزايد الواصل إليها ، ففي أول الدخول يقول ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ ﴾[1] فأتى بصورة التبعيض إشعارا بضعفهم عن الكل دفعة بل بالتدريج ، ولما قويت قواهم على استعمال الكل دفعة قال ﴿ كَأْسًا ﴾[2] لأنهم يشربونه فلا يبقى منه شيء ولا من شهوتهم شيء بعده فهو بقدر شهواتهم لا تزيد ولا تنقص وهو قوله ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[3] أي أنها مقدرة بقدر شهواتهم لا تزيد ولا تنقص ، ولما كان استعدادهم قويا لكثرة ما استمدوا

---

[1] الإنسان ٥

[2] الإنسان ١٧

[3] الإنسان ١٦

في أثناء المقامين المذكورين لم يحتاجوا في شرابهم إلى الآلة ، بل في الحقيقة نفس شرابهم آلة شرابهم فهو آلة نفسه ، فلم يثبت له آلة لعدم حاجة الشراب والشارب والساقي إليها فلم يذكرها .

كافورا ، زنجبيلا ، شرابا طهورا

قال سلمه الله : وأيضا في الأولى الكافور وفي الثانية الزنجبيل وفي الثالثة لفظ شرابا طهورا ، فإن كان المراد بالكافور لبرودته هو اليقين والزنجبيل لحرارته هو الخوف يرى في الظاهر أن العكس أنسب .

أقول : المراد بالكافور في الأولى ماء في الجنة اسمه الكافور لبرده وحلاوته وطيب رائحته ، يعني أنهم يشربون من كأس مزاج ما فيه من ماء أو خمر أو عسل أو لبن من ماء تلك العين المسماة بالكافور ، ولهذا قال بعده ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[1] وإن المراد أن الكأس المملوءة من ماء كان الماء برودته برودة الكافور ورائحته كذلك ، وإنما قدم الكافور لأجل ما فيه من البرودة ، لأنهم لما كانوا في أرض المحشر في شلة عظيمة وحرارة شديلة لو جاز الموت في يوم القيامة لمات أهل الجمع من شلة الحرارة ، فلما كان الأمر كذلك ولحق أهل الجنة ما لحق

---

[1] الإنسان ٦

غيرهم من الحرارة والعطش غالبا ، وإن كان حالهم بالنسبة أحسن من غيرهم ، ناسب لهم في أول دخولهم الجنة الماء البارد الذي يمحو تلك الحرارة بالكلية ، لأن البرودة بعد الحرارة مما ينعش الروح ويقوي الحرارة الغريزية ويمسك القوى عن الاختلال والتهافت ليكون ذلك سببا للخلود أبد الآبدين ، وهذه العين المسماة بالكافور في المقام الأول من الجنة .

وفي المقام الثاني عين الزنجبيل وتسمى تلك العين بالسلسبيل ، وأهل الجنة إذا وصلوا إلى هذا المقام أعني مقام الكثيب الأحمر وأرض الزعفران كان مزاج كأس شرابهم زنجبيلا وهي العين السلسبيل لأجل طيب رائحته وتقويته للقوى وتحليله وهضمه للطعام ، لأنهم في هذا المقام أكثر أكلا وشربا لقوة قواهم ونوريتهم ونورية طعامهم وشرابهم ولطافته وكثرة كيموسه ، والزنجبيل معين على الهضم ليعظم نعيمهم بكل ما يشتهون ، ولحرارته فإن الحرارة من علة الكون ولا ينافي البقاء والثبات لأن أجسادهم وأجسامهم قد صفيت عن جميع الأكدار والأعراض والغرائب ، وقد أكلوا قبل ذلك كبد الثور لقوة الثبات ، لأن التراب البارد اليابس طبعه الإمساك والثبات وأشد التراب في هاتين الصفتين أسفل التخوم من الأرض السابعة

وهي نقطة مركز العالم ، ونسبته في هاتين الصفتين إلى كبد الثور نسبة الجزء الواحد إلى ثلاث مائة ألف وسبعة وأربعين ألفا وتسعمائة جزء ، وبعد أن بلغوا بذلك في رتبة الاستمساك والثبات مبلغ البقاء والدوام أكلوا كبد الحوت الذي هو معين على بقاء الحياة ، فبرودته الشديدة أعانت ذلك الاستمساك والثبات ، وببرودته أعان على الحياة مع البرودة ، ثم شربوا من الكأس التي كان مزاجها كافورا المعين على البقاء والثبات ، فإذا شربوا من طبع الزنجبيل لم يضر بحرارته في الاستمساك لشدة الاستمساك مع ما لحقه من مقوياته التي أشرنا إليها ، وكان بقوة هضمه معينا للبقاء وباعثا للقوة الغريزية بحرارته ، وكانت رائحته مع ما فيها من الفوائد من التحليل والتفتيح والهضم وإصلاح الهواء وغير ذلك مستحسنة في الأطعمة والأشربة ومشهية لهما ، وتسمى تلك العين التي هي الزنجبيل سلسبيلا والسلسبيل من أسماء الخمر ، وسميت تلك العين باسم الخمر لأن فيها منافع الخمر من القوة وتحسين اللون والتشجيع والتفريح وإذهاب الوحشة وإذهاب الغم بالتسلية والهم بتقريب حصول المطلوب في النفس وغير ذلك ، ولو قدم الزنجبيل على الكافور لما حصل من كل منهما فوائده ، لأن الزنجبيل بطبعه مناقض

لكبد الثور والحوت ، وإذا توسط الكافور المناسب للكبدين كـان وقاية لهما عن المناقض وكاسر لسورته ، فلهذا تقدم بحكمة قضية الترتيب الطبيعي فافهم .

وهذا المذكوران المسميان باسم عقارين من العقاقير الـتي منفعتهما في الطـب البدنـي ، إنمـا سميـا بذلـك لمعالجـة الأبـدان للخلـود ، ولا مدخـل لليقـين في الكـافور وإن أول بــه ، وأمـا الزنجبيل فلا مناسبة بينه وبين الخـوف وإنمـا يناسـبه الكـافور لأن برودة الخوف أشد من برودة اليقين .

ما الشراب الطهور

قال سلمه الله : وهل المراد بالشراب الطهور هو الطــهور من الصور التي كانت في العلم والمعنى الذي في العقل أم شــيء آخر .

أقـول : المـراد بالطـهور هـو العصمـة مـن كـل نقـــص ووصمة ، فأما في الرتبة الأولى فإن أهل الجنة تتفجر عليهم ولهـم ينـابيع العلـوم فـهم علمـاء طـاهرون مـن الجـــهل ، والموجــب لطهارتـهم مـن الجـهل هـو الشـراب الطـهور الـذي في المرتبـة الثالثة ، لأنهم وإن كانوا في الأولى يعلمون ولكنهم يجري عليهم بعض الغفلات وكذا في الثانية وإن كـانت أقـل ، ولذلـك قـال

بعضهم ولا أعلم هل هو من حديث خاص أم مستنبط من الأخبار ، أما الخاص فلم أقف عليه ، وأما الاستنباط فحق قال (الناس في هذه الدنيا نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، والأموات نيام فإذا بعثوا انتبهوا ، وأهل المحشر نيام فإذا دخلوا الجنة انتبهوا) يعني إذا وصلوا إلى مقام الرفرف الأخضر انتبهوا ، وهم نيام فإذا وصلوا إلى كثيب الأحمر وأرض الزعفران انتبهوا ، وأهل الكثيب الأحمر وأرض الزعفران نيام فإذا وصلوا الأعراف انتبهوا ، وأهل الأعراف تعرض لهم السنة لا النوم ، فإذا وصلوا إلى الرضوان انتبهوا ، ولا يزالون في يقظة أبدا وإن تفاوتت في الشدة والضعف .

وأما في الثانية فإن أهل الجنة تشرق عليهم الأنوار اليقينية وتنكشف لهم الجنايا العقلية مع ما لهم من حكم الأولى من العلوم ، فهم في هذه الرتبة طاهرون من كدورات الشك والريب ، وطهارتهم هنا من كدورات الاحتمالات لأجل الشراب الطهور الذي في الثالثة ، وما يجري عليهم هنا من الاحتمالات فإنما هو بالنسبة إلى المرتبة الثالثة وكذلك ما كان في الأولى ، لأن المؤمن في هاتين المرتبتين لا جهل معه ولا ريب فيه ، ولكن بالنسبة إلى المرتبة الثالثة يتبين له نقص ما تقدم

عليها إذا وصل إليها ، وقد قال علي عليه السلام في حق أهل الجنة في وصف طعامهم قال عليه السلام ((أعلاه علم وأسفله طعام))[1] فلا يكون معه في مطلق منازل الجنة جهل ولا ريب إلا على نحو ما قال صلى الله عليه وآله ((اللهم زدني فيك تحيرا)) فإنه صلى الله عليه وآله قد بلغ من معرفة الله سبحانه ما لا يحوم حوله أحد من الخلق ، ووجد من التحير في الله سبحانه ما لا يحتمله سواه ، ثم طلب الزيادة من التحير في الله تعالى بسبب شدة التجلي في مراتب ما يظهر به من العظمة والعزة ، فإذا زاده الله تعالى تحيرا في عظمته سبحانه لم يزده ما وصل إليه وإنما يزيده ما لم يصل إليه ، فإذا أزاده تحيرا لم تجده قبل هذه الزيادة من التحير ليس تحيرا بالنسبة إلى ما بعد الزيادة بل يكون بالنسبة إلى الثاني انبعاثا وانبساطا ، فكذلك ما للمؤمن في المرتبة الأولى وفي المرتبة الثانية ، إنما ينسب إليه في الأولى النوم والجهل والغفلة بالنسبة إلى ما بعد ، وإنما ينسب إليه من الشك والريب والنوم والغفلة على جهة الاحتمال إنما هو بالنسبة إلى الثالثة .

فإن قلت : أنت نسبت الطهارة في المرتبتين إلى الشراب الطهور الذي لا يكون إلا في الثالثة ، فكيف يعقل هذا .

---

[1] البحار ٤٠/ ١٤٣ ح ٤٧

قلت : إن هذه المراتب الثلاث للمؤمن في الجنة كالمراتب الثلاث له في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة ، وكما أنه لا يميل إلى الطاعة في الدنيا ، ولا يحسن جواب منكر ونكير ، ولا يتأهل للروح والريحان في قبره إلا بما فيه من الطينة الطيبة التي نزل بها من الجنة إلى الدنيا وهي التي خلقها الله سبحانه من إجابته في عالم الذر ، وإنما تجري عليه في الدنيا المعاصي وما يعرض في القبر من المكاره أنها معه لأنها قد تلوثت به ببعض اللطخ الذي أصابها ، فباللطخ فعل ما فعل وجرى عليه ما جرى إلى أن يرد اللطخ الذي أصابه إلى صاحبه ويؤمر به إلى الجنة ، فكذلك الشراب الطهور الذي سقاهم ربهم إياه قد سقاهم إياه عبيطا في نوره الذي خلقهم منه وبه يتطهرون في كل رتبة من مراتب وجودهم في عقولهم وأرواحهم وفي نفوسهم وطبائعهم ، وفي الدنيا والبرزخ وفي الآخرة في هذين المقامين ، ولما وصلوا إلى المقام الثالث وهو مقام الأعراف عرفوا حين سقاهم الفرات الطهور أنه هو الذي سقاهم إياه عند خلقه إياهم .

والمراد بالشراب الطهور هو الماء الطاهر المطهر لأن الطهور من صيغ المبالغة بمعنى المطهر بكسر الهاء فيكون طاهرا في نفسه ، وهو في الحقيقة نور الله المذكور في كلام أمير المؤمنين

عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[1] وهو أول نازل من سحاب المشيئة ، وهو النور الذي خلق منه المؤمن ، وهو بلسان العلماء والحكماء الوجود ، فإنه الماء الذي خلق الله سبحانه منه ما شاء أن يخلق فافهم .

قال سلمه الله : ولما كانت هذه السورة مخصوصة بأهل العصمة عليهم السلام ، ولم يكن الغير داخلا فيهم ، ولم يذكر اسم الحوريات ولا اسم المؤمنات ، هل يجوز لنا في التأويل أن نقول أن المراد بلفظ فضة في قوله تعالى ﴿ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾[2] و ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾[3] و ﴿ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[4] أي خادمتهم رضوان الله عليها أم لا ؟ .

التأويل لا يجوز إلا بما ورد عنهم عليهم السلام

أقول : اعلم أن التأويل في القرآن لا يجوز إلا ما أخذ عن أهله المخاطبين به محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، لأن القرآن على خلاف ما تعرفه الناس فإن له ظاهرا

---

[1] معاني الأخبار ٣٥٠

[2] الإنسان ١٥

[3] الإنسان ١٦

[4] الإنسان ٢١

وظاهر ظاهر وهكذا وباطنا وباطن باطن كذلك ، وليس لأحد أن يقول في القرآن إلا بدليل عنهم عليهم السلام وهو قسمان ، أحدهما وصل إليه من النص من كتاب أو سنة أو ما علم من اللغة ، وتقتصر فيما وصل إليه على ما علم تناوله من معاني الكتاب غير حاصر لمعاني القرآن فيما علم فإنه إذا دل الدليل عنده على معنى من معاني القرآن وقال هذا المعنى يدل عليه كذا وهو عنده أنه دليل ذلك غير متكلف له لغرض له في ذلك ولا غير ، عالم بأنه دليل في ذلك المعنى فقد جاز له ذلك بشرط أن لا يحصره فيما علم فيقول ليس للآية معنى غير هذا ، وأما إذا حصر فهو ممن فسر القرآن برأيه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني))[1] ، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال ((من تكلم في القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ))[2] ، وعنه

---

[1] عيون أخبار الرضا ١ / ١١٦

[2] منية المريد ٣٦٩

صلى الله عليه وآله ((من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))[1] ، وأمثال هذه كثيرة .

لا بد أن يكون المؤول هكذا

وثانيهما أن يكون الرجل المؤول للقرآن أن يعرف نوع الاعتقاد في توحيد الله وصفاته وما يصح عليه وما يمتنع عليه ، ونوع ما يصح به الاعتقاد في أفعاله وفي أوامره ونواهيه وفي مراداته من عباده ، ونوع الحكمة والصنع والتكاليف ، ونوع حكمة الإيجاد والقدر والبداء والمنزلة بين المنزلتين وما أشبه ذلك ، ويعرف النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله والإمامة لأهل بيته صلى الله عليه وعليهم ونبوة الأنبياء ووصاية الأوصياء عليهم السلام ، وأحوال التكاليف والموت والبرزخ وأحوال الآخرة ، ولو بالاطلاع على نوع علم المسألة ، فإذا وصل الشخص إلى هذه الرتبة بالعلم العياني القطعي الضروري جاز له ذلك أيضا ، لأنه إذا لم يعلم نوع علم هذه المسألة التي أول الكتاب عليها بالعلم القطعي العياني البرهاني جاز أن يقول هذا ما لا يريده الله سبحانه ، وإن علم علم نوع هذه المسألة بالعلم البرهاني القطعي لأنه يجوز أن تكون هذه المسألة خارجة

[1] غوالي اللآلي ٤/ ١٠٤

بمخصص من مانع أو مقتض أقـوى وأنـه لم يـره بخلاف العلـم العياني فإن صاحبه يشاهد كل فرد من أفراد هذا النـوع في محلـه على ما هو عليه أو أنه لم يره فإن رآه رآه ، كما هو مثال ذلك فيما نحن فيه في كون المراد من فضة في الآية الشـريفة هـل المعـدن أو فضة أمة فاطمة عليها السلام .

المعاني متعددة

فعلى الوجه الأول وهـو أن المـؤول إذا كـان عنـده دليـل عنهم عليهم السـلام أو مـن الكتـاب أو اللغـة سـلمنا وجـوده هنـا ، فـإن قلـت : أن المـراد المعـدن ، فـهو حـق لوجـود الأدلـة بذلك ، وإن قلت أن المراد أمة فاطمة عليـها السـلام ، فـإن كـان عندك دليل خاص في ذلك جاز في أصل المسألة ولكن قلنا بشرط عدم الحصر ، فإن قلـت عنـدي أن المـراد بـه أمـة فاطمـة عليـها السلام وحصرت مراد الله فيها فهو خطـأ ، فـإن الله سـبحانه أراد المعدن الخاص ولو على فرض دليل خاص على ما أولنا هذا مـن مراد الله صح التأويل لأن ظاهر القرآن حجة لمن لا يحصر الفـهم فيه فقد روى العياشي بإسناده عن جابر قال ((سألت أبـا جعفـر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني ، ثم سألته ثانيـة فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك ، أجبت في هذه المسألة

بجواب غير هذا قبل اليوم ، فقال عليه السلام لي : يا جابر ، إن للقرآن بطنا وللبطن ظهرا ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه))[1] وغير ذلك مما هو صريح في عدم جواز حصر القرآن في شيء واحد ، حتى أن المفهوم من أخبارهم عليهم السلام أن الإمام عليه السلام قد يحصر الآية في معنى واحد وليس بمحصور فيه ولكن من حصر له الإمام وجب عليه القول بالحصر لأنه إنما حصر له لأن المقام اقتضى من السائل أو من السامع أو ممن علم الإمام عليه السلام وصول ذلك إليه ، بمعنى أن من حصر الإمام عليه السلام لأجله في شيء مخصوص يزعم بأنه غير مراد فبين عليه السلام أن المراد هذا لا غير بالنسبة إليك من جهة الحكم والاعتقاد أو غير ذلك ، مثال هذا ما روي في تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2] روي فيها أنهم يسألون عن خمس شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق ، وفي المجمع عنهما عليهما السلام ((هو الأمن

[1] تفسير العياشي ١/ ١٢

[2] التكاثر ٨

والصحة))[1] ، وفي العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام ((الرطب والماء البارد))[2] ، وفي أمالي الطبرسي عنه صلى الله عليه وآله كذلك ، وفي الفقيه عنه عليه السلام ((كل نعيم مسئول عنه صاحبه إلا ما كان إلا ما كان في غزو أو حج))[3] ، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام ((من ذكر اسم الله على الطعام لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام))[4] ، وروي في العيون عن الرضا عليه السلام قال ((ليس في الدنيا نعيم حقيقي ، فقال له بعض الفقهاء ممن حضر فيقول الله ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ما هذا النعيم في الدنيا الماء البارد ، فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته : كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب ، فقالت طائفة الماء البارد ، وقال غير هو الطعام الطيب ، وقال آخرون هو طيب النوم ، ولقد حدثني أبي عن أبي عبدالله عليه السلام أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عز وجل ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

---

[1] مجمع البيان٣٠/ ٢٢١

[2] عيون أخبار الرضا ٢/ ٣٨

[3] الفقيه ٢/ ٢٢١

[4] البحار ٦٦/ ٣٦٧

فغضب عليه السلام وقال : إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم ، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوق به ، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا ، يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول))[١] .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية ((إن الله عز وجل أكرم وأجل أن يطعمكم طعاما فيسوغكموه ثم يسألكم عنه ، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله))[٢] .

انظر كيف حصر الصادق عليه السلام النعيم في الآية فيهم وفي موالاتهم مع ورود غير ذلك عنهم عليهم السلام كما سمعت بعضه وذلك لما قلنا فإن هؤلاء ينكرون تناول النعيم لهم وفي الواقع هم المرادون بالآية في الحقيقة وغيرهم مما سمعت مراد بها بالتبعية والفرعية ، فحصر لأجل تأصلهم في النعيم وفرعية ما سواهم في مقابلة دعوى الأعداء عدم كونهم عليهم السلام

---

[١] عيون أخبار الرضا ٢/١٢٩

[٢] الكافي ٦/ ٢٨٠

مرادين من الآية وكون ما سواهم مما سمعت متأصلا في الآية ، لأن ما يدعونه من السؤال عن النعيم ليس بصحيح كما قال عليه السلام ، وأما الصحيح المسئول عنه هو شكر هذه النعم من أين اكتسبت ولم فعلت وفي شيء صرفت ، لا أنه تعالى يسألهم عن نفس هذه الأشياء وكونها طيبة كما توهمها الأعداء ، فإذا حصر الإمام عليه السلام الآية في معنى واحد فهو من هذا النوع .

فشرط من يؤول إذا وجد له دليلا على خصوص معنى ما يؤوله عليه ألا يحصر الآية في ذلك المعنى لأنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وقد روى الحسن بن سليمان الحلي رضوان الله عليه في كتابه المختصر لبصائر سعد الأشعري عن الصادق عليه السلام أنه قال ((إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا ، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر))[1] فكيف يجوز الحصر .

وعلى الوجه الثاني

وعلى الوجه الثاني وهو أن المؤول يكون عالما بعلم نوع المسألة علم عيان لا علم برهان ، فإنا نقول مثلا أن هذا العالم إذا

---

[1] البحار ٢٤/ ٣٠٢ ح ١١

عرف بأن جميع العوالم كشيء واحد يشبه بعضها بعضا ، وإن كل ما في هذا العالم فإنه نازل من من العالم العلوي من قليل أو كثير ودقيق وجليل وذات وصفة وحال وطبع وأن كل ما هناك فهنا دليله كما قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]. وكذا قوله عليه السلام ((الدنيا مزرعة الآخرة))[2] وقول الرضا عليه السلام ((قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما هنا)) وغير ذلك مع أنه تعالى أخبر في كتابه بقوله ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[3] ، وأنه دل دليل الحكمة المستند إلى القرآن الصريح والنقل الصحيح على أن كون فضة أمة فاطمة عليها السلام وأنها تخدمهم وتسقيهم وأمثال ذلك ، شيء في خزائن الله نزل منها ظاهره وصورته إلى هذه الدنيا فإذا عادوا إلى الآخرة ومروا على تلك الخزائن التي نزل منها هذا الشيء بصورته في حال صعودهم في عودهم ورجوعهم إلى معبودهم

---

[1] فصلت ٥٣

[2] ورام ١ / ١٨٣

[3] الحجر ٢١

وجدوه بحقيقته وجرى لهم بكنــه طريقتـه حتـى يجـد قولـه تعـالى الخاص ينطبق له باللسان العـام ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾[1] وكذلك قوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2] فـإن معنـاه كمـا تعـودون بدأكم وقول الصادق عليه السلام ((ما كـل مـا يعلـم يقـال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهلــه))[3] ، فـإذا وجد ذلك العالم بنوع علم المسألة بـالعلم العيـاني لا البرهـاني علم هذا ومثله كتمه وإذا وجد أهلـه أدى الأمانـة الـتي أمـره الله تعالى بأدائها إلى أهلها فافهم .

لا يجوز إلا بدليل قطعي

ولا يجوز تأويل القرآن إلا بالدليل القطعي ومن قال بغير ذلك فقد ضل سواء السبيل فإن القرآن أمره عظيم وخطره جسيم روى محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليــه

---

[1] البقرة ٢٥

[2] الأعراف ٢٩

[3] البحار ٥٣ / ١١٥ ح ١٣٨

السلام يقول ((إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتابا فختم به الكتب فلا كتاب بعده ، أحل فيه حلالا وحرم حراما فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم ، وجعله النبي صلى الله عليه وآله علما باقيا في أوصيائه فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان ، وعدلوا عنهم ثم قتلوهم واتبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم ، قال الله سبحانه ﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾[1] وذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام ، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها ، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه ، ولم يعرفوا موارده ومصادره إذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا وأضلوا ، واعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ

---

[1] المائدة ١٣

والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم والمكي والمدني وأسباب التنزيل والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة وما فيه من علم القضاء والقدر والتقديم والتأخير والمبين والعميق والظاهر والباطن والابتداء والانتهاء والسؤال والجواب والقطع والوصل والمستثنى منه والجاري فيه والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد والمؤكد منه والمفصل وعزائمه ورخصه ومواضع فرائضه وأحكامه ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون ، والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده ، فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله ، ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ، ومأواه جهنم وبئس المصير))[1] .

فتأمل رحمك الله هذا الحديث لتعرف أن القول فيه عظيم ، لأن هذه الأمور التي ذكرها أكثرها ما تعرف إلا بمعرفة مدلولها أو بتعريف من المريد من المخاطبين به ما أراد .

---

[1] البحار ٩٣ / ٤

في شأن مقام من مقامات المعصومين عليهم السلام

قال سلمه الله : وهل يجوز لنا أن نقول أن النبي صلى الله عليه وآله في مرتبة قوس النزول والصعود تكون من العقل أولا أم لا ؟ وهل يجوز لنا أن نقول أن من ذات العقل الأول تكون هو وأهل بيته صلوات الله عليهم ، ومن صفته ومن شعاعه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، ومن شعاع الشعاع المؤمنون ، ومن ذلك الشعاع الملائكة ؟

أقول : اعلم أن محمدا صلى الله عليه وآله خلقه الله قبل كل شيء من سائر المخلوقات ، لأن الحقيقة المحمدية هي محل المشيئة ومتعلقها التي لا تتحقق المشيئة إلا بها كالانكسار الذي لا يتحقق ظهور الكسر إلا به ، وذلك هو الوجود وهو الماء المنزل من السحاب الثقال المساق إلى البلد الميت يعني أرض القابليات وأرض الجرز ، فلما ساق الله تلك السحاب الثقال التي هي المشيئة يعني وجهها نحو الأرض الميتة أي القابليات وهي جنان الصاقورة التي غرسوها عليهم السلام بأيد الجود كان أول من أكل من ثمرة تلك الشجرة أي شجرة الخلد العقل الكلي المسمى عند القوم بالعقل الأول وهم أصحاب القول بالعقول

العشرة ، وعند قوم بالأول الملائكــة العـالين الذيـن لم يســجدوا لآدم لأنهم أفضل منه ، وعند قوم بالركن الأعلى الأيمن عن يمين العرش ، وفي رواية هو العقل وهو ملك له رؤوس بعدد الخلائق من ولد آدم من ولد ومن لم يولد إلى يوم القيامة ، وفي أخرى هـو الروح أي الـروح مـن أمـر الله وهـو الـذي يكـون مـع الأنبيـاء والرسـل يسـددهم وهـو عقـل محمـد وآلــه صلـى الله عليــه وعليهم ، ولم ينزل قبل محمد صلى الله عليه وآله وإنما نـزل علـى الأنبياء المتقدمين عليهم السلام بوجه مـن وجوهـه ، فلمـا ظـهر صلى الله عليه وآله في هذه النشأة نـزل لـه ولم يصعـد منـذ نـزل وهو الآن مع القائم عليه السلام ، وهو أي هذا العقـل الأعظـم والملك المكرم الذي قال الله تعالى ((أدبر فأدبر)) يعني اصنع مـا شاء من خلقه ، ثم قال له ((أقبل فأقبل ، فقال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك بك أثيــب وبـك أعـاقب ولا أكملنك إلا فيمن أحب))[1] وهو الحقيقـة المحمديـة كالوجـه مـن الذات والجنب من الكل ، فمحمد وأهل بيته صلوات الله عليــه وعليهم أجمعين هم تلك الحقيقة وهذا العقل الأعظم هو عقلهم وهو وجه تلك الحقيقة وهو هنا كالوزير من السلطان إنمـا يفعـل

---

[1] أمالي الصدوق ٤١٨ قريب منه

بالرعية بأمر السلطان في خدمته ، وهو الذي أشار إليه أبو محمد العسكري عليه السلام في تاريخه بقوله ((والكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[1] يعني أنه أول من ذاق من حدائقنا أول ثمرةالوجود .

فلا يقال أن محمدا صلى الله عليه وآله تكون من العقل الأول بل يقال الحق الواقع أن العقل الأول تكون من حقيقة محمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم يعني من نورهم صلى الله عليه وعليهم .

وأما قولكم أحسن الله ما لكم من ذات العقل تكون هو وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم فبيانه أن الأصل في كل شيء نور محمد صلى الله عليه وآله ونور أهل بيته عليه وآله وعليهم السلام من نور محمد صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء ، يعني مثل سراج عندك أشعلت منه سراجا آخر فالسراج الآخر بعد أن أشعلت منه كان مثله فافهم المثل الحق ، ثم بعد أن مضى ما شاء الله من السرمد ومن البرزخ الذي بين السرمد والدهر خلق سبحانه من نورهم حقيقة هذا العقل ، والذي

---

[1] بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٤

فهمت من بعض الأخبار أن نورهم كان قبل حقيقة هذا العقل دهرا أو ثمانين ألف سنة ، والذي يجول في خاطري أن السنة في هذا المقام ثمانون ألف شهر كل شهر ثمانون ألف جمعة أي أسبوع كل جمعة ثمانون ألف يوم كل يوم ثمانون ألف ساعة كل ساعة كألف سنة مما تعدون وهذا هو الذي فهمته من بعض الأخبار ، ثم لما مضى ما شاء الله وهو القدر المذكور خلق الله هذا العقل المشار إليه بعد أن مضى منذ خلقت أنوارهم عليهم السلام ألف دهر خلق الله سبحانه أنوار الأنبياء على محمد وآله وعليهم السلام ، وبعد أن مضى منذ خلقت أنوارهم عليهم السلام ألف ألف دهر خلق الله أنوار شيعتهم المؤمنين وذلك من فاضل أنوار الأنبياء عليهم السلام ومن فاضل أنوارهم عليهم السلام ، وذكر الأحاديث الدالة على ما ذكرنا لا يمكن حصرها ولكن أذكر حديثا واحدا يدل على سبقهم عليهم السلام على كل شيء وهو من كتاب رياض الجنان لفضل الله ابن محمود الفارسي بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال ((قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : أول شيء خلقه الله تعالى ما هو ؟ ، فقال : نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ، ثم جعله

أقساما فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم ، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء ، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء ، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين))[1] .

خلقهم الله قبل كل شيء

واعلم أن محمدا وأهل بيته صلى الله عليه وآله وعليهم خلقهم الله قبل ما ذكر من العرش والكرسي وغيرهما بما شاء الله ، وفي العرش هذا حقيقة العقل وهو الرتبة الثانية لهم ، ثم تنزل نورهم فخلق العقل في الرتبة الثالثة ، وخلق الله محمدا

---

[1] البحار ٢٥ / ٢١ ح ٣٧

فمكث نوره يطوف حول القدرة ثمانين ألف سنة، ثم نزل وطاف حول العظمة، ثم خلق الله نور علي عليه السلام فكان نور علي يطوف حول القدرة ونور محمد صلى الله عليه وآله يطوف حول العظمة، فنور محمد صلى الله عليه وآله قبل نور علي عليه السلام بثمانين ألف سنة هكذا في أحاديثهم عليهم السلام، فبقي نوره يطوف حول القدرة والظاهر أنها الولاية ثمانين ألف سنة ثم نزل إلى العظمة والظاهر أنها النبوة، ثم خلق نور علي عليه السلام بعد ذلك فطاف علي بالقدرة أي الولاية بعد محمد صلى الله عليه وآله ونور محمد صلى الله عليه وآله يطوف بالعظمة أي النبوة بعدما كان يطوف بالولاية فافهم.

والحاصل خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله وخلق من عين نوره أنوار أهل بيته الثلاثة عشر معصوما عليه وعليهم السلام، وخلق من جانب أنوارهم الأيمن بعد تنزل نورهم العقل المشار إليه، وخلق من فاضل أنوارهم أي شعاعها أنوار الأنبياء، وخلق من فاضل أنوار الأنبياء عليهم السلام المؤمنين، وأما الملائكة فعلى أقسام أربعة العالون فخلقوا من جانبهم، فالعقل المذكور من الجانب الأيمن الأعلى لأنه الغصن

الأعظم من تلك الشجرة المباركة الكلية ، والروح من الجانب الأيمن الأسفل ، والروح الذي على ملائكة الحجب من الجانب الأيسر الأعلى وهو حجاب الزبرجد والأسفل وهو حجاب الياقوت ، وأما الملائكة الكروبيون فخلقوا من شعاعهم وهؤلاء الكروبيون من شيعتهم من الخلق الأول وراء العرش وقد أمر الله واحدا منهم حين سأل موسى عليه السلام رب أرني أنظر إليك فتجلى ذلك الواحد للجبل فجعله دكا ، وأما من دونهم فمن شعاع الشعاع ، ومن شعاع شعاع الشعاع وهكذا .

ذات الجهل وصفة المنافقين

قال سلمه الله : ومن ذات الجهل الأول الثلاثة ، ومن صفته المنافقون ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] ومن شعاع الشعاع إبليس ، ومن شعاع إبليس الكافرون ، فكيف تقابل المؤمنين مع إبليس ، وتقابل الملائكة مع الكافرين ؟

أقول : الذي ينبغي أولا تحقيق حقائق المذكورين ثم التقابل ، فأقول إن الجهل الأول مقابل للعقل الكلي كما دلت عليه أحاديث العقل والجهل من الكافي وهو ضده ، ولم يكن ضد

---

[1] النساء ١٤٥

مناف لضده قبل الجهل الأول إذ لم يكن قبل العقل الأول خلق من الوجودات المقيدة، لأن العقل أول ما خلق الله يعني من الوجود المقيد فليس قبله خلق إلا الوجود المطلق، وأما الماء الأول المسمى بنور الأنوار وهو نور محمد صلى الله عليه وآله وهو الوجود يعني المنزل على الأرض الميتة والأرض الميتة التي هي الأرض الجرز فهي خارجة عن الوجود المقيد بقوله تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾[1] فهي ملحقة بالوجود المطلق لتوقف ظهوره عليها كالانكسار في توقف ظهور الكسر عليه أو أنها برزخ بين الوجودين إلا أن الآية المذكورة تدل على كونها من الوجود الراجح وهو الوجود المطلق لأنه سبحانه يقول ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾، ولو قلنا أنها من الوجود المقيد لم يكن بعيدا على إرادة كونها من المخلوق لا من الخلق إلا أن جعلها من الراجح أرجح لما هو معلوم من أن أول ما خلق الله العقل يعني من المخلوقات، لأن العقل خلق خلقه الله سبحانه بنفسه وأول مخلوق بالفعل هو العقل وهذا مخصوص بالوجود المقيد، فيكون الضد فيما قبل العقل نفسه وهي أخته

[1] النور ٣٥

وانفعاله الموافق للفعل فلا تكون هنالك للماهية ظلمة ، وكيف تكون ظلمة بعد انتسابها لوجودها ، وقد وصفها الله تعالى قبل هذا الانتساب بقوله تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فلم تكن ماهية هي ظلمة قبل العقل بل هي نور بوجودها ، وأما في الرتبة التي هي أول الدهر فالماهية هي الجهل ، وقلنا أن العقل متأخر عن الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، والجهل خلقه الله بعد العقل فهو ضد له فلا يكون ضدا لما قبله ، فلا يكون أحد من المنافقين الكبار ولا من المشركين والكفار ضدا لمحمد وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم ، لأن الضد والمقابلة إنما يكونان في مقام واحد .

الجهل الأول

وأما الجهل الأول فإبليس لعنه الله والملائكة عليهم السلام تقابلهم الشياطين لعنهم الله ، وأما الأنبياء فيقابلهم المنافقون الكبار الذين هم عناهم الله في كتابه ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهي الطبقة السفلى الثالثة من نار جهنم المسملة بالفلق وفي أسفلها الجب والتوابيت والحية لكل واحد منهم تابوت ولكل واحد مع أخيه تابوت وهو في جوف

الحية وإبليس فوق الجميع وتحتهم ، والمخصوصون شجرة الجهل طلعها كأنه رؤوس الشياطين شياطين الإنس وشياطين الجن ، والمغضوب عليهم من شيعتهم يقابلون من خلقهم الله لرحمته من خواص شيعة محمد وآله صلوات الله عليه وعليهم ، والضالون من شيعتهم يقابلون من لهم الشفاعة من محبي محمد وآله صلوات الله عليه وعليهم ، وأهل الأعراف من الفريقين متقابلان فالذين من أصحاب اليمين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم والذين من أصحاب الشمال مرجون لأمر الله إما يعذبهم الله أو يتوب عليهم .

فالجهل الذي هو إبليس أي ظلمة فيه ، القوي الغير المتناهي قوته في الظلم والفسق والفساد ، وهذا الأصل الخبيث حقائق أهل التوابيت كل بذنبه ، ومن فاضل طينتهم المغضوب عليهم ، ومن دون ذلك الضالون ، والعقل الذي هو الجانب الأيمن في الحقيقة المحمدية فاضله في الحقيقة نور الأنبياء عليهم السلام ، وفواضل أنوار الأنبياء حقائق خواص الشيعة ومن دونهم المحبين ، وهذا ما فهمت من المقابلة من آثارهم عليهم السلام .

سجين شعاع الجهل الأول

قال أيده الله : وهل يجوز لنا أن نقول أن سجين هو شعاع الجهل الأول .

أقول : كما يجوز ذلك أن تقول أن عليين هو تنزل العقل الأول الكلي وهو محل الطاعات والأعمال الصالحات ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾[1] ، كذلك يجوز أن تقول أن سجين هو ترقي الجهل الأول في مراتب الإدبار وهو محل صور المعاصي والأعمال السيئات ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ﴾[2] ، والأصل في ذلك أن الله تعالى خلق العقل في أعلى عليين وخلق الجهل في أسفل سافلين بحكم اقتضاء المقابلة والمضادة فلما أمر العقل بأن أدبر فأدبر منزلا حتى وصل إلى التراب العذب ، وأمره بأن أقبل فأقبل صاعدا حتى وصل إلى

---

[1] المطففين ١٨ - ٢١

[2] المطففين ٧ - ١٠

قاب قوسين ، وأمر الجهل بأن أدبر فأدبر صاعدا في نزوله حتى وصل إلى التراب المالح والأرض السبخة ، وأمر أن أقبل فأدبر هابطا في صعوده حتى وصل إلى ظلمة مبدئه ، فامتزج طرفا الإدبارين فحصل اللطخ في مستضعفي الفريقين فتشابها وتشاكل الأمر .

والحاصل أن سجين في سلطنة الجهل ورتبته منه كعليين في سلطنة العقل ورتبته منه وهي الرتبة الثانية في نزول الجهل الذي هو صعود حسي ، وكذلك للعقل عليون في الرتبة الثانية في نزول العقل الذي هو نزول حسي ومعنوي ، وعليون لوح من نور أخضر فيه كتب القلم صور أعمال المؤمنين والأنبياء وسائر المطيعين وصور نفوسهم فأعطى الله تلك الصور ما لها من الهيئات الغير المتناهية فيما لا يزال ، وسجين لوح أسود مظلم متلاشي الحقيقة جعله أرضا لمطارح غضبه ونقماته كتب الجهل فيه صور أعمال العاصين وصور نفوسهم بالله الذي ألبس الأشياء ملابس دواعيها ، فأعطاها الله سبحانه بما اكتسبت من هيئات أعمالها ما لها من الهيئات غير المتناهية في ما لا يزال ولا يظلم ربك أحدا .

كل ما في الوجود بكى
على الحسين عليه السلام

قال أيده الله : وفي بعض الأخبار أن المنافقين والشياطين لعنهم الله لم يبكوا على الحسين عليه السلام ، وأما الكافرون فقد بكوا عليه عليه السلام كما ورد أن النار وأهل النار بكوا على الحسين عليه السلام ، فكيف يكون كذلك إلا إذا قلنا أن طينة المنافقين والشياطين من الجهل الأول ، وطينة الكافرين من سجين ، والحال أن أهل سجين لم يبكوا على الحسين عليه السلام ، والسجين الصخرة وهو فوق النار ؟

أقول : الذي يدل عليه العقل والنقل أن جميع ما في الوجود المقيد من كل ذي هيئة وصورة مما في السموات والأرضين وسكان العناصر والبحار بكوا على الحسين عليه السلام ، إلا أن بكاءهم على نوعين أحدهما بمقتضى إمكان ذي الهيئة والصورة وبهذا النوع بكى على الحسين عليه السلام حتى المنافقين والشياطين وأهل عليين وأهل سجين ، وهذا بكاء معنوي وهو على أصناف ، منه أن كل واحد منهم يجد في نفسه ضعفا عن شيء من الأشياء ، ومنه أن كل واحد يجد في نفسه رقة لشيء من الأشياء ، ومنهم أن كل واحد منهم يجد في نفسه خضوعا لشيء

من الأشياء ، ومنه أن كل شيء منهم يجد في نفسه،ميلا لشيء من الأشياء ، ومنه أن كل شيء منهم يجد في نفسه حاجة لشيء من الأشياء ، ومنه أن كل شيء يجد في نفسه غما لعدم إدراك شيء من الأشياء أو لفوت شيء من الأشياء ، ومنه أن كل شيء منهم يجد في نفسه رجاء لشيء من الأشياء ، ومنه أن كل شيء منهم يجد هما عنده لأمر مستقبل محبوب يخاف عدم إدراكه أو بطؤ إدراكه أو محذور يخاف وقوعه وما أشبه هذا ، وكل هذه وما أشبهها بكاء على الحسين عليه السلام أو تباك لجمود عين طبيعته ، ويجري على كل ما أشرنا إليه من كل ذي هيئة وصورة من الخلق ، ومرادي بذي الهيئة والصورة الإنية حال وجدانه إنيته ، وإلى هذا المعنى أشرت بقولي في قصيدتي المقصورة في مرثية أبي عبدالله عليه السلام قلت :

ما في الوجود معجم لم يكن	إلا اعترته حيرة في استوا
كل انكسار وخضوع به	فكل صوت فهو نوح الهوا
أما ترى النخلة في قبة	ذات انفطار وانفراج فشا
ما سعفة فيها انتهت أخبرت	إلا لها حزن إمامي شوا
أما ترى الإثل وأهدابه	عند الرياح ذا حنين علا
أما سمعت النحل ذا رنة	في طيرانه شديد البكا

والسيف يفري نحره باكيا والرمح ينعى قائما وانثنا

تبكيه جرد جاريات على جثمانه وإن تدق القرا

والله ما رأيت شيئا بدا في الكون إلا ذا بكاء علا

فتأمل هذه الأبيات تعرف ما أشرنا إليه .

وثانيهما بالبكاء المعروف وهو جريان الدموع ويكون ذلك من محبيه عليه السلام ومن مبغضيه في حال عدم التفاتهم إلى جهة بغضه وعداوته ، فإنهم في حال التفاتهم إلى عداوته وما برز منهم من الحنق والغيظ عليه وعلى أتباعه ومحبيه لا يبكون عليه لشلة بعد قلوبهم حينئذ عن الرحمة وقسوتها عن قبول الخير وهو تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[1] والبكاء على الحسين عليه السلام من خشية الله .

---

[1] البقرة ٧٤

وأما في حال غفلتهم عن شقاقهم البعيد من رحمة الله إذا ذكر عليه السلام وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأنصاره كما جرى من كثير منهم مثل خولى الأصبحي لعنه الله وهو يسلب زينب عليها السلام والأطفال ويأخذ النطع سحبا من تحت سيد العابدين صلوات الله عليه وهو يبكي ولما سألته لعنه الله قال: أبكي لما جرى عليكم أهل البيت وهو من المنافقين.

والحاصل أن كل شيء يبكي على الحسين عليه السلام تبكيه الرياح بهفيفها، والنار بتلهبها، والماء بجريانه وأمواجه ووجوده، والشمس والقمر والنجوم بتغيراتها من حمرة وصفرة وكسوف وخسوف، والجبال بارتفاعها وانهدادها، والجدران بتفطرها وانهدامها، والنبات بتغيره واصفراره ويبسه، والآفاق بتكدرها واغبرارها وحمرتها وصفرتها، آه ثم آه ما أدري ما أقول وتبكيه التجارة بخسارتها وكسادها، والعيون بتكدرها، والمعادن بفسادها، والأسعار بغلائها، والأشجار بموتها وبقلة ثمرها وبسقوط ورقها ويبس أغصانها واصفرار ورقها، أما سمعت بكاء الأواني حين تنكسر من الصيني والخزف، ومن المعادن تبكيه بانكسارها وبصوتها حين الكسر، أما سمعت هدير الأطيار في الأوكار وهفيف الأشجار وأمواج البحار وبكاء الأطفال

الصغار ، أما سمعت بكاء الأسفار بعدم أمنية القفار ، أمـا سمعـت الليل يبكيه بظلمته والنهار بالإسفار ، أما رأيت تفتت الأحجـار وغور الآبار وقلة الأمطار وغلاء الأسعار وفساد الأفكار واختلاف الأنظار وقصر الأعمار ، آه ثم آه ثم آه أجمل لك الأمر كما أجملـه العزيز الجبار في كتابه قال في هذا الشأن مصرحا بالبيان لمن كـان لقلبـه عينـان ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1] فقال في بيان أن المراد بهذه الآية مـا ذكرنـا في الزيـارة الجامعة الصغيرة المذكورة في آخر المصبـاح للشيـخ رحمـه الله قـال عليه السلام ((يسبح الله بأسمائـه جميـع خلقـه))[2] يعـني أن كـل شيء يسبح الله بالبكاء على سيد الشهداء عليـه أفضـل الصـلاة والسلام والثناء ويذكر مصابه الجليل وينشر فضائلـه وممادحـه في مصائبه ، وقد قلت في هذا المعنى قصيدة رثيته عليه السلام بها :

أمـا ثنـاؤك في بلائـك فـهو لا يحصيـه كـاتب
وأرى جميع الخلق كــلا بـالذي أوفـى مخـاطب
يبدو ينعيك حين يبدو وهو حـال غـير كـاذب
فلذلك قيل لك المحامد والممـادح في المصـائب

---

[1] الإسراء ٤٤

[2] مصباح المتهجد ٢٨٨

والحاصل أن هذا مجمل الجواب والبيان أن كل شيء يبكي عليه إلا حال التفاتــه إلى عداوتــه وبغضــه فإنــه في تلـك الحـال مطرود من رحمة الله التي وسعت كل شيء لأنــه حـين العـداوة لا وجود لأصل عداوته له عليه السلام ، فلأجل ذلك قلنا هو حينئذ في ظلمة موهومة لا تشملها رحمة الله التي وسعت كل شيء .

صلى الله عليك يا أبا عبدالله بعدد ما في علم الله ، اللـهم العن أول ظالم ظلم حق محمـد وآل محمـد وآخـر تـابع لـه علـى ذلك ، اللهم العــن العصابـة الـتي جـاهدت الحسـين وشـايعت وتابعت على قتله ، اللهم العنهم جميعا ، اللهم العـن يزيـد بـن معاوية اللهم العن يزيد بن معاوية اللهم العن يزيد بن معاويــة اللهم العن يزيد بن معاويــة ، فلعنــه أربــع مـرات بعــدد أركـان العرش وأركان الوجود الأولى ، بعدد النور الأحمر وهو الخلق وما يرتبط به ، والثانية بعدد النور الأخضر وهو الممـات ومـا يرتبـط بـه ، والثالثـة بعـدد النـور الأصفـر وهـو الحيــاة ومــا يرتبـط به ، والرابعة بعدد النور الأبيض وهو الرزق وما يرتبط به ، لعنه الله بعدد ما في علـم الله .

وقولكم سجين الصخرة وهو فوق النار جوابه فيما ذكرنا إذ لا فرق بين الأعلى والأسفل وإنما الفرق هو حال الالتفات إلى العداوة كما مر فافهم.

معنى بيت من الشعر له أعلى الله مقامه

قال: وبينوا ما معنى هذا الشعر في قولكم:

أما ترى النخلة في قبة ذات انفطار وانفراج فشا.

أقول: مرادي أن النخلة والشجرة وغيرهما مقتضى الصنع المحكم واستقامة الإيجاد بمقتضى استقامة طبيعة المصنوع أن تكون على هيئة التساوي والاستدارة الصحيحة، لأن الاستدارة الصحيحة أكمل الأشياء لتساوي الخطوط المخرجة من قطبها إلى محيطها، فكانت النخلة لها سعف مستدير على رأسها قبة، وكان مقتضى الصنع المحكم والإيجاد المتقن أن يجريا على حسب قابلية المصنوع والأمر الواقع في كل مصنوع كذلك، وإذا اختلفت طبيعة المصنوع جرى الصنع والإيجاد على حسب اختلافهما، والنخلة أكمل الأشجار وأقربها من الحيوانات ولهذا تستأنس وتستوحش وتخاف وتعشق وغير ذلك من صفات الحيوانات، ولذلك أمر الشارع صلى الله عليه وآله بوضع

جريدتين من النخل مع الميت تؤنسانه ويستأنس بهما ويرتفع بهما عنه عذاب الوحشة ما دامتا خضراوتين لأن رطوبتهما هي النباتية فيأنس بهما ، ولأنها أي النخلة إنما سميت نخلة لأنها من فاضل نخالة طينة أبينا آدم عليه السلام فلذا قال صلى الله عليه وآله ((أكرموا عمتكم النخلة))[1] يعني أنها أخت أبينا لأنها خلقت من فاضل طينته ، فكانت النخلة أكمل الأشجار وأقربها من الحيوانات في الرتبة فيلزم من ذلك استقامة طبيعتها ويلزم من استقامة طبيعتها اعتدال خلقتها ، فيكون السعف المحيط برأسها متساويا بحيث يحصل من تساويه أن يكون عليها قبة صحيحة الاستدارة ، وقد قال بعض الشعراء في وصف النخل وحسن خلقته وحسن طلعه وثمره قال :

كأن النخل الباسقات وقد بدت

لناظرها يوما قباب زبرجد

وقد قلدت في عطفها زينة لها

قناديل ياقوت بأمراس عسجد

فقال قباب زبرجد يعني كأنها قباب زبرجد ، هذا وينبغي أن تكون كذا لأجل استقامة قابليتها لكنها الآن نراها قبة غير

---

[1] طب النبي ٢٦

كاملة الاستدارة بل فيها انفطار أي انشقاق وانفراج أي فرجة فهي غير صحيحة الاستدارة ، والسبب في ذلك الاختلاف الذي جرى عليها وأصابها الذي بسببه عدم الاستقامة وعدم الاستدارة الصحيحة حتى كانت القبة التي على رأسها من سعفها منفطرة منفرجة هو ما وصل إليها من مصائب سبط الرسول وفرخ علي والبتول صلى الله عليهم وآلهم الطيبين .

وقلت بعد هذا البيت :

ما سعفة فيها انتهت أخبرت   إلا لها حزن إمامي شوى

يعني ما فيها سعفة انتهت أي تم نموها أخبرت أي أخبرت بمصاب الحسين عليه السلام ، لأنها قبل أن ينتهي نموها لم تخبرها الملائكة الموكلون بنموها وإلا لانقطع تسبيحهم لله سبحانه لأنهم يسبحون لله تعالى بتنمية هذه السعفة إلى أن يتم نموها ، فإذا تم نموها أخبروها بمصاب الحسين عليه السلام فتنشوي وتيبس لأنها تبكي على الحسين عليه السلام بذبولها ويبسها وتخرج دموعها عليه عليه السلام بالرطوبات التي تتحلل منها ، ولو أن الملائكة الموكلين بها أخبروها قبل تمام نموها بمصاب الحسين عليه السلام يبست ولم تجر فيها المادة فإذا يبست قبل التمام انقطع تسبيحهم لله تعالى لأنه تعالى وكلهم بأن يسبحوه

بتنميتها إلى أن يتم نموها ، فإذا تم نموها بالصعود إلى مراكزهم من الوجود فكانوا في مراكزهم يسبحونه إلى يوم القيامة ، فلذا قلت (ما سعفة فيها) أي في النخلة (انتهت) أي في نموها (أخبرت) أي أخبرتها الملائكة بعد تمام نموها بمصاب الحسين عليه السلام وما جرى عليه يوم كربلاء نفسي له الفداء (إلا وحزن إمامي شوى) أي شواها وأحرقها حتى يبست .

وبيت آخر

قال سلمه الله : وما هذه الياء في كلامكم الشريف في المرثية (والراغبي غرضا) هل هي الياء الحاصلة من إشباع الكسرة أم شيء آخر .

أقول : الراغبي هو الرمح الطويل والياء ياء النسبة منسوب إلى راغب اسم بلد ، والغرض بالغين المعجمة هو الهدف الذي يرمى بالسهام وهو المسمى بالنشان وإنما خففت الياء لضرورة الشعر وهذا ظاهر .

مسالة أخرى

قال سلمه الله ووفقه لرضاه : وبينوا أعلى الله درجاتكم لأي شيء كانت الزوجتان المخلوقتان من مكان واحد وهو

الضلع اليسرى من الزوج كان كل واحد منـهما للآخـر كذلـك والحال المناسب كان بالعكس من الألفة والمحبة .

أقول : عبارتكم مشتبهة علي ما عرفت مرادكم ، فإن أردتم أن الزوجتين المخلوقتين من رجل واحد كيـف تكونـان لرجلـين فالجواب أنهما لم تخلقا من واحد بل كل واحدة من زوجها ، نعـم قد تكونان من زيد مثلا فالتي كانت لـه خاصـة لم تختلـط طينتـها بطينة غيره والتي كانت منه قد أخذهـا عمـرو وطينتـها مـن زيـد فهي قد أصابها لطخ من طينة عمرو فلذا أخذهـا فـإذا كـان يـوم القيامة ورجع كل شيء إلى أصله رجعـت إلى زيـد ، وبيـان هـذا اللطخ أن طينتها من طينة زيد من أنفسه وأصابها لطـخ عـارض من عمرو وذلك علاقة ظاهرة فلما خرجا إلى هذه الدنيا تزوجـها عمرو للعلاقة الظاهرة ، ومعنى ذلك أنه تزوجها لمالها أو لجمالهـا أو لكون أهلها أهل عـزة بـين النـاس ورغبـة في القـرب إليـهم وأمثال ذلك من أنـواع اللطـخ ، فـإذا كـان يـوم القيامـة زالـت العوارض ورجعت إلى أحكام الذاتيات فتكون لزيد ، مـن أجـل هذا السبب قد تزوج المرأة عشرة رجال في الدنيا ويوم القيامة إنما زوجة واحد منهم بل قد يكون من غـيرهم إذا كـانت علاقاتـهم

عارضة ، وإن أردتم معنى غير هذا فلم يحضرني فلو عرفت أن المراد كان غير هذا أجبته والله أعلم بالصواب .

مسالة فقهية

قال أصلح الله أحواله ، وبينوا رحمكم الله أن أمثال هذه المسائل تفضل من الله عز وجل أم لأجل العسر والحرج أم هو ظاهر في الواقع مثل النجاسة الممزوجة بالرماد المطروحة في الطريق المسحوقة وصار كله غبار ، أو مثل بول الأطفال في تراب الحجرة الواقعة فيه الغبار التي وقعت في الهواء المكيفة بذلك وصارت مكتنسة وكانت كناسته طاهرة .

أقول : اعلم أن الله خلق الأشياء طاهرة وما حكم به عليها فهو مطابق للواقع ، والواقع عند الله سبحانه هو ما دل عليه من الواقعي الوجودي أو الواقعي التشريعي ، أما سمعت الله سبحانه يقول في شأن من يقذف المحصنة ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[1] فقوله (فأولئك عند الله هم الكاذبون) أي في الواقعي التشريعي وإن كان صادقا في الواقعي الوجودي ، فالواقعي الوجودي إذا خالف الواقعي التشريعي فتكون الطهارة على الظاهر لأجل عدم إرادة العسر

---

[1] النور ١٣

بالمكلفين ، وأما في نفس الأمر فاعلم أن الله سبحانه إذا حكم عليك بحكم مثلا كما في هذه المسألة فحكم الله إن طابق امتثال أمره الواقع فلا كلام ، وإن خالف الواقع وأنت امتثلت أمره فالذي أفهم وإن كان لا يقول به الناس أو لا يعرفونه أن الله تعالى إذا حكم عليك وأمرك باستعمال هذا الشيء على ظاهر الطهارة ولم يعلمك بشيء خلاف ما أمرك به كما لو استمر الاشتباه فإنه يأمر ملائكة موكلين بذلك بأن ينقلوا عما أمرك به الأجزاء النجسة حتى لا تباشر بأمره إلا ما هو طاهر عنده لأنه عليم بكل شيء وقادر على كل شيء ولا يخفى عليه شيء ، فإن كان يأمرك باستعمال الطاهر على ما تفهم أنت بحسب ما أمرك به فإذا فهمت من أمره شيئا طاهرا وقد أمرك باستعماله وهو لا يأمر إلا باستعمال الطاهر فاستعملته امتثالا لأمره وكان في الواقع فيه نجاسة فإنها يعلمها فيأمر الملائكة ينقلون ما في ذلك من النجاسة لأنه يعلمها ولا يكون عنده ذلك طاهرا حتى تنقل الملائكة النجاسة أو يغيرها ويحيلها بقدرته إلى الطهارة كما يحيل نجاسة العذرة إلى طهارة بإحالتها ترابا لأنه تعالى يقول ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ وكيف يكونون كاذبين وهم صادقون في الواقع ، فإذا كان عالما بهم كانوا عنده صادقين فكيف يكونون

عنـده صـادقين فيحصـل التنـاقض عنـده وهـو علـى كـل شـيء قدير ، وعدم المنع باعتبار حيثيتين لا موجب له فإن رفع التنـاقض أصـلا أولى مـن رفعـه بـالحيثيتين ، والسـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاته .



وفيها مسائل عديدة في شرح بعض الآيات والروايات ومسائل أخرى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أن المكرم المحترم الآخوند المعظم الملا محمد مهدي ابن الملا شفيع الاسترابادي وفقه الله لرضاه قد عرض علي مسائل جليلة أراد جوابها ، واستنظرته ليكون الجواب كاشفا لجميع ما يجول على الناظر فيها من كل حجاب ، فلم يكن له مهلة على الإنظار فكتبت الجواب على غاية الاختصار والاقتصار فإن وقع خلل من عدم استقصاء الجواب فليس مني بل لضيق الوقت والله الموفق للصواب .

في بعض مسائل
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال سلمه الله تعالى : اشتهر بين علمائنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لطف ، واللطف واجب على الله تعالى ، وهذا خفي علي ما أدري ما مرادهم ، إن أرادوا بالوجوب ما يذم تاركه أو يعاقب أو يستحق العقاب فمعاذ الله أي عقل يجترئ على مذمة الله فضلا عن العقاب والعقول متحيرة عند رب الأرباب ، وإن أرادوا به الوجوب العقلي يعني ممتنع الانفكاك عن الذات فهو جيد على زعم السيد ، ولكن ما وجدت ذلك المعنى منهم .

أقول : المراد بالوجوب على الله سبحانه في كل ما ينسب إليه الثبوت في الحكمة وهو سبحانه من مقتضى رحمته وعدله لا يترك اللطف ولو شاء لتركه قال تعالى ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾[1] تعالى الله في رحمته وفضله أن يذهب بما أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله مع أنه قادر عليه ، ولو فعله لم يكن منافيا للأزل وإنما ينافي الرحمة التي يحتاج إليها العباد الضعفاء ، وأما المعنى الاصطلاحي

[1] الإسراء ٨٦

فلا تصح إرادته هنا ، وأما المعنى العقلي الذي أشرتم إليه فباطل لأنه يلزم منه التشبيه لأن كل شيء يلزمه غيره فهو حادث وهذا المعنى أيضا باطل .

في التوفيق بين حديثي نية المؤمن خير من عمله وأفضل الأعمال أحمزها

قال سلمه الله : قد اشتهر الخبر من النبي صلى الله عليه وآله ((نية المؤمن خير من عمله ، ونية الكافر شر من عمله))[1] و ((أفضل الأعمال أحمزها))[2] ، والتنافي بينهما غني عن البيان على أنه ورد لا مؤاخذة على النيات ، وبقصد الخير يكتب له خير وبقصد الشر لا يكتب ، فكيف تكون نية الكافر شرا من عمله ، وأيضا ورد أفضل الأعمال الصلاة وهي الجهاد الأكبر المستصغر ، وحج البيت الحج الأكبر جهاد أصغر ، والصلاة ليست أشق من الحج ومن الجهاد .

أقول : إطالة البحث ليس لي فيها وقت فلا أقدر عليه إلا أن الجواب على جهة الاختصار فأقول : إن قوله صلى الله عليه وآله ((نية المؤمن خير من عمله)) فيه وجوه أحسنها وجهان أحدهما أن العمل لا يقدر عليه في كل شيء ، وأما المؤمن فنيته

---

[1] جعفريات ١٦٩

[2] مفتاح الفلاح ٤٥

أنه لو بقى أبد الدهر أنه يطيع الله ، ونية الكافر أنه أبدا يعصي الله ، فخلد المؤمن في الجنة بنيته لأن عمله لا يسع البقاء الدائم بلا انقطاع وكذلك الكافر .

وثانيهما أن النية روح العمل وهي أعظمه ، والروح أفضل من الجسد .

وأما ((أفضل الأعمال أحمزها)) أي أشقها فحق ، والنية الصحيحة أشق من ألف عمل ، بل لا تكاد تقع إلا من الأقلين .

وأما أنه لا مؤاخذة على النيات ، أي نيات الأعمال لا نيات الاعتقادات فإنها هي نفس الاعتقادات وهي الأعمال القلبية ، وفيها مؤاخذة إن كانت فاسدة .

الحسنة بعشر أمثالها

وأما نيات الأعمال فإن نوى الصلاة كتبت له لأن الإنسان خلق من عشر قبضات ، قبضة من المحدد وهي قلبه ، ومن المكوكب هي نفسه ، ومن فلك زحل هي عقله ، ومن فلك المشتري هي علمه ، ومن فلك المريخ هي وهمه ، ومن فلك الشمس هي وجوده الثاني ، ومن فلك الزهرة هي خياله ، ومن فلك عطارد هي فكره ، ومن فلك القمر هي حياته ، و من الأرض هي جسده ، فهذه عشر قبضات كلها من الوجود فإن

نوى الطاعة كانت حسنة واحدة في قلبه ، فإن عمل الطاعة مرت على العشرة فانتقشت في كل واحدة صورة حسنة واحدة في قلبه ، فإن زيد عمل الطاعة مرت على العشرة فانتقشت في كل واحدة صورة حسنة لها فكتبت عشرا ، و أما المعصية فليست العشرة مخلوقة لها ، فإذا نوى المعصية لم تكتب لأنها غريبة من العشرة فإذا عملها مرت على نفسه ووهمه ووجوده الثاني وخياله وفكره وحياته وجسده فينتظر سبع ساعات فإن تاب انمحت لأنها أجنبية لا تثبت إلا بالتكرار ، و إن لم يتب استقرت في الجسد لأنها مناسبة له فتكتب واحدة فافهم .

الصلاة الجهاد الأكبر

و أما أن الصلاة فهي الجهاد الأكبر لأنها عمود الدين و هي أشق من الجهاد و الحج لأنك لو كلفت أن تصليها تامة مقبولة بأن لا تغفل عنها لعلمت أن كل شيء هي أشق منه و لكن سهل الأمر فيها الرجاء في رحمة الله .

قال سلمه الله : قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1]

إلى قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ

[1] البقرة ٢٧٥

ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[1] يختلج بالبال عكس ذلك التشبيه لأن حلية البيع عند الفريقين دال بأنه كان حلالا عندهم وبشهرة بالبيع في الحلية والظاهر أن يقول إنما الربا مثل البيع في الحلية وعدم الحرج والمؤاخذة .

أقول : ليس المراد هكذا وإنما مرادهم تشبيه البيع بالربا لأن الربا عندهم حلالا فقال لهم إنه حرام والحلال إنما هو البيع ، فقالوا لا نجد فرقا فلا يكون البيع أحسن من الربا إنما هو مثل الربا فلا زيادة حسن فيه وإنما هو مثل الربا ، ومقتضى هذا تقديم البيع لأنه هو المشبه عندهم لا العكس .

في شأن النبي أيوب عليه السلام

قال سلمه الله : قد اشتهر أن أيوب عليه السلام كان صابرا على البلايا والمحن ، وقد قال الله تعالى في قصته ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾[2] والصبر على ما وجدت في كتاب الله عدم الجزع على المصائب مع أنه عليه السلام قال ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ

---

[1] البقرة ٢٧٥

[2] ص ٤٤

ٱلضُّرُّ ﴾[1] وذلك يدل على الشكاية ، فكيف يكون مع ذلك صابرا شاكرا صامتا .

أقول : اعلم أن أيوب على نبينا وآله وعليه السلام كان صابرا كما قال الله تعالى ولم يجزع ولم يشك بليته حتى أتى إبليس إلى بعض أمته الذين آمنوا به وصدقوه وقال لهم ما معناه إن الله سبحانه عدل لا يجور ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وكان أيوب مرائيا في جميع أحواله فابتلاه الله بهذه البلايا لسوء سريرته لأن الله تعالى لا يظلم العباد ، فدخل عليهم الشك في نبوته حتى شافهوه وقالوا له ذلك مواجهة ، فلما رأى أن أمرهم آل إلى فساد اعتقادهم ودينهم حرم عليه الصبر على البلاء لئلا يرتدوا عن دين الله بالطعن في نبوة نبي الله فوجب عليه أن يسأل الله ليرفع عنه البلاء حفظا لدين الله وليس فعله شكاية ومعاذ الله أن يكون منه ذلك .

الدليل على حدوث العالم

قال : سلمه الله : ما الدليل على حدوث العالم مطلقا مع عزل النظر عن الإجماع والحديث المشهور ، والحال أن المقروع عند الأسماع أن الإرادة علة الإيجاد وهي عين الذات وتخلف

---

[1] الأنبياء ٨٣

المعلول عن العلة التامة وهو المفروض غير معقول عند أرباب العقول .

أقول : الإرادة علة للإيجاد علة فاعلية ، والشيء لا يوجد إلا بأربع علل إذا فقدت واحدة لم يوجد وبقي في حيز الإمكان شيئا ممكنا لا مكونا ، العلة الفاعلية وهي المشيئة والإرادة ، والعلة المادية وهي إما نورية جبروتية أو جوهرية ملكوتية أو جسمانية عنصرية ، والعلة الصورية وهي كذلك معنوية جبروتية ونفسانية ملكوتية ومثالية برزخية ، والرابعة الغائية ، فالأشياء إنما تأخرت لعدم حصول عللها ، وأما المشيئة والإرادة فهي علة تامة في الفاعلية إذا وجدت المادة والصورة تعلقت بالشيء كالشمس نورها فيها وهي مشرقة ولو لم توجد الأرض بكثافتها لم يظهر نورها فإذا وجدت كثافة الأرض ظهر النور ، و كمثل صورتك في المرآة أنت لم تفقدها و لكنها لا تظهر حتى توجد المرآة و تقابلها .

وأما قولكم فهي عين الذات فنقول : إذا كانت الإرادة هي عين الذات تعالى كان الذات الذي هو الله هو الإرادة ، فإذا كان تعالى هو الإرادة فمن الذي يكون تعالى إرادة له و من المريد و أنت تقول أن الإرادة تتعلق بالمراد ؟ فذات الله إذا كانت هي

الإرادة تتعلق بالمراد و أنت المراد فذات الله تتعلق بك عند إيجادك تعالى عن ذلك علوا كبيرا أن الإرادة هي الإبـــداع و هـــي محدثـة وقد قال الرضا عليه السلام في توحيد الصدوق قال عليه السلام ((المشيئة و الإرادة من صفات الأفعال فمن زعـــم أن الله لم يـزل مريدا شائيا فليس بموحد))[1] فقد كان الله وحـده و لا شـيء معـه وهو كنز مخفي فلما أراد وأحب أن يعرف خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة و الإرادة مثالهما و لله المثل الأعلـى ، كحركـة يدك أنت ولا تحرك يدك للكتابة فإذا بدا لك أن تكتـب أحدثـت حركة يدك بنفسها ثم أحدثت الكتابة بحركـة يـدك و هـذا مثـال ذلك و دليلـه فـإن الله يقـول ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] فآية الله في نفســك فيمـا نحن فيه حركة يدك و كتابتك فافهم .

في معنى لا إكراه في الدين

قال سلمه الله : معنى قوله تعالى ﴿ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[3] مـع أن النبي صلى الله عليه و آله جاهد الكفار و المنافقين ؟.

---

[1] التوحيد ٣٣٨

[2] فصلت ٥٣

[3] البقرة ٢٥٦

أقول : معنى ذلك في الكلام الذي بعده وهو ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[1] والمراد أن الله لا يكرهكم على ما تعلمون الحق في خلافه بل قد بين لكم الرشد حتى لا يخفى على من له أدنى عقل ، فإن لم يعقل المكلف بالرشد لم يكلفه الله تعالى لأنه قادر على أن يبين له ذلك في نفسه ، وقد أخبر أنه تعالى لا يعذب أحدا ولا يضله قبل البيان قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[2] وقال ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾[3] وقال ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[4] يعني يبين لهم ذلك الرسول ، وقال صلى الله عليه وآله ((الناس في سعة ما لم يعلموا))[5] ، وقال عليه السلام ((ليس للعباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله)) وأمثال ذلك ، فليس لقائل أن يقول أن أكثرهم ما

---

[1] البقرة ٢٥٦

[2] التوبة ١١٥

[3] النساء ١١٥

[4] الإسراء ١٥

[5] مستدرك الوسائل ١٨ / ٢٠

عرفوا الرشد من الغي والحق من الباطل لأن الله تعالى أخبرنا بأنه لا يضلهم ولا يكلفهم بالعلم إلا بعد البيان وهو أعلم بما خلق ، فلو قال قائل هذا مخالف للوجدان فقل له هل قال الله بما قلنا عنه بأنه لا يعذب إلا بعد البيان وكذا قال رسوله صلى الله عليه وآله ، فإن قال لك ما قال فقد كذب الله وهو منهم ، وإن قال أن الله تعالى قال ذلك لزمه أن الله تعالى ما عذبهم إلا بعد البيان ، فإذا ثبت أنهم عرفوا الحق وتركوه عنادا لم يكن في الدين إكراه وإنما كان عدل الله سبحانه وهو لا يسأل عما يفعل لأنه حكيم عليم ، وأخبر أن الفتنة أكبر من القتل وهي الكفر فإذا أخبر العبد وبين له في نفسه ولم يقبل وجب قتله وليس من الإكراه في الدين ، مثاله لو أضطر المريض إلى الكي بالنار بحكم الحكيم الماهر فصيره على النار والتألم بها ليس بإكراه بل هو مطلوب بالعرض لأجل طلب الشفاء بالذات ، فقتل الكافر هو من باب تحمل الضر لدفع الأضر فافهم سر المسألة .

وأما قول بعضهم بأن قوله ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ منسوخ فهو أمر ظاهر والسر ما ذكرت لك وله معنى حقيقي أيضا وهو أن الدين لا يقبله الله إلا على جهة الاختيار لا على الإكراه فمن آمن مكرها ليس مؤمنا بل المؤمن من آمن

مختارا ، أو يكون المعنى أن الدين لا يدخل فيه الإكراه وما وجه الإكراه والحال أن الرشد قد تبين من الغي يعني لا عذر لمن يؤمن مكرها لأنه بعد أن يتبين له ما فيه صلاحه على أكمل بيان فما وجه الإكراه بل يجب قتله دفعا للأضر ولو يضر أخف من الأضر وهذا مقتضى الحكمة .

في سر قوله تعالى
وإذا مرضت فهو يشفين

قال سلمه الله : ما السر في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾[1] حيث أضاف المرض إلى العبد والإماتة إلى الرب تعالى .

أقول : إنما أضاف المرض إليه لأنه هو السبب فيه كما هو محقق في الحكمة الطبيعية ، وذلك لأن الأمراض تكون من اختلاف المآكل والمشارب في القلة والكثرة وفي أوقاتها من التقدم والتأخر وبعد ما بين الأكلين والأشربين والقرب وحرارة الطعام وبرودته ورطوبته ويبوسته ، فإن الإنسان خلق فيه النار وهو المرة الصفراء ، والهواء وهي الكبد ، والماء وهو الرئة ، والأرض وهي

[1] الشعراء ٨٠ - ٨١

الطحال ، فما دامت متقاومة متعادلة فهو صحيح ، وإذا زادت واحدة على ضدها أو خلافها حدث المرض ، وقد تزيد المرة الصفراء مثلا وهي حارة يابسة فيأتي الطبيب فيعالج بالبارد الرطب فإن تعادلتا برئ المريض ، وقد يحتاج إلى البارد في الأولى والرطب في الثانية فيعطيه البارد في الأولى والرطب في الثانية فتهيج عليه من الرئة البلغم أو بالعكس فتهيج عليه السوداء من الطحال وهكذا ، فلما كانت الأمراض أغلبها من فعل الإنسان كالمطعم والمشرب وكالحرارة العارضة من القعود والمشي في الشمس أو شم بعض العقاقير أو معالجة بعض الأعمال فيحدث المرض ، والحاصل أن الغالب منها مما ينسب إلى الإنسان ولذا قال ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ ، وثانيا أنها صفة غير محبوبة فلم يجب أن ينسبها إلى الله تعالى .

وأما الموت فلا مناص عنه فليس من العبد بخلاف المرض فيجوز أنه لا يمرض كما تشير إليه الأحاديث أن الدواء الفلاني إذا استعملته كان كاشفا من كل داء إلا السام وهو الموت .

وأما نسبة الشفاء إلى الله مع أنه في الظاهر مستندا إلى الأدوية فلأن الأدوية وإن كانت سببا للشفاء وضعيا إلا أنه تعالى هو الفاعل لذلك وحده ، وإن كان الإنسان هو واضع الدواء

لكن الدواء ليس هو الشفاء ، بل قد يكون سببا وضعيا قبوليا له ، قياس ما لو حرثت الأرض ونقيتها ورميت البذر وسقيته وحميته من الطيور أن تأكله حتى نبت قد يقال أنك زرعت هذا على المجاز لأنك لم تزرع ولكن رميت البذر وأجريت الماء وأما أنك فلقت الحب وأنبته فلا قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] سبحانه هو الزارع ، ولذا أضاف الإماتة والإحياء إليه كما أضاف إليه الشفاء ، بل هو أولى بالإحياء والإماتة من الشفاء في الظاهر لأن الشفاء له سبب من الدواء ولكن في الحقيقة كما قال تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[2] وصلى الله على محمد وآله الأطهار ، فإني إنما اختصرت واختصرت حيث أتى لأن خاطري ليس مجتمعا وبدني خصوصا حال الخط ليس معتدلا وفكري منقسم مع ما أنا فيه من الشغل ، ولكن لما تعلق جنابك في الجواب بالحاضر قلت لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .

---

[1] الواقعة ٦٣ – ٦٤

[2] الرعد ١٦



الرسالة الثامنة

في بيان تفسير بعض الآيات القرآنية والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وبعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه أرسل إلي الشيخ عبدعلي بن عبدالجبار القطيفي بمسائل يريد جوابها فنقلت كلامه متنا وجعلت الجواب شرحا .

في معنى ما ورد في الحديث في تفسير : مثل الذين ينفقون أموالهم

قال : وهنا بعض الأحاديث بينوا لنا معناها تأويلا وباطنا ، عن المفضل في تفسير قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((الحبة فاطمة والسبع السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم ، قلت : الحسن ، قال : الحسن إمام من الله مفترض الطاعة ولكن ليس من السنابل السبعة ، أولهم الحسين وآخرهم القائم عليه السلام ، قلت فقوله تعالى (في كل سنبلة مائة حبة) قال عليه السلام : يولد للرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه وليس ذاك إلا هؤلاء السبعة))[2] .

أقول : اعلم أن الحب مأخوذ من الحب بضم الحاء وهو في لغة أهل البيت وشيعتهم حقيقة فيه وفي تفسير القمي ((الحب ما أحبه والنوى ما نأى عن الحق ، وقال أيضا في قوله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[3] قال : أن يفلق العلم من الأئمة والنوى ما بعد عنه))[4] ، وروي عن الصادق عليه السلام ما معناه في قوله تعالى ((فالق الحب والنوى)) الحب هو المحب لنا وهم شيعتنا .. إلخ ، فالجنة فاطمة لأن الحب المحب والمحبوب ، فالجنة

---

[1] البقرة ٢٦١

[2] تفسير العياشي ١ /١٤٧

[3] الأنعام ٩٥

[4] تفسير القمي ١ / ٢١١

فاطمة لأن الله فطمها وفطم محبها من النار فهي حبيبة الله وحبيبة حبيب الله ولا ريب أن الحبة تنبت السنابل ، والسنابل يجوز أن تكون في سنبل ثوبه أي جره من خلفه وأمامه فاستعمل لمن أعقب من نسله من خلفه وأمامه أي من مات قبله أو بقي بعده ، وأن تكون من المعروف لاشتماله على الحب أي المحب ، فلما كان الملحوظ هو الوجهين معا لم يسم الحسن عليه السلام سنبلة لأنه عليه السلام لم يكن له من عقبه في الرجعة مائة من البالغين في المحبة والولاية حتى ينالوا ست مراتب الإيمان وهذا من الإخبار بالغيب ، وما ورد من أن يكون للرجل في آخر الرجعات ألف ذكر فلا ينافي ذلك ، لأن المائة المشار إليها هم البالغون ، وقوله عليه السلام أولهم الحسين عليه السلام يعني أول السنابل الحسين والثانية علي بن الحسين عليهما السلام ، والثالثة محمد بن علي عليهما السلام ، والرابعة جعفر بن محمد عليهما السلام ، والخامسة موسى بن جعفر عليهما السلام ، وأما علي بن موسى وعلي الهادي فقد دخلا في حكم علي بن الحسين عليه السلام لأن ذلك الحكم ظاهر وهو منوط بالصفة الظاهرة والاسم هو تلك الصفة الظاهرة وكذلك محمد الجواد عليه السلام دخل في حكم محمد الباقر عليه السلام لأنه

لا يشمل ظاهره على كل حال بل اسم أحمد أيضا ، وعلى معنى أن الحب هو العلم يكون المراد بالسنبل هو الدين يكون منهم العلماء وهو هنا على إسلوب ما مر فافهم .

معانقة الماء للإمام عليه السلام

قال : وحديث المجالس أن الصادق عليه السلام مر ببعض أصحابه على الشط فخرجت موجة وعانقت الإمام عليه السلام فلم يبتل ، فانزعج الرجل فقال الإمام عليه السلام له هذا ملك الماء خرج وعانقني[1] .

أقول : اعلم أن الملائكة عند أهل المشاهدة كل جنس منهم من جنس ما وكل به ، وبذلك الملك قوام تلك الجهة التي وكل بها ، والموكل بذلك الشيء الذي له صفات وكل ملائكة موكل بتلك الملائكة يردون ويصدرون عن أمره وهم منه كالنور

---

[1] مصدر هذا الحديث الذي هو كتاب المجالس من المصادر التي لم نعثر عليها ولكن وجدنا حديثا مماثلا لهذا الحديث في شأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب بشارة المصطفى صفحة ١٩٢ هذا هو ، حدثني الإمام علي بن محمد قال : حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن موسى ، قال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد للباقر عليه السلام عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال ((كنت أماشي أمير المؤمنين عليه السلام على الفرات إذ خرجت موجة عظيمة فغطته حتى انستر عني ، ثم انحسرت عنه ولا رطوبة عليه – فوجمت لذلك وتعجبت وسألته عنه ، فقال : ورأيت ذلك ، قال : قلت نعم ، قال : إنما الملك الموكل بالماء خرج فسلم علي واعتنقني)) .

من المنير فملائكة المعقولات عقول والموكل بها عقل الكل ، وملائكة الصور صور والموكل بها نفس الكل يعني اللوح المحفوظ وهو ملك كما في قول الصادق لسفيان الثوري ، وملائكة الطبائع طبائع والموكل بها ملك من الطبيعة أعوانه في ذلك جبرائيل عليه السلام ، وملائكة المواد مواد والموكل بها ملك المادة على نحو ما ذكر ، وملائكة الأشكال أشكال والموكل بها ملك شكل الكل ، وملائكة الأجسام أجسام والملك الموكل بها ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في أسفل التخوم ، وملائكة الأعراض كذلك من جنسها ، وما ورد تصريحا وتلويحا بلختلاف المراد في العبارات عن الستة الأيام التي خلق فيها الأرضون والسموات وما فيهن وما بينهن ، فإذا رأيت العبارات والروايات مختلفة فضع كل شيء في مكانه .

قالوا إن الملائكة خلقت من أشعة الوجود فو أتيت إلى موجود متشخص وحللت منه تلك الأشعة اضمحل ، مثلا الصخرة إذا طرحت منها الثقل الذي يهبط بها بأمر الله إلى السفل لم يهبط ، وإذا طرحت منها الصلابة التي تصدم بها كما شاء الله لم تصدم ، وإذا طرحت منها العرض الذي جعلها بإذن الله مرئية لم تر وهكذا ، فوكل الله بها ملكا يهبط بها وملكا

يجعلها تصدم وملكا يجعلـها تـرى ، وتلـك أشـعة وجودهـا فـإذا
زالت هذه الثلاثة ولحقت بمراكزها اضمحلت من تلك الجـهات
وهكذا ، حتى تفنى ففي الماء الملك الموكل بالمادة والموكل بالصورة
النوعيـة والموكـل بالبلـة والموكـل بالميعـان والموكـل بـالثقل
وهكذا ، فلو عانق الإمام عليه السلام ألا تـراه يتوضـأ ويغتسـل
فافهم ما ألقي عليك مما لا يسمح به أحد في الدفاتر ولـو شئت
أبنت المراد على ما تتصوره العوام أن مـن الملائكـة كلـها ذوات
إحساس وشعور لأنهم حيوانات لأظهرت ذلك ولكنه يحتـاج إلى
تطويل الكلام بوضـع مقدمـات وإيـراد روايـات وإقامـة دلالات
وذلك يخرج عن المقام لأن هذا المعنى الذي يقولونه العـوام هـو
الحق في هذا المقام لأنهم حفظوا عبارات عن أهل الحـق طـابقت
ما فطروا عليه فوعوا ظاهرها الذي هو أثـر باطنـها كمـا عرفـوا
الأرواح بالجملة ولم يعرفـوا حقيقتـها ولـو وصفـت لهـم بعبـارة
البحث لم يفهموها أبدا ، والأرواح بهذا المعنى حرفا بحرف ونحن
إنما قلنا ذلك جريا على البحث بطريقة أهل الظـاهر ليقـرب إلى
فهم من لم يعاين ومن عاين يعلم أنا إنما جعلنا ذلك لذلك لا أنا
كما يظن من لم يعاين نقول بأن الملائكة قوىً لا غـير نعـم قـوىً
حساسة دراكة لما هي له تستفيد جميع الحيوانات منـها الإحسـاس

والشعور والأحوال كلها فافهم ، ومرادنا من هذا الكلام هو معنى ما تفهمه العوام والسلام على من أنصف من نفسه ولم ينكر ما لم يعلم فيقرأ كتاب الله ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [1] فافهم .

في معنى حديث سميت الزهراء زهراء

قال : وحديث في العلل عن أبان بن تغلب قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام لم سميت الزهراء عليها السلام زهراء قال ((لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور ، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة عليها السلام ، فإذا انتصف النهار وترتبت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا

[1] يونس ٣٩

فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها ، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمر وجه فاطمة عليها السلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحا وشكرا لله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور وجه فاطمة عليها السلام فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام))[1] .

أقول : قوله عليه السلام ((لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام)) إشارة إلى أن الأنوار العرشية النور الأبيض الذي منه البياض ومنه ضوء النهار وهو النور العقلي المحمدي ، والنور الأصفر الذي اصفرت منه الصفرة وهو النور الروحي البراقي ، والنور الأحمر الذي احمرت منه الحمرة وهو النور الطبيعي لجبرائيل عليه السلام ظهرت فيها لعلي عليه

[1] علل الشرائع ١٨٠ / ١٨١

السلام لأن تلك مصادر التكميل والأرزاق والحياة وهي منوطة بالولي المطلق فهي تزهر لعلي عليه السلام، ولما كانت الزهراء عليها السلام وعاء لأولي الأمر بعد علي عليه السلام التي بهم تناط تلك الأنوار الثلاثة لتلك الجهات الثلاث في العالم ظهرت فيها فلما ولد الحسين عليه السلام وانقسمت ولم يبق فيها من تلك الأنوار إلا ما كان لها وكان بعض تلك في الحسين عليه السلام غيب البيه وشهادة مما ظهر فيه خفيت تلك الآثار لما انقسمت وتجسدت وكانت ذائبة فجمدت ومتفرقة فاجتمعت وكانت خفية بظهور أشعتها فانجلت فخفيت خفاء النور في المنير فافهم.

ولما كانت الشمس ينبوع آثار تلك الجهات لأنها تكسي كل يوم كسوة من مجتمع تلك الأنوار كما هو معروف عند أهله كانت تظهر على ترتيب مراتب ذلك الوجود الشامل عند صلاة الغداة بنور أبيض وهو الفجر فينطبع منعكس ذلك الفرع في باب مرآة ذلك الأصل الذي عندها عليها السلام وهو وجهها بمعونة ما ظهر فيه من آثار اليقين عند استقبال الصحو المعبر عنه بالنهار فيدخل بياض النور إلى حجراتهم نور الأصل والفرع والباطن والظاهر وإذا زالت الشمس وزوالها في الحلقة الغربية

قال النبي صلى الله عليه وآله ((إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شيء دون العرش بحمد ربي عز وجل وهي الساعة التي يصلي علي فيها ربي جل جلاله))[1] ، والمراد بالحلقة دائرة نصف النهار فإنها تنصف العالم من القطب الأعلى إلى القطب الأسفل فتكون دائرتين غربية وشرقية فخروجها من الشرقية دخولها في الغربية وهو معلوم ، فإذا بلغت حد مبدأ وجودها من الحلقة الشرقية ركدت ساجدة بين يدي الله تحت العرش فإذا أذن لها بالزوال قلبها ملك النور ظهر البطن فخشع لعظمة الله كل شيء ونادت الملائكة بالتسبيح والتحميد والتهليل وهي صلوات الله عليها مترتبة للصلاة فيلحقها إذ ذاك من معانات تلك المعاينات وخوف جبار السموات صفرة الوجه فينطبع ما انعكس من شعاع الشمس بالمدد البراقي على ترتيب الوجود في باب مرآة ذلك الأصل الذي عندها وهو وجهها بمعونة ما ظهر من آثار الفناء في ذلك البقاء عند تجلي الحي القيوم فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم من نور الأصل والفرع والفرق والجمع .

---

[1] علل الشرائع ٣٣٧

فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس وهي عليها السلام جالسة متهيئة للصلاة انطبع منعكس ذلك الفرع الذي جرى على ترتيب الوجود حينئذ في باب مرآة ذلك الأصل الذي عندها كما مر وهو وجهها بمعونة ما ظهر فيه من آثار العزيمة على القيام بخدمة الملك العلام من باعث نار الشوق الطبيعي فتدخل حمرة وجهها حجرات القوم فتحمر حيطانهم .

فلما ولد الحسين عليه السلام خفي الأثر وظهرت العين وقد يظهر الأثر كما وقع أحيانا أو دائما بنحو آخر والحمد لله رب العالمين .

ما يصنع الرجل بجنة عرضها السموات والأرض

قال : وإذا كان كل رجل له جنة عرضها السموات والأرض فما يصنع رجل بجنة هذه عرضها .. إلخ .

أقول : اعلم أن الجنة على ما يظهر أرضها محدب الكرسي وسقفها عرش الرحمن ، والكرسي الذي فلك الثوابت هو فيه على قسمين قسم منها مغموس في ثخنه ثبت مركب كتركيب الفص في الخاتم ، وقسم منها معلق بسلاسل كالقناديل ، وهي في المقدار على ستة أقسام تقريبا كما قيل ، فأعظمها يماس سطح

كرية محدب الفلك الأعظم ومقعره ، وما سوى الأعظم مما يماس المحدب والمقعر فهو المعلق بالسلاسل فافهم ، وأصغر من النجوم المعروفة المدركة السها وقد ذكروا أنه بقدر الأرض خمس عشرة مرَة فانظر نسبته إلى محدب الفلك الأعظم ، فكيف لا يكون للرجل جنة عرضها السموات والأرض .

وأما قولكم فما يصنع فاعلم أن الأجسام غدا بعد ذهاب أعراضها وكثافاتها تكون بحكم الأرواح ولا يحجبها شيء فالمكان القريب والبعيد عندها على حد سواء ، انظر إلى ما في خيالك فإن فيها القطيف والبحرين والإحساء والعجم والعراق وغيرها ، والدنيا والآخرة مع ما عندك وأنت تطلب الزيادة وأنا كذلك عندي مثل ذلك وأطلب الزيادة وكذلك جميع الخلق ولا تزاحم بيننا ولا استكبار عندنا بل كل منا مستقل ما عنده فما تصنع بما عندك من هذه الأمور الكثيرة حتى كنت تطلب الزيادة أبدا ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولَلآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا بل الأمر أعظم ، ألا تسمع إلى ما روي ما معناه أن المؤمن إذا أدى زكاته كانت له كأسبق جواد في الدنيا فيقال له اركب واركض في الجنة سنة فما بلغ جوادك فهو لك وإنه ليقطع في طرفة العين بقدر الدنيا سبع مرات فتفطن إلى

هذا ومثله فإنه أعظم من ذلك ، وكل هذا لا يكــون موضــع منــه أقرب من موضع عند جسد المؤمن لأنه بحكم الروح في الإحاطــة والإدراكات وروحه بحكم الجسد في إدراك المشاهدات الحسية ، أما سمعت أن الدنيا خطوة مؤمن وكم جرى لأهــل العصمــة عليــهم السلام من هذا الباب مما لا يحصيه هذا الخطاب ، ونظيره في عــالم الحس الإكسير فإنه مثل لذلك وهو الكبريت الأحمــر وهــو عنــد أهله معلوم والحمد لله .

في معنى الحديث الناهي عن مخالطة الأكراد

قال : وفي العلل أيضا نهي من مخالطة الأكراد معللا بــأي حي من الجن كشف الله عنهم الغطاء ما تأويله وما باطنه[1] .

أقول : اعلم أن الله لما أراد أن يبدأ بالنسل ما تــرون ، وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم من الأخوات علــى الأخوة أنزل على شيث حوراء بعد العصر في يوم الخميــس مــن الجنة بفتح الجيم اسمها نزلة فــأمر الله آدم أن يزوجــها مــن شــيث

---

[1] ورد في علل الشرائع هذا الحديث الذي يفيد هذا المعنى ، عــن أبــي الربيــع الشــامي قــال ((سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت له : إن عندنــا أقوامــا مــن الأكــراد يجيئونــا بــالبيع ونبايعهم ، فقال : يل ربيع ، لا تخالطهم فإن الأكراد حي من الجــن كشــف الله عنــهم الغطــاء فلا تخالطهم)) .

عليه السلام فزوجها منه ، ثم أنزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنة بكسر الجيم وهي ابنة الجان واسمها منزلة فأمر الله آدم أن يزوجها يافث أخ شيث ولد بعد شيث فزوجها منه ، فولد لشيث غلام وولد ليافث بن آدم جارية فأمر الله آدم حين أدركا أن يزوج ابنة يافث من ابن شيث .

واعلم أن الحوراء التي زوجها من يافث من حور الجن كما في رواية بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال ((وتزوج الآخر إلى الجن))[1] ، وروي عن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال ((وأخرج لعبدالله امرأة من الجن))[2] والمراد به يافث ، وفيها ((وما كان من حسن وجمال فمن ولد الحوراء ، وما كان من قبح بدى فمن ولد الجنية)) وفي رواية العجلي ((فما كان من الناس من جمال أو حسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان))[3] ، ثم إن الله إذا أراد أن يخلق شخصا جمع كل صورة بينه وبين آدم عليه السلام فخلقه على صورة أحدهم ، يعني أنه قد جعل فيه عروقا ، ثلاثمائة وستين عرقا وتتصل تلك العروق بصلب الرجل

---

[1] علل الشرائع ١٠٣

[2] صحيفة الرضا ٩٣

[3] علل الشرائع ١٠٣

وترائب المرأة وتجري في تلك العروق طبائع أسلاف ذلك وتلك المرأة إلى آدم فإن سبقت نطفة الرجل فأي عرق منه تحرك النطفة خرج النسل بشبهه ، وإن سبقت نطفة المرأة فأيما عرق منها تحرك بتلك النطفة خرج النسل بشبهه ، وذلك الشبه هو المشار إليه في الصورة ، ويشتمل شبه الصورة على بعض طبائع المشبه ، وإنما قلنا على بعض ولم نقل على الكل لأن ذلك الشبه لا يكون شاملا من كل وجه بحيث لا يتمايزان لو حضر بل يكون بينهما كمال التمايز قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾[1] .

ثم لما كان بتقدير الله سبحانه خلق الإنسان من أربعة عشر شيئا ستة من الله سبحانه وهي حواسه الخمس والروح ، وأربعة من أبيه وهي المخ والعظم والعصب والعروق ، وأربعة من أمه وهي اللحم والدم والجلد والشعر ، كان الأصل من الأب والفرع من الأم وهذا معروف ، ولما كان الجمال وضده وحسن الخلق وضده والطبائع التي يتصف بضدها فروعها على الحقيقة ونسبت إلى الأم ولذا قال في الروايتين ((فما كان من

---

[1] الروم ٢٢

جمال وحسن خلق فهو من الحوراء ومن كان فيهم من قبح وسوء خلق فمن بنت الجان)) ، ولما كانت الأكراد غلبت عليهم شهوة النساء وسبقت في أصل تخلقهم من يافث ومن ابنة الجان لأنها غير طريقة الإنس فإن قوى لم تأت إلى آدم لغلبة طبيعة الإنس عليها بعكس ابنة الجن فتسبق شهوتها لقربها من الحيوانات بالنسبة إلى الإنس فيغلب طبعها وكذلك عند تخلقهم من يافث بن نوح عليهما السلام وغلب التنزيل بينهم وبين أولاد سام الذين هم العرب الذين تغلب عليهم الإنسانية سبقت شهوة الأم في أبيهم فخرج يشبه أحوال الجن وكشف الغطاء عنهم بما فيهم من الإنسانية ، فالشبه شبه صورة والصورة تهتف بالطبيعة لا أنهم جن خالصون وإلا لحرم مناكحتهم ، وما تقدم في الكلام المأخوذ من رواية زرارة من أن إنزال الحوراء والجنية بعد العصر فهو إشارة إلى أنه مقام الخلافة في شيث وإلى أن ذلك هو الضم الذي يكون منه النسل كما يشيرون إليه أهل العرفان ، فإن الضم هنو العصر والعصر يخرج به آخر من المعصور كما أشار إليه ابن عربي في الفتوحات المكية فافهم .

في معنى أن الله خلق عشرين عالما هذا آخرهم

قال : والحديث الذي قلتم لنا أن الله خلق عشرين عالما أنتم آخرهم في أي كتاب هو وكيف هو ؟

أقول : اعلم أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة وهي مختلفة ، فمنها ما في رواية عبدالله الدهقان عن الرضا عليه السلام أنه قال سمعته يقول ((إن الله خلق هذا النطاق زبرجد خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء ، قال قلت : وما النطاق ، قال : الحجاب والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الإنس والجن وكلهم يلعن فلانا وفلانا))[1] .

وعن عجلان بن صالح قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قبة آدم فقلت : هذه قبة آدم عليه السلام ، قال ((نعم ، ولله قبب كثيرة أما أن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغربا أرضا بيضاء ومملوة خلقا يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين ولا يدرون أخلق الله آدم عليه السلام أم لم يخلقه يبرءون من فلان وفلان ، قيل له : وكيف هذا وكيف يتبرءون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه ،

---

[1] بصائر الدرجات ٤٩٢

فقال للسائل : أتعرف إبليس ، فقال : لا إلا بالخبر ، قال : أمـرت باللعنه والبراءة منه ، قال : نعم ، قال : فكذلك أمر هؤلاء))[1] .

وعن أبي جعفر عليه السلام ((إن وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس أربعون عالما فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ، وإن من وراء قمركم هذا أربعين قمرا بين القمر إلى القمر أربعين يوما فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله عز وجل خلق آدم أم لم يخلقه قد ألهموا كما ألهمت النخلة لعنة الأول والثاني في كل وقت من الأوقات وقد وكل بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عذبوا))[2] .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن لله اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالما غيرهم وإني الحجة عليهم))[3] .

وعن ابن عباس في تفسير قوله ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال ((إن الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبعضه نصف عشر عالم

---

[1] بصائر الدرجات ٤٩٣

[2] بحار الأنوار ٢٧/ ٤٥ ح ٦

[3] الخصال ٦٣٩

كل عالم يزيدون ثلاثين عالما مثل آدم وما ولد آدم ذلك معنى قوله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

واعلم أن روايات هذا المقام مختلفة جدا وهي متفقة المراد، فالتي فيها سبعة أو سبعون ألف عالم أو أكثر كما روي أن الله خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنتم في آخر العوالم وآخر الآدميين لم يخلق شيء منهم من التراب إلا هذا العالم، وفي بعضها أن لله ألف قنديل معلق بالعرش فسمواتكم هذه وأرضكم في قنديل واحد، فالمراد بها فروع جهات الغيب والشهادة، فالسبعة كما ذكرناه مرارا أكمل الأعداد لتركبه من أول فرد وهو الثلاثة وأول زوج وهو الأربعة، فقد يعبر بها لكمال المعدود لا لخصوصية العدد، وقد يراد بها العدد إذا كان في الأصول، وكذلك ذكر الاثنا عشر لكونه في الفروع، وكذلك ذكر الأربعين في مقام مراتب الوجود والمراتب العشرة في الأدوار الأربعة وذكر التسعة والثلاثين هو ذلك الأربعون العالم.

وبالجملة إن هذه العوالم مقامات الوجود في تنزلاته وذكرها في العبارة في كل حديث باعتبار مت تقتضيه الحال، فمرة يلاحظ مراتب الوجود فيقول أربعون، ومرة يلاحظ العوالم

---

[1] الفاتحة ١

الثلاثة الملك والملكوت والجبروت في مقارنات الكلمات الأربع والفصول الأربعة والأركان الأربعة للعرش أو الملائكة الأربعة أو في الخلق والرزق والحياة والموت ، أو مقارنات مع العساكر الثلاثة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام ((إن لله تعالى في كل لحظة ثلاثة عساكر عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض ، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة))[1] ، أو غير ذلك فيقول اثنا عشر عالما ، وقد يلاحظ الأجناس فيقول اثنا عشر عالما ، فافهم الإشارة تجد الصواب ، وبمثل هذا التوجيه ينكشف عنك الريب ، ولا تلتفت إلى قول من يقول أن هذا خرافات وإنما هي على المعنى المعروف بين العوام أو إلى من يردها ويطرح الروايات ويقول ليس إلا هذا العالم واقتد بقول الشاعر :

فإن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلا ما تلونا عليكم ومنا إليكم ما وهبناكم منا

---

[1] شرح النهج ٢٠/٣٦٨

وقولك أين هي هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة توجد في كتب عديلة كبصائر الصفار وبصائر سعد الأشعري وكتاب الحسن بن سليمان الحلي وروضة الكافي وغيرها من الكتب فلتطلب منها .

في معنى نزول جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله

قال : وما نزول جبرئيل على الرسول صلى الله عليه وآله مع أنه لا تراه الناس فيكون النبي يحيل على غائب .. إلخ .

أقول : اعلم هداك الله تعالى أن الفائدة في نزول جبرئيل عليه السلام في مختصر القول شيئان والمانع من رؤيته لكل الناس شيئان .

أما أول الأولين فلما كان مافي الشهادة طبق ما في الغيب والمسببات كالأسباب ، وقد علم أن العقل محيط بالمعاني والصدر بالصور المعلومات الذاتية ، وأن العقل عبارة عن المعاني والصدر عبارة عن الصور ، فقد يلحظ العقل معنى منه أو صورة من تلك الصور بها وتلك اللحظة شعور خاص منه ولحظة من لحائظه بتمييز ذلك المعنى به من بين المعاني وكذلك الصورة فهي تخصيص من عام سواء كان ذلك المعنى في العقل بالفعل أو

بالقوة فيقال في بالي أو في خاطري ويقال لما بالقوة إذا كان حينئذ بالفعل ورد على خاطري وأمثال ذلك ، فلا يمكن لشخص أن يعبر عن معنى من المعاني التي عنده إلا بتخصيص خاص غير ما به هو هو وذلك التخصيص والالتفات وارد منه إليه كانت الفائدة من نزول جبرئيل كالفائدة في نزول ذلك الوارد من العقل عليه إذ الظاهر من الباطن .

والفائدة الثانية ليظهر للخلق أنه عبد مأمور لا يسبق الله بالقول وهو بأمره يعمل .

وأما الأول من المانعين فبأن الملك لا يطيق الناس رؤيته ، أما أولا فلأن الله حكم عليهم أنه إذا نزل الملك قضى عليهم لأنهم لا يدركونه إلا أن يغير حقائقهم ويجعلهم ممن يطيق ذلك فيكونون أنبياء أو يحضرهم الموت فتنصرف نفوسهم عن الدنيا فيقضى عليهم ، لأن من انغمس في رذائل أشراك الدنيا والنفس والشهوات لا يشاهد الملكوت .

وأما ثانيا فلأن الملك إن ظهر بصورته التي خلق عليها لم تحتمل رؤيته عقولهم وزاغت أبصارهم كما قص الله ذلك في كتابه وأنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل في الأفق الأعلى وقد ملأ السماء الرابعة ورآه نزلة أخرى عند سدرة

المنتهى وله ستمائة ألف جناح فلذا قال في مقام الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[1] حتى أنه لم يره على صورته التي خلقه الله عليها من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وآله لأن غيره لم يطق رؤيته فكيف عامة الناس .

وأما الثاني فلأنه لو ظهر للناس فإنما يظهر على صورة بني آدم فإذا كثر تردده وأنسوا به أنكروه أن يكون من الملائكة وقالوا إنما نعلمه بشرا فلا فضل له علينا لأنه إذا جعل رجل لبس عليهم ما يلبسون ، وأما نزوله في صورة دحية الكلبي قليل من كثير بحيث لم يأنسوا به فيمل أو ينكر وإذا نزل بصورة دحية لم يفقد دحية عن موضعه وجبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله على صورته فهذا أولا وثانيا هو الفائدة في نزوله ولم يره الناس إلا في مواضع اقتضاء المصلحة ذلك على صورتهم .

الدليل العقلي على النبي صلى الله عليه وآله

قال : وما الدليل على النبي صلى الله عليه وآله من العقل لا من جهة المعجزة ؟

---

[1] النجم ١٧

أقول : الدليل على ذلك معروف وهـو مذكـور في كتب العلماء والحكماء والروايات وملخص البينة عليـه علـى سبيل الاختصار والاقتصار أن الله لما خلق ابن آدم ابتداء رحمة به وجـده محتاجا فأغناه وسائلا فأعطاه وخلقه كما علمه فطلب الاستعداد منهم لفيضه وتكميله إياهم لينالوا منه ما طلبوا وذلك لا يكـون إلا بطاعته ولا تكـون إلا بما يريـد ولا يعلـم أحـد مـا يريـد إلا بتعليمه ولا يمكن ذلك في حقهم إلا بالواسطة وهم الواسطة ثم بحافظ عن الواسطة ، فالأول النبي صلى الله عليـه وآلـه والثـاني الولي عليه السلام .

ووجه آخر أن الله خلق الإنسان كما علمه وهـو في علمـه أنه يقتضي الكمال ولا يتم إلا بكونه جامعـا مملكـا ، ومـا يكـون كذلك يكون كثير الشئون لا تفي حيلة أحدهم ولا وقتـه بجميع شئونه وهو قولهم أن الله خلـق الإنسـان مدنـي الطبـع لا يحسـن معيشته إذا انفرد وحده ليكون شئون كل تامة بمعونة غيره ويلـزم ذلك الاجتماع معاملة ويلزمها سنة ويلزم ذلك بيان ومعدل لحفظ النظام وذلك هو النبي صلى الله عليه وآله ، ولما كان ذلـك النبي غير مخلد مع كثرة أحكام السنة ووقتها وجب لذلك خليفة يقـوم مقامه بمنزلته ويتصف بصفته وهو الخليفة .

في معنى أن الإمام
يخرج منه مثل عبدالله

قال : وما معنى أن الإمام يخرج منه مثل عبدالله حتى يقول فيه ((ابني عبدالله لا يحب أن يعبد الله)) كيف يداخلهم الشيطان ساعة الجماع حتى يقع منهم شركة شيطان كما نطقت به الرواية في مشاركة الشيطان .

أقول : اعلم أن مادة الوجود بنفسها خالية عن الحكم عليها ولا من حيث هي هي وإنما الأحكام تلحق الصورة ، فالحكم العام يلحق الصورة النوعية والخاص للشخصية ، ألا ترى أن القلم إذا أصاب مدادا فإنما يلحقه حكم ذلك من غير الحكم بالحسن والسيء مثلا ، فإذا كتبت بذلك المداد الذي في القلم اسمي ذاتين مختلفين في الخير والشر ، كان اسم الذات المقدسة حسنا واسم الأخرى سيئا وكذلك حروف الهجاء ، وإلى هذا المعنى أشار الرضا عليه السلام لعمران الصابي في مفاد هذا المعنى قال ((فلم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى ، ولا وجود لها)) إلى أن قال ((والحروف لا تدل على غير نفسها ، قال المأمون : وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟ قال الرضا عليه السلام : لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئا لغير

معنى أبدا ، فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها بغير معنى ولم تكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء))[1] فإن المعنى لم يكن شيئا قبل الحروف كما أشرنا إليه ، فالمادة لا تجري عليها الأحكام من حيث هي وإنما تجري عليها بالصورة ، ألا ترى أن الفقهاء حكموا بأنه إذا نزى حيوان محرم على محلل كان حكم النسل منهما في التحليل والتحريم للاسم الذي هو خاصة الحقيقة وظاهرها وتلك الحقيقة تحققت وتميزت بالصورة ، فيكون عبدالله من نطفة الإمام يجري على أحد وجهين كل منهما مراد ، أحدهما أن تلك النطفة التي هي مادة عبدالله التي اقتضت صورته الذاتية له الشخصية لم تماس شيئا من جسد الإمام عليه السلام وإنما مسه المطعم الطيب وتلك القوى سافلة في الغيب لها بذلك المطعم تعلق الرجوع بين المفترقين والجامع السابق للافتراق هو الوجود وتحقق الضدية بعد الافتراق بمعونة تعفين الرحم نظيرة شجرة العنب التي بال الشيطان في أصلها فهي طيبة للأكل حيث لم يمس أكلها بول الرجس النجس فإذا غلت ظهر فيها رائحة البول بمعونة الحرارة فحرمت ونجست حتى يذهب ثلثاها وهو نصيب الشيطان ، فإن

---

[1] عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٤

قيل : فهل عبدالله كذلك ، قلنا : لو ذهب منه نصيب الشيطان طهر ولكنه ينقلب عن تلك الحقيقة قال الله تعالى ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[1] وأيضا هذه أرض كربلاء قد يدخلها المؤمن بها فيدخل أرضا من أراضي الجنة ، ويدخلها غير المؤمن بها فلا يدخل ما دخل المؤمن ولا يرى ما رأى ويتخذ فيها مواضع الغائط ، ويؤخذ منها التربة للسجود والتسبيح فيجب احترامها فافهم ولهذا أمثلة كثيرة .

وثانيهما أن النطفة التي تكون منها لا يلزم أن تكون بجرمها بل كثيرا ما يحصل بالرائحة وهو تكيف الهواء بتلك النطفة لأن الرائحة من آثار ذي الريح وتلك الرائحة هي الوجود الذي أشرنا إليه سابقا الخالي عن الحكم عليه وله فافهم .

في معنى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في شأن الإمامة

قال : وما معنى قول الصادق عليه السلام في رواية لا تحضرني أني سألت الله أن يجعل هذا الأمر يعني الخلافة في ابني هذا وهو إسماعيل فأبى الله ذلك ولم يجعلها فيه ، فكيف يسأل ذلك وهو يعرف الإمام بعده وأن هذا لا يطيق ذلك ، ويعلم ما

---

[1] التوبة ١١٠

سبق في علم الله وباقي الكلام ظاهر ، وليكن الجواب مسئولا حسب المكنة .

أقول : هذا المعنى مروي في الكافي وغيره .

اعلم أن هذا مما أشاروا عليهم السلام من أن حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، وإنما كانت هذه الطوائف الثلاث تحتمله من تلك الفرق الثلاث لأنهم عليهم السلام يتكلمون بلسانهم ويجري كلامهم على مذاق أولئك الطوائف الثلاث فيفهمون بذكائهم لأنه من ذكاء ساداتهم ، ويعرفون كثيرا من مراداتهم كما أشار إليه الصادق عليه السلام على ما في بصائر الدرجات في تفسير قول أبيه الباقر عليه السلام ((إن حديثنا صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان)) قال عليه السلام في قوله عليه السلام ذكوان ((ذكاء المؤمنين))[1] وأولئك الطوائف الثلاث هم المؤمنون حقا ، إلا أن المؤمن الممتحن على قسمين قسم من أولي الأفئدة وقسم من أرباب القلوب ، فمن كان من أولي الأفئدة فاحتماله لكلامهم عليهم السلام احتمال عزم وثبات لأنه منهم ولهم ومعهم ، ومن كان من أرباب القلوب فقد

---

[1] بصائر الدرجات ٢١ - ٢٢

يحتمل كلامهم من باب العزيمة كأولي الأفئلة وقد يحتمله من باب التسليم ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾[1] ولا يكون حينئذ من أولي العزم بل قد يبقى إذ ذاك عنه كما جرى على أبينا آدم عليـه السـلام في أخذ العهد النوراني عليه مـن جهـة صـاحب الزمـان عجـل الله فرجه في عالم الذر حيث احتمل من باب التسليم ولم يحتمل مـن باب العزم فقـال الله تعـالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ يعني في عالم الذر حيث أراه الأئمة المعصومين وأخذ عليه العـهد لهم والقائم عليه السلام بينهم قـائم كـالكوكب الـدري يصلـي فقال تعالى ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[2] فقال الصادق عليه السلام في ذلك ما معناه ((لم يقر ولم يجحد) ، وأما الذين قال الله تعـالى في شأنهم ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] ، وإلى هذا المعنى أشـار الصادق عليه السلام كما في باب العقل من الكافي .

وكذلك الملائكة المقربـون علـى قسـمين وقـد أشـرنا إلى ذلك في أجوبة مسائل الشيخ عبد علي التوبلي .

---

[1] الحج ٣٤

[2] طه ١١٥

[3] الرعد ١٩

فإذا ثبت هذا مضافا إلى معنى قول أحدهما عليهما السلام (إني أتكلم بالكلمة وأريد بها أحد سبعين وجها من كل منها المخرج)[1] ومضافا إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[2] ، فاعلم أن الإمام الولي عليه السلام له حالتان حالة ولاية وربوبية وهو حالة المعاني والأبواب ، وحالة إمامة وخلافة وهو حالة البشرية والعبودية ، ففي الحالة الأولى لا يسأل عما يفعل لأنه بالغ الحجة يفعل الله به ما يشاء ، فلما كان من تمام الحجة وقطع المعاذير في نصب الإمام اللاحق أن لا يكون الإمام السابق متهما في نصب من بعده ولا يكون ذلك حتى يقول لو كان الأمر لأحببت أن تكون في غير هذا المقصود لأنه من باب تعليق المحال على المحال ومن باب الحقيقة ، لأنه لو كان الأمر إلى حادث فقير لذاته لم يكن عنه شيء إلا باطلا لأن الحادث من حيث نفسه لا يكون عنه

---

[1] ورد في هذا المعنى روايات كثيرة عنهم عليهم السلام منها قول الصادق عليه السلام ((إني لأتكلم على سبعين وجها لي من كلها المخرج)) الاختصاص ٢٨٧ ، وأيضا عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قل ((حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج)) معاني الأخبار ٢ .

[2] طه ١٥

حق وإنما الحق من الحق ، فإن موسى عليه السلام لما كان اختيـاره من قومه من جهة نفسه لم يقع على الصواب ، لأن الاختيـار إنمـا يقع على الصواب إذا كان مـن العـالم المطلـق ، والعـالم المطلـق بالشيء إنما هو خالقه لا غير وأما غير فلا إلا أن يكون به ، وما لا يكون للشيء إلا بغيره ليس له من أمر ذلك شـيء وإنمـا الشـيء لذلك الغير .

تم الفراغ من إعداد هذه المجموعـة الشـريفة مـن رسـائل عماد الملة والدين وركن الإسـلام والمسـلمين الكاشـف لحقـائق كتاب الله التدويني والواقف على دقائق خطابـه التكويـني شـارح رموز الدقائق فاتح كنوز الحقائق ناشـر أعـلام الدلالـة والهدايـة شـيخنا الأوحـد ومولانـا الأمجـد الشـيخ أحمـد بـن زيـن الديـن الإحسائي أعلـى الله مقامـه ونشـر في الداريـن أعلامـه في آخـر ساعات ليلة الثلاثاء السادس عشر من شهر ربيـع الآخـر لسـنة ألف وأربعمائة وواحد وعشرين للـهجرة علـى مـهاجرها وآلـه آلاف الصلاة والسلام والتحية ، وسـنقوم إن أعاننـا الله ووفقنـا بجمع مجموعة ثانية من رسائله الشريفة سائلين الله أن يتقبل هـذا العمل منا وأن ينفعنا وسلئر المؤمنـين بـهذه الكلمـات الشـريفة بحق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .



فهرس